كتاب



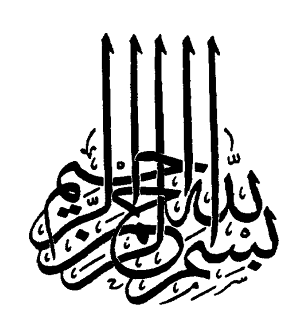
تعريفه - فضله - حكمه - الأسباب المعينة على طلب العلم
طرق تحصيله - أخطاء يجب الحذر منها - كتب طالب العلم
فتاوى مهمة - وسائل فريدة تتعلق بالموضع

فضيلة الشيخ
محمد بن صالح بن عثيمين
رحمه الله

اعتنى به وخرج أحاديثه
أبو سهل عصام السيد السهيلي
عفا الله عنه

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
اسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩




بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

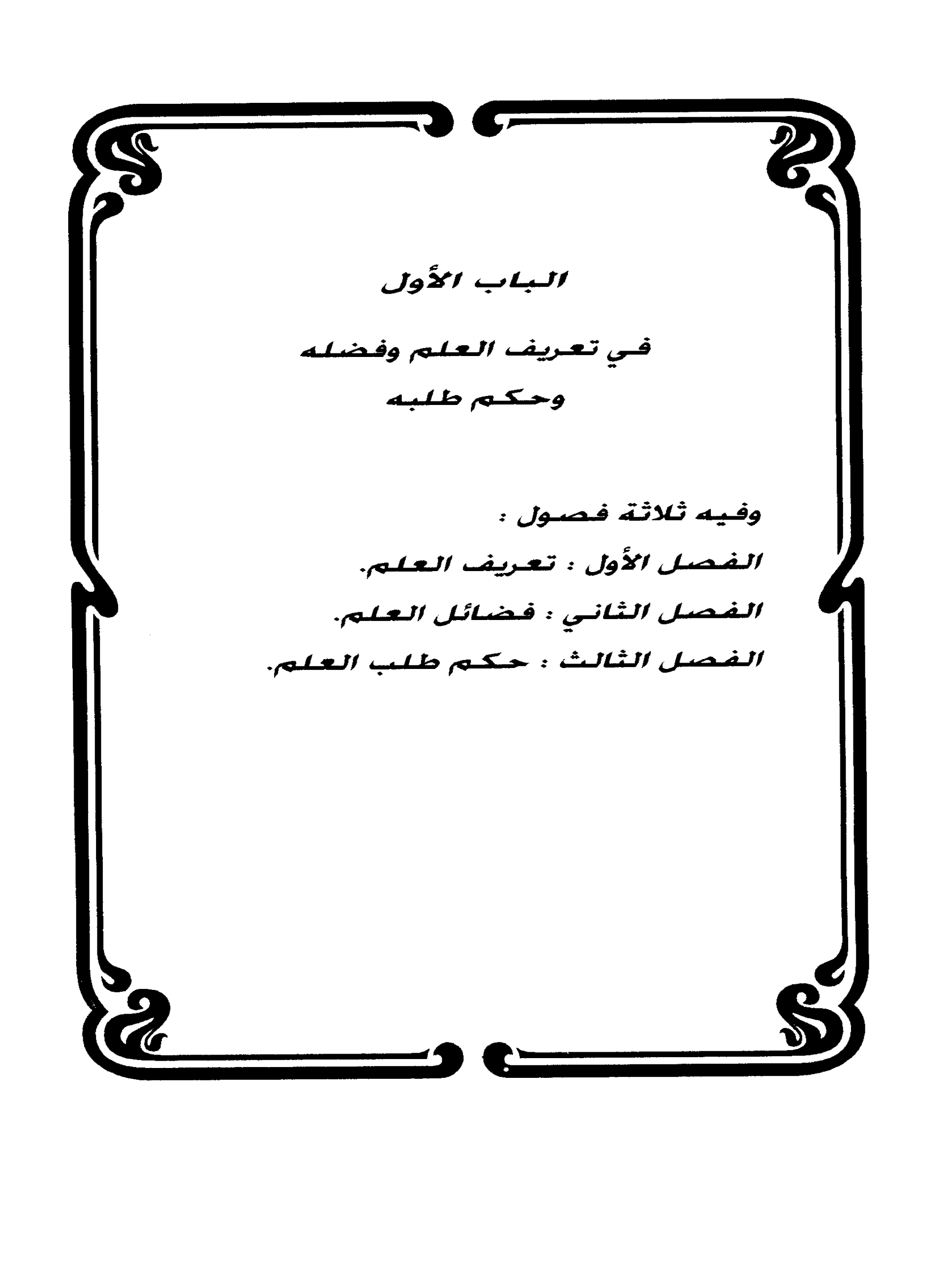
رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

رقم الإيداع ٢٠٠٢/١١٦٤٩

الترقيم الدولى

977-331-0109-0

دار الإيمان ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع تليفون وفاكس ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون ٥٤٤٦٤٩٦
E-mail: dar_aleman@hotmail.com



الباب الأول

في تعريف العلم وفضله وحكم طلبه

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تعريف العلم.

الفصل الثاني : فضائل العلم.

الفصل الثالث : حكم طلب العلم.





الفصل الأول : تعريف العلم

لغـة : نقـيض الجـهل ، وهو : إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً .

اصطلاحاً : فقد قال بعض أهل العلم : هو المعرفة ، وهو ضد الجهل ، وقال آخرون من أهل العلم : **إن العلم أوضح من أن يُعَرَّف** .

والذي يعنينا هو العلم الشرعي ، والمراد به : علم ما أنزل الله على رسوله من البينات والهدى ، فالعلم الذي فيه الثناء والمدح هو علم الوحي ، علم ما أنزله الله فقط .

قال النبي ﷺ : [مَنْ يُرِدْ اللهُ به خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين] (١) .

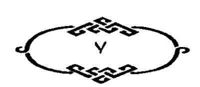
وقال النبي ﷺ : [إنَّ الأنْبيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً ، وَلا دِرْهَماً ، وإنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَه أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ] (٢) .

ومن المعلوم أن الذي وَرَّثَه الأنبياء إنَّما هو علم شريعة الله عز وجل وليس غيره ، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما وَرَّثُوا للناس علم الصناعات ، وما يتعلق بها ، بل إن الرسول ﷺ حين قدم المدينة وجد

---

(١) متفق عليه . رواه البخاري [٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢] ، ومسلم [١٠٣٧] ، وأحمد (٤ / ١٠١) ، والدارمي [٢٢٤] ، وابن حبان [٨٩] ، والطحاوي في « مشكل الآثار » (٢ / ٢٧٨) ، والبغوي في « شرح السنة » (١ / ٢٨٤) ، وغيرهم من طريق حميد بن عبد الرحمن عن معاوية رضي الله عنه مرفوعاً .

(٢) صحيح لغيره . رواه الترمذي [٦٢٨٢] ، وأبو داود [٣٦٤١] ، وابن ماجة [٢٢٣] ، وابن حبان [٨٨] ، والدارمي [٣٤٢] ، والبغوي في « شرح السنة » (١ / ٢٧٥-٢٧٦) ، والبيهقي في « الآداب » [١١٨٨] ، والخطيب في « الرحلة في طلب الحديث » (٧٧-٧٨) ، والطحاوي في « مشكل الآثار » (١ / ٤٢٩) ، وغيرهم من حديث أبي الدرداء ، وفي سنده ضعف ، ولكن للحديث شواهد ، ولذا صححه الألباني رحمه الله .



الناس يُؤَبِّرون النخل – أي: يلقحونها – فقال لهم لما رأى من تعبهم كلاماً – يعني أنه لا حاجة إلى هذا – ففعلوا، وتركوا التلقيح، ولكن النخل فسد، ثم قال لهم النبي ﷺ: [أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِشُئُونِ دُنْيَاكُمْ][3]، ولو كان هذا هو العلم الذي عليه الثناء لكان الرسول ﷺ أعلم الناس به، لأن أكثر من يُثْنَى عليه بالعلم والعمل هو النبي ﷺ.

إذن فالعلم الشرعي هو الذي يكون فيه الثناء، ويكون الحمد لفاعله، ولكني مع ذلك لا أنكر أن يكون للعلوم الأخرى فائدة، ولكنها فائدة ذات حَدَّيْنِ: إن أعانت على طاعة الله، وعلى نصر دين الله، وانتفع بها عباد الله، فيكون ذلك خيراً ومصلحة، وقد يكون تعلمها واجباً في بعض الأحيان إذا كان ذلك داخلاً في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾[4].

وقد ذكر كثير من أهل العلم أن تعلم الصناعات فرض كفاية، وذلك لأن الناس لابد لهم من أوانٍ يطبخون بِهَا، ويشربون بِهَا، وغير ذلك من الأمور التي ينتفعون بِهَا، فإذا لم يوجد من يقوم بهذه المصانع، صار تعلمها فرض عين، وهذا محل جدل بين أهل العلم، وعلى كل حال أود أن أقول: إن العلم الذي هو محل الثناء هو العلم الشرعي، الذي هو فقه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما عدا ذلك فإما أن يكون وسيلة إلى خير، أو وسيلة إلى شر، فيكون حكمه بحسب ما يكون وسيلةً إليه.

---

(٣) صحيح. رواه مسلم [٢٦٣]، وأحمد (٣/١٥٢).

(٤) سورة الأنفال: آية رقم: ٦٠



الفصل الثاني: فضائل العلم

لقد مدح الله سبحانه وتعالى العلم وأهله، وحَثَّ عِبَادَهُ على العلم، والتزود منه، وكذلك السُّنَّة المطهرة، فالعلم من أفضل الأعمال الصالحة، وهو من أفضل وأَجَلِّ العبادات، عبادات التطوع، لأنه نوع من الجهاد في سبيل الله فإن دين الله عز وجل إنما قام بأمرين:

أحدهما: العلم والبرهان.

والثاني: القتال والسِّنَان.

فلابد من هذين الأمرين، ولا يمكن أن يقوم دين الله ويظهر إلا بهمَا جميعاً، والأول منهما مُقَدَّم على الثاني، ولهذا كان النبي ﷺ لا يُغير على قوم حتى تبلغهم الدعوة إلى الله عز وجل، فيكون العلم قد سبق القتال، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[٥]، فالاستفهام هنا لابد فيه من مقابل، أمّن هو قائم قانت آناء الليل والنهار – أي: كمن ليس كذلك؟ – والطرف الثاني المُفَضَّل عليه محذوف للعلم به، فهل يستوي من هو قانت آناء الليل ساجداً أو قائماً يحذر الآخرة، ويرجو رحمة ربِّه، هل يستوي هو، ومن هو مستكبر عن طاعة الله؟!

الجواب: لا يستوي، فهذا الذي هو قانت يرجو ثواب الله، ويحذر الآخرة، هل فعله ذلك عن علم أو عن جهل؟

الجواب: عن علم، ولذلك قال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[٦]. لا يستوي الذي يعلم والذي لا

(٥)، (٦) سورة الزمر: آية رقم: ٩



يعلم، كما لا يستوي الحي والميت، والسميع والأصم، والبصير والأعمى، العلم نور يهتدي به الإنسان، ويخرج به من الظلمات إلى النور، العلم يرفع الله به من يشاء من خلقه: ﴿يرفع اللهُ الَّذين آمنُوا منكم والَّذين أُوتُوا العلم درجات﴾[٧]، ولهذا نجد أن أهل العلم محل الثناء، كلما ذُكِرُوا أثنى الناس عليهم، وهذا رَفْعٌ لهم في الدنيا، أما في الآخرة فإنهم يرتفعون درجات بحسب ما قاموا به من الدعوة إلى الله، والعمل بما علموا.

إن العابد حقاً: هو الذي يعبد ربه على بصيرة، ويتبين له الحق، وهذه سبيل النبي ﷺ، ﴿قُل هذه سبيلي أدعُو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسُبحان الله وما أنا من المُشركين﴾[٨].



فالإنسان الذي يتطهر وهو يعلم أنه على طريق شرعي، هل هو كالذي يتطهر من أجل أنه رأى أباه أو أمه يتطهران؟ أيهما أبلغ في تحقيق العبادة؟ رجل يتطهر، لأنه علم أن الله أمر بالطهارة، وأنها هي طهارة النبي ﷺ، فيتطهر امتثالاً لأمر الله، واتباعاً لسنة رسوله ﷺ، أم رجل آخر يتطهر، لأن هذا هو المعتاد عنده؟

فالجواب: بلا شك أن الأول هو الذي يعبد الله على بصيرة، فهل يستوي هذا وذاك؟ وإن كان فِعْلُ كل منهما واحداً، لكن هذا عن علم وبصيرة، يرجو الله عز وجل ويحذر الآخرة، ويشعر بأنه متبع للرسول ﷺ.

---

(٧) سورة المجادلة :آية رقم: ١١

(٨) سورة يوسف :آية رقم: ١٠٨



وأقف عند هذه النقطة، وأسأل: هل نستشعر عند الوضوء بأننا نمتثل لأمر الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿يا أيُّها الَّذين آمنُوا إذا قُمْتُمْ إلى الصَّلاة فاغْسلُوا وُجُوهكُمْ وأيْديكُمْ إلى المرافق وامْسحُوا برُءُوسكُمْ وأرْجُلكُمْ إلى الكعْبيْن﴾(٩). هل الإنسان عند وضوئه يستحضر هذه الآية وأنه يتوضأ امتثالاً لأمر الله؟.

هل يستشعر أن هذا وضوء رسول الله ﷺ وأنه يتوضأ اتباعاً لرسول الله ﷺ ؟

الجواب: نعم، الحقيقة أن منَّا من يستحضر ذلك، ولهذا يجب عند فعل العبادات أن نكون ممتثلين لأمر الله بها، حتى يتحقق لنا بذلك الإخلاص، وأن نكون متبعين لرسول الله ﷺ ، نحن نعلم أن من شروط الوضوء النية، لكن النية قد يُراد بها نية العمل، وهذا الذي يبحث في الفقه، وقد يُراد بها نية المعمول له، وحينئذ علينا أن نتنبه لهذا الأمر العظيم، وهي أن نستحضر ونحن نقوم بالعبادة أن نمتثل أمر الله بها، لتحقيق الإخلاص، وأن نستحضر أن الرسول ﷺ فعلها، ونحن له متبعون فيها، لتحقيق المتابعة، لأن من شروط صحة العمل: الإخلاص، والمتابعة. اللذين بهما تتحقق شهادة أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ .

نعود إلى ما ذكرنا أولاً من فضائل العلم، إذ بالعلم يعبد الإنسان رَبَّهُ على بصيرة، فيتعلق قلبه بالعبادة، ويَتَنَوَّرُ قلبه بهَا، ويكون فاعلاً لها على أنَّها عبادة، لا على أنها عادة، ولهذا إذا صلى الإنسان على هذا النحو، فإنه مضمون له ما أخبر الله به من أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

---

(٩) سورة المائدة :آية رقم: ٦





ومن أهم فضائل العلم ما يلي:

١ - أنه إرْثُ الأنبيـاء، فالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لم يُوَرِّثُوا درهماً ولا ديناراً، وإنما وَرَّثُوا العلم، فمن أخذ بالعلم، فقد أخذ بحظ وافر من إرث الأنبياء، فأنت الآن في القرن الخامس عشر، إذا كنت من أهل العلم، ترث محمداً ﷺ، وهذا من أكبر الفضائل.

٢ - أنه يبقى والمال يفنى، فهذا أبو هريرة رضي الله عنه من فقراء الصحابة، حتى إنه يسقط من الجوع كالمغمى عليه، وأسألكم بالله: هل يجري لأبي هريرة ذِكْرٌ بين الناس في عصرنا أم لا؟

نعم يجري كثيراً، فيكون لأبي هريرة أجر من انتفع بأحاديثه، إذ العلم يبقى، والمال يفنى، فعليك يا طالب العلم أن تستمسك بالعلم، فقد ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: [إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إلا مِنْ ثَلاثَ. صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ](١٠).

٣ - أنه لا يتعب صاحبه في الحراسة، لأنه إذا رزقك الله علماً، فَمَحله في القلب، لا يحتاج إلى صناديق أو مفاتيح أو غيرها، هو في القلب محروس، وفي النفس محروس، وفي الوقت نفسه هو حارس لك، لأنه يحميك من الخطر بإذن الله عز وجل، فالعلم يحرسك، ولكن المال أنت تحرسه، تجعله في صناديق، وراء الأغلاق ومع ذلك تكون غير مطمئن عليه.

---

(١٠) صحيح. رواه مسلم [١٦٣١]، والبخاري في «الادب المفرد» [٣٨]، وأبو داود [٢٨٨٠]، والنسائي (٦ / ٢٥١)، والترمذي [١٣٧٦]، وأحمد (٢ / ٣٧٢)، وابن خزيمة [٢٤٩٤]، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١ / ٩٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٦ / ٢٧٨)، والبغوي في «شرح السنة» (١ / ٣٠٠)، والشجري في «الآمالي» (١ / ٦٩-٧٠). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.





٤ - أن الإنسان يتوصل به إلى أن يكون من الشهداء على الحق، والدليل قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾(١١).

فهل قال: أولوا المال؟

لا، بل قال: ﴿ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾، فيكفيك فخراً يا طالب العلم أن تكون ممن شهد لله أنه لا إله إلا هو مع الملائكة الذين يشهدون بوحدانية الله عز وجل.

٥ - أن أهل العلم هم أحد صنفي ولاة الأمر، الذي أمر الله بطاعتهم في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾(١٢)، فإن ولاة الأمور هنا تشمل ولاة الأمور من الأمراء، والحكام، والعلماء، وطلبة العلم، فولاية أهل العلم في بيان شريعة الله، ودعوة الناس إليها، وولاية الأمراء في تنفيذ شريعة الله، وإلزام الناس بها.

٦ - أن أهل العلم هم القائمون على أمر الله تعالى، حتى تقوم الساعة، ويُستدل لذلك بحديث معاوية ﷺ يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: [مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ، وَاللهُ مُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ](١٣) رواه البخاري.

---

(١١) سورة آل عمران :آية رقم: ١٨

(١٢) سورة النساء :آية رقم: ٥٩

(١٣) متفق عليه. رواه البخاري [٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢]، ومسلم [١٠٣٧]، وغيرهما، وقد مضى تخريجه برقم (١) فراجعه غير مأمور.





وقد قال الإمام أحمد عن هذه الطائفة : « إن لم يكونوا أهل الحديث، فلا أدري من هم!! » .

وقال القاضي عياض – رحمه الله – : « أراد أحمد : أهل السنة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث » .

٧ – **أن الرسول ﷺ ، لم يُرغِّبْ أحداً أن يغْبطَ أحداً على شيء من النعم التي أنعم الله بها إلا على نعمتين هما :**

* طلب العلم والعمل به .
* التاجر الذي جعل ماله خدمة للإسلام .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [لاَ حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا] (١٤) .

٨ – ما جاء في الحديث، الذي أخرجه البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : [مَثَلُ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضاً، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ، فَنَفَعَ

---

(١٤) متفق عليه . رواه البخاري [٧٣، ١٤٠٩، ٧١٤١، ٧٣١٦]، ومسلم [٨١٦]، والنسائي في « الكبرى » (٣ / ٤٢٦)، وابن ماجة [٤٢٠٨]، وأحمد (١ / ٣٨٥، ٤٣٢)، وابن حبان (١ / ١٥٢)، والحميدي (١ / ٥٥ / ٩٩)، والفريابي في « فضائل القرآن » [١٠٣، ١٠٤ تحقيقي]، وغيرهم كثير من حديث عبد الله بن مسعود.

قلت : وفي الباب عن جمع من الصحابة استوفيتهم بفضل الله في تحقيقي لـ « فضائل القرآن » .

والحسد هنا معناه الغبطة، وهي تمني ما عند الغير بدون زواله منهم، وهذا عكس الحسد المذموم الذي هو كراهة ما أنعم الله به عليهم من العلم لهم، وهو ما سوف يأتي بيانه من الشيخ (ص ٦٤) .





اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا، وَسَقَوْا، وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ، لاَ تُمْسِكُ مَاءً، وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ](١٥).

٩ - أنه طريق الجنة، كما دل على ذلك حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: [وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ](١٦) رواه مسلم.

١٠ - ما جاء في حديث معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: [مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ](١٧)، أي: يجعله فقيهاً في دين الله عز وجل، والفقه في الدين ليس المقصود به فقه الأحكام العملية المخصوصة عند أهل العلم بعلم وفقط، ولكن المقصود به هو: علم التوحيد وأصول الدين، وما يتعلق بشريعة الله عز وجل، ولو لم يكن من نصوص الكتاب والسنة إلا هذا الحديث في فضل العلم، لكان كاملاً في الحَثِّ على طلب علم الشريعة، والفقه فيها.

---

(١٥) متفق عليه. رواه البخاري [٧٩]، ومسلم [٢٢٨٢]، والنسائي في «الكبرى» (٣/ ٤٢٧)، وأحمد (٤/ ٣٩٩)، وأبو يعلى [٧٣١١]، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٨٧-٢٨٨)، وغيرهم من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(١٦) صحيح. رواه مسلم [٢٦٩٩]، والترمذي [٢٦٤٦، ٢٩٤٥]، وأبو داود [٣٦٤٣]، وابن ماجة [٢٢٥]، وأحمد (٢/ ٢٥٢، ٣٢٥)، والدارمي [٣٤٤]، والحاكم (١/ ٨٩)، وابن حبان [٨٤]، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٧٢)، وغيرهم كثير من طرق عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ ذكرتهم جميعاً في تحقيقي لـ «مسند الشهاب للقضاعي ٣٩٣، ٣٩٤» فراجعه غير مأمور.

(١٧) متفق عليه. رواه البخاري [٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢]، ومسلم [١٠٣٧]، وغيرهما، وقد مضى تخريجه برقم (١) فليراجع.





١١ – أن العلم نور يستضيء به العبد، فيعرف كيف يَعْبُدُ رَبَّهُ، وكيف يُعَاملُ عبَاده، فتكون مسيرته في ذلك على علم وبصيرة.

١٢ – أن العالم نور يهتدي به الناس في أمور دينهم ودنياهم، ولا يخفى على كثير منكم قصة الرجل الذي من بني إسرائيل، قتل تسعاً وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُلَّ على رجل عابد فسأله، هل له من توبة؟، فكأن العابد استعظم الأمر فقال: لا، فقتله، فأتم به المائة، ثم ذهب إلى عالم فسأله فأخبره أن له توبة، وأنه لا شيء يحول بينه وبين التوبة، ثم دَلَّهُ على بَلَدٍ أَهْلَهُ صالحون، ليخرج إليها، فخرج فأتاه الموت في أثناء الطريق، والقصة مشهورة[١٨]، فانظر الفرق بين العالِم والجاهل.

١٣ – أن الله يرفع أهل العلم في الآخرة وفي الدنيا، أما في الآخرة فإن الله يرفعهم درجات بحسب ما قاموا به من الدعوة إلى الله عز وجل والعمل بما علموا، وفي الدنيا يرفعهم الله بين عباده بحسب ما قاموا به، قال الله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾[١٩].

---

(١٨) القصة وردت في حديث متفق عليه. رواه البخاري [٣٤٧٠]، ومسلم [٢٧٦٦]، وابن ماجة [٢٦٢٢]، وأحمد (٣/ ٢٠،٧٢)، وأبو يعلى [١٣٥٦]، وابن حبان [٦١١،٦١٥]، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٩٧)، وفي «الكبرى» (٨/ ١٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٠٢) من طرق عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(١٩) سورة المجادلة :آية رقم: ١١



الفصل الثالث: حكم طلب العلم

طلب العلم الشرعي فرض كفاية، إذا قام به من يكفي صار في حق الآخرين سُنَّة، وقد يكون طلب العلم واجباً على الإنسان عيناً — أي: فرض عين —، وضابطه أن يتوقف عليه معرفة عبادة يريد فعلها، أو معاملة يريد القيام بهَا، فإنه يجب عليه في هذه الحال أن يعرف: كيف يتعبد لله بهَذه العبادة؟ وكيف يقوم بهَذه المعاملة؟ وما عدا ذلك من العلم ففرض كفاية، وينبغي لطالب العلم أن يُشعر نفسه أنه قائم بفرض كفاية حال طلبه، ليحصل له ثواب فاعل الفرض مع التحصيل العلمي.

ولا شك أن طلب العلم من أفضل الأعمال، بل هو من الجهاد في سبيل الله، ولاسيما في وقتنا هذا حين بدأت البدع تظهر في المجتمع الإسلامي، وتنتشر، وتكثر، وبدأ الجهل الكثير ممن يتطلع إلى الإفتاء بغير علم، وبدأ الجدل من كثير من الناس.

فهذه ثلاثة أمور كلها تُحَتِّمُ على الشباب أن يحرص على طلب العلم:

أولاً: بدع بدأت تبزغ نجومها.

ثانياً: أناس يتطلعون إلى الإفتاء بغير علم.

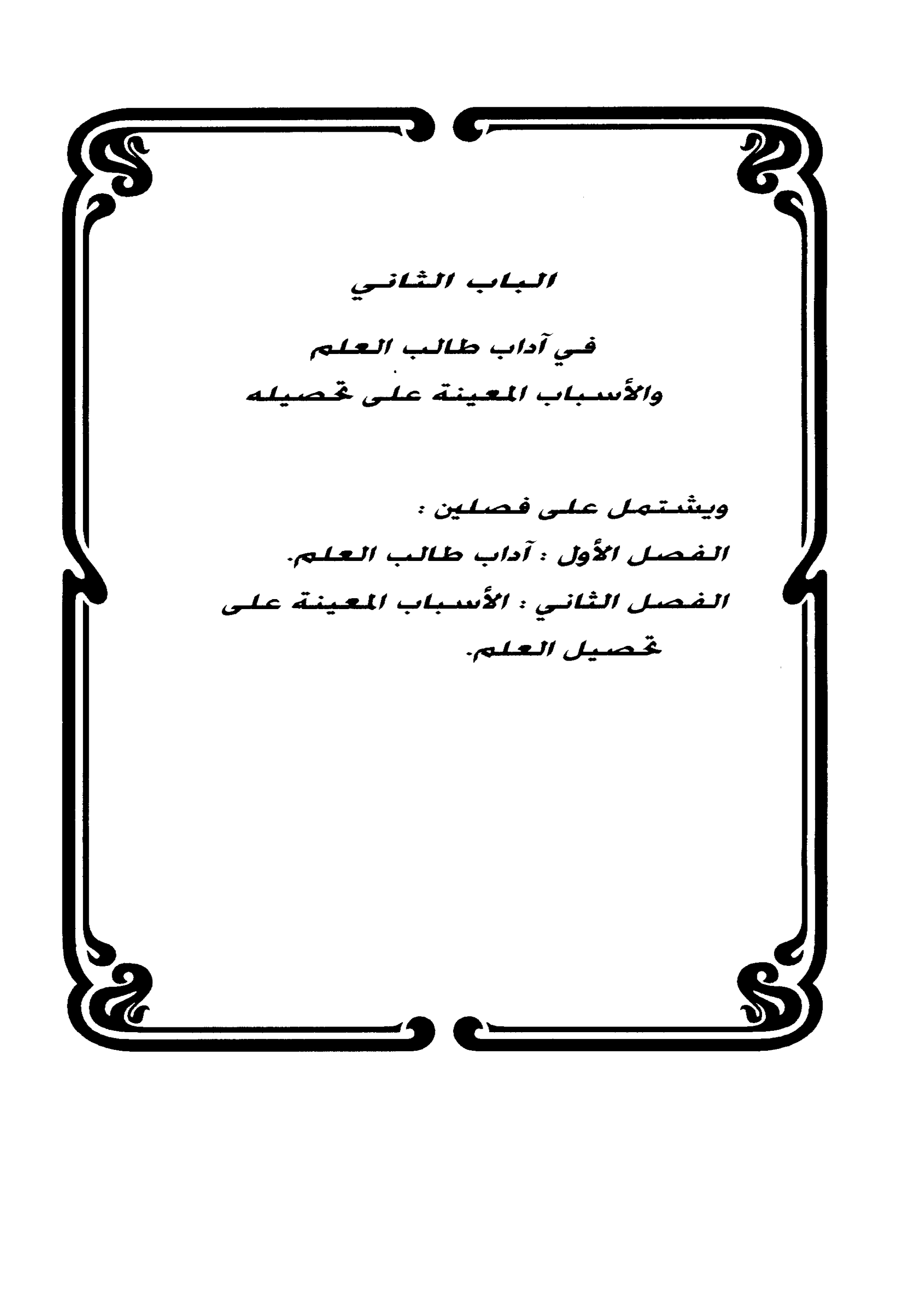
ثالثاً: جدل كثير في مسائل قد تكون واضحة لأهل العلم، لكن يأتي من يجادل فيها بغير علم.

فمن أجل ذلك فنحن في ضرورة إلى أهل علم عندهم رسوخ، وسعة اطلاع، وعندهم أيضاً فقه في دين الله، وعندهم حكمة في



توجيه عباد الله، لأن كثيراً من الناس الآن يحصلون على علم نظري في مسألة من المسائل، ولا يهمهم النظر إلى إصلاح الخلق وإلى تربيتهم، وأنهم إذا أفتوا بكذا وكذا صار وسيلة إلى شرٍ أكبر، لا يعلم مَداَهُ إلا الله.





الباب الثاني

في آداب طالب العلم
والأسباب المعينة على تحصيله

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : آداب طالب العلم.

الفصل الثاني : الأسباب المعينة على تحصيل العلم.





الفصل الأول: آداب طالب العلم

طالب العلم لابد له من التَّأدب بآداب، نذكر منها:

الأمر الأول: إخلاص النية لله عز وجل.

بأن يكون قصده بطلب العلم وجه الله والدار الآخرة، لأن الله حَثَّ عليه، ورغَّب فيه، فقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾[20]، والثناء على العلماء في القرآن معروف، وإذا أثنى الله على شيء أو أمر به صار عبادة، إذن فيجب الإخلاص فيه لله، بأن ينوي الإنسان في طلب العلم وجه الله عز وجل، وإذا نوى الإنسان بطلب العلم الشرعي أن ينال شهادة ليتوصل بها إلى مرتبة أو رتبة، فقد قال رسول الله ﷺ: [مَنْ تَعَلَّمَ علْماً يُبْتَغَى به وَجْهُ الله عَزَّ وَجلَّ لا يَتَعَلَّمُهُ إلاَّ ليُصيبَ به عَرَضاً منْ الدُّنْيَا، لَمْ يَجدْ عَرْفَ الْجَنَّة يَوْمَ الْقيَامَة - يَعْني رِيحَهَا -][21] وهذا وعيد شديد، لكن لو قال طالب العلم: أنا أريد أن أنال الشهادة، لا من أجل حظ من الدنيا، ولكن لأن النظم أصبح مقياس العالم فيها شهادته.

فنقول: إذا كانت نية الإنسان نيل الشهادة من أجل نفع الخلق تعليماً، أو إدارة، أو نحوها، فهذه نية سليمة لا تضره شيئاً، لأنها نية حق.

---

(٢٠) سورة محمد :آية رقم:١٩

(٢١) صحيح. رواه أبو داود [٣٦٦٤]، وابن ماجة [٢٥٢]، وأحمد (٢/ ٣٣٨)، والحاكم (١/ ٨٥)، وابن حبان [٧٨]، والخطيب في «الاقتضاء» [١٠٢]، وفي «التاريخ» (٥/ ٣٤٦-٣٤٧، ٨/ ٧٨)، وغيرهم عن أبي هريرة ؓ وصححه الألباني رحمه الله.



وإنما ذكرنا الإخلاص في أول آداب طالب العلم، لأن الأخلاص أساس، فعلى طالب العلم أن ينوي بطلب العلم امتثال أمر الله عز وجل، لأن الله عز وجل أمر بالعلم، فقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾(٢٢)، فأمر بالعلم، فإذا تعلمت فإنك ممتثل لأمر الله عز وجل.

الأمر الثاني: رفع الجهل عن نفسه وعن غيره.

أن ينوي بطلب العلم رفع الجهل عن نفسه وعن غيره، لأن الأصل في الإنسان الجهل، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٢٣)، والواقع يشهد بذلك، فتنوي بطلب العلم رفع الجهل عن نفسك، وبذلك تنال خشية الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(٢٤)، فتنوي رفع الجهل عن نفسك، لأن الأصل فيك الجهل، فإذا تَعَلَّمْتَ وصِرْتَ من العلماء، انتفى عنك الجهل، وكذلك تنوي رفع الجهل عن الأمة، ويكون ذلك بالتعليم بشتى الوسائل، لتنفع الناس بعلمك.

وهل من شرط نفع العلم أن تجلس في المسجد في حلقة؟ أو يمكن أن تنفع الناس بعلمك في كل حال؟

الجواب: بالثاني، لأن الرسول ﷺ يقول: [بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً](٢٥)،

---

(٢٢) سورة محمد: آية رقم: ١٩

(٢٣) سورة النحل: آية رقم: ٧٨

(٢٤) سورة فاطر: آية رقم: ٢٨

(٢٥) صحيح. رواه البخاري [٣٤٦١]، والترمذي [٢٦٦٩]، وأحمد (٢/١٥٩، ٢٠٢)، والدارمي [٥٤٢]، والقضاعي في «مسند الشهاب» [٦٦٢ تحقيقي]، وغيرهم كثير ذكرتهم في المصدر السابق. من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.



لأنك إذا عَلَّمْتَ رجلاً علماً، وعلَّمه رجلاً آخر، صار لك أجر رجلين، ولوعلَّم ثالثاً، صار لك أجر ثلاثة وهكذا، ومن ثمَّ صار من البدع أن الإنسان إذا فعل عبادة قال: اللهم اجعل ثوابها لرسول الله، لأن الرسول ﷺ هو الذي أعْلَمَكَ بِهَا، وهو الذي دَلَّكَ عليها، فله مثل أجرك.

قال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى -: العلم لا يعدله شيء لمن صَحَّتْ نيته، قالوا: كيف ذلك؟ قال: ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره، لأن الأصل فيهم الجهل، كما هو الأصل فيك، فإذا تعلمت من أجل أن ترفع الجهل عن هذه الأمة، كنت من المجاهدين في سبيل الله الذين ينشرون دين الله.

الأمر الثالث: الدفاع عن الشريعة.

أن ينوي بطلب العلم الدفاع عن الشريعة، لأن الكتب لا يمكن أن تدافع عن الشريعة، ولا يدافع عن الشريعة إلا حامل الشريعة، فلو أن رجلاً من أهل البدع جاء إلى مكتبة حافلة بالكتب الشرعية فيها ما لا يُحْصَى من الكتب، وقام يتكلم ببدعة ويقررها، فلا أظن أن كتاباً واحداً يرد عليه، لكن إذا تكلم عند شخص من أهل العلم ببدعته ليقررها، فإن طالب العلم يرد عليه، ويدحض كلامه بالقرآن والسنة.

فعلى طالب العلم أن ينوي بطلب العلم الدفاع عن الشريعة، لأن الدفاع عن الشريعة لا يكون إلا برجالها، كالسلاح تماماً، لو كان عندنا أسلحة ملأت خزائنها، فهل هذه الأسلحة تستطيع أن تقوم من أجل أن تلقي قذائفها على العدو؟! أو لا يكون ذلك إلا بالرجال؟

فالجواب: لا يكون ذلك إلا بالرجال، وكذلك العلم، ثم إن البدع



تتجدد، فقد توجد بدع ما حدثت في الزمن الأول، ولا توجد في الكتب، فلا يمكن أن يدافع عنها إلا طالب العلم.

ولهذا أقول: إن مما تجب مراعاته لطالب العلم الدفاع عن الشريعة.

إذن فالناس في حاجة ماسَّة إلى العلماء لأجل أن يردوا على كيد المبتدعين وسائر أعداء الله عز وجل، ولا يكون ذلك إلا بالعلم الشرعي المتلقى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

الأمر الرابع: رحابة الصدر في مسائل الخلاف.

أن يكون صدره رحباً في مواطن الخلاف الذي مصدره الاجتهاد، لأن مسائل الخلاف بين العلماء، إما أن تكون مما لا مجال للاجتهاد فيه، ويكون الأمر فيها واضحاً، فهذه لا يُعْذَرُ أَحَدٌ بمخالفتها، وإما أن تكون مما للاجتهاد فيها مجال، فهذه يعذر فيها من خالفها، ولا يكون قولك حجة على من خالفك فيها، لأننا لو قبلنا ذلك لقلنا بالعكس قوله حجة عليك.

وأنا أريد بهذا ما للرأي فيه مجال، ويسع الإنسان فيه الخلاف، أما من خالف طريق السلف كمسائل العقيدة، فهذه لا يقبل من أحد مخالفة ما كان عليه السلف الصالح، لكن في المسائل الأخرى التي للرأي فيها مجال، فلا ينبغي أن يُتَّخَذ من هذا الخلاف مطعن في الآخرين، أو يُتَّخَذ منها سبب للعداوة والبغضاء.

فالصحابة ﷺ يختلفون في أمور كثيرة، ومن أراد أن يَطَّلِع على اختلافهم، فليرجع إلى الآثار الواردة عنهم، يجد الخلاف في مسائل كثيرة، وهي أعظم من المسائل التي اتخذها الناس هذه الأيام دَيْدَناً

للاختلاف، حتى اتخذ الناس من ذلك تحزباً بأن يقولوا: أنا مع فلان، وأنا مع فلان، كأن المسألة أحزاب، فهذا خطأ.

من ذلك مثلاً كأن يقول أحد: إذا رفعت من الركوع، فلا تضع يدك اليمنى على اليسرى، بل أرسلها إلى جنب فخذيك، فإن لم تفعل فأنت مبتدع. كلمة مبتدع ليست هينة على النفس، إذا قال لي هذا، سيحدث في صدري شيء من الكراهة، لأن الإنسان بشر، ونحن نقول: هذه المسألة فيها سعة، إما أن يضعها أو يرسلها، ولهذا نص الإمام أحمد على أنه يخير بين أن يضع يده اليمنى على اليسرى هكذا وبين الإرسال، لأن الأمر في ذلك واسع، ولكن ما هي السنة عند تحرير هذه المسألة؟

فالجواب: السنة أن تضع يدك اليمنى على اليسرى إذا رفعت من الركوع كما تضعها إذا كنت قائماً، والدليل فيما رواه البخاري عن سهل بن سعد قال: [كَانَ النَّاسُ يُؤْمَرُونَ أَنْ يَضَعَ الرَّجُلُ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى ذِرَاعِهِ الْيُسْرَى فِي الصَّلاةِ][٢٦]، فلتنظر هل يريد بذلك في حال السجود؟ أو يريد بذلك في حال الركوع؟ أو يريد بذلك في حال القعود؟ لا، بل يريد بذلك في حال القيام، وذلك يشمل القيام قبل الركوع، والقيام بعد الركوع.

فيجب ألاَّ نأخذ من هذا الخلاف بين العلماء سبباً للشِّقَاق والنِّزاع، لأننا كلنا نريد الحق، وكلنا فَعَلَ ما أدَّاه اجتهاده إليه، فما دام هكذا، فإنه لا يجوز أن نتخذ من ذلك سبباً للعداوة والتفريق بين أهل العلم، لأن العلماء لم يزالوا يختلفون حتى في عهد النبي ﷺ.

---

(٢٦) صحيح. رواه البخاري [٧٤٠]، ومالك في «الموطأ» [٣٧٦]، وأحمد (٥/٣٣٦)، وأبو عوانة في «مسنده» [١٥٩٧]، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/٢٨) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.



إذن فالواجب على طلبة العلم أن يكونوا يَداً وَاحدَةً، ولا يجعلوا مثل هذا الخلاف سبباً للتباعد والتباغض، بل الواجب إذا خالفت صاحبك بمقتضى الدليل عندك، وخالفك هو بمقتضى الدليل عنده، أن تجعلوا أنفسكم على طريق واحد، وأن تزداد المحبة بينكما، ولهذا فنحن نحب ونهنِّئ شبابنا الذين عندهم الآن اتجاهاً قوياً إلى أن يقرنوا المسائل بالدلائل، وأن يبنوا علمهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، نرى أن هذا من الخير، وأنه يبشر بفتح أبواب العلم من مناهجه الصحيحة، ولا نريد منهم أن يجعلوا ذلك سبباً للتحزب والبغضاء، وقد قال الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿إنّ الّذين فرّقُوا دينهُمْ وكانُوا شيعًا لّستَ منهُمْ في شيْءٍ﴾[27]، فالذين يجعلون أنفسهم أحزاباً يتحزبون إليها لا نوافقهم على ذلك، لأن حزب الله واحد، ونرى أن اختلاف الفهم لا يوجب أن يتباغض الناس، وأن يقع أحدهم في عرض أخيه.

فيجب على طلبة العلم أن يكونوا إخوة حتى وإن اختلفوا في بعض المسائل الفرعية، وعلى كل واحد أن يدعو الآخر بالهدوء، والمناقشة التي يُراد بها وجه الله، والوصول إلى العلم، وبهذا تحصل الأُلفة، ويزول هذا العَنَتُ والشدة التي تكون في بعض الناس، حتى قد يصل بهم الأمر إلى النِّزَاع والخصام، وهذا لا شك يُفرح أعداء المسلمين، والنِّزاعُ بين الأمة من أشد ما يكون في الضرر، قال الله تعالى: ﴿وأطيعُوا الله ورسُولهُ ولا تنازعُوا فتفشلُوا وتذهب ريحُكُمْ واصبرُوا إنّ الله مع الصّابرين﴾[28]، وكان الصحابة

---

(27) سورة الأنعام: آية رقم: 159

(28) سورة الأنفال: آية رقم: 46



ﷺ يختلفون في مثل هذه المسائل، ولكنهم على قلب واحد، على محبة وائتلاف، بل إني أقول بصراحة: إن الرجل إذا خالفك بمقتضى الدليل عنده، فإنه موافق لك في الحقيقة، لأن كُلاً منكما طالب للحقيقة، وبالتالي فالهدف واحد، وهو الوصول إلى الحق عن دليل، فهو إذن لم يخالفك ما دمت تُقرُّ أنه إنما خالفك بمقتضى الدليل عنده، فأين الخلاف؟ وبهذه الطريقة تبقى الأمة واحدة، وإن اختلفت في بعض المسائل لقيام الدليل عندها، أما من عاند وكابر بعد ظهور الحق، فلا شك أنه يجب أن يعامل بما يستحقه بعد العناد والمخالفة، ولكل مقام مقال.

الأمر الخامس: العمل بالعلم.

أن يعمل طالب العلم بعمله عقيدة، وعبادة، وأخلاقاً، وآداباً، ومعاملة، لأن هذا هو ثمرة العلم، وهو نتيجة العلم، وحامل العلم كالحامل لسلاحه، إمَّا له، وإمَّا عليه، ولهذا ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: [الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ][29]، لك إن عملت به، وعليك إن لم تعمل به، وكذلك يكون العلم بما صح عن النبي ﷺ بتصديق الأخبار، وامتثال الأحكام، إذا جاء الخبر من الله ورسوله فصَدِّقْه، وخُذه بالقبول والتسليم ولا تقل: لمَ؟ وكيف؟، فإن هذه طريقة غير المؤمنين، فقد قال الله تعالى: ﴿وما كَانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنةٍ إذا قَضَى اللَّهُ ورَسُولُهُ أَمرًا أن يَكُونَ لَهُمُ الخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ومَن يَعْصِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فقدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾[30].

(٢٩) صحيح. رواه مسلم [٢٢٣]، والترمذي [٣٥١٧]، والنسائي [٢٤٣٧]، وابن ماجة [٢٨٠]، والدارمي [٦٥٣]، وأحمد (٥/ ٣٤٢-٣٤٣)، وابن حبان [٨٤٤]، وأبو عوانة (١/ ٢٢-٢٢٣)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٣١٩)، والبيهقي في «الكبرى» (١/ ٤٢)، وغيرهم من حديث أبي موسى، وطرفه [الطهور شطر الإيمان....].

(٣٠) سورة الأحزاب :آية رقم: ٣٦

والصحابة كان النبي ﷺ يُحَدِّثُهُم بأشياء قد تكون غريبة وبعيدة عن أفهامهم، ولكنهم يتلقون ذلك بالقبول لا يقولون: لِمَ؟ وكيف؟ بخلاف ما عليه المتأخرون من هذه الأمة، نجد الواحد منهم إذا حُدِّث بحديث عن الرسول ﷺ وحار عقله فيه نجده يورد على كلام الرسول ﷺ الإيرادات التي تستشف منها أنه يريد الاعتراض لا الاسترشاد، ولهذا يحال بينه وبين التوفيق، حتى يرد هذا الذي جاء عن الرسول ﷺ، لأنه لم يتلقه بالقبول والتسليم.

وأضرب لذلك مثلاً: ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: [يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ] (31)، هذا الحديث حَدَّثَ به النبي ﷺ، وهو حديث مشهور، بل متواتر، ولم يرفع أحد من الصحابة لسانه ليقول: يا رسول الله، كيف يَنْزِلُ؟ وهل يخلو منه العرش أم لا؟ وما أشبه ذلك، لكن نجد بعض الناس يتكلم في مثل هذا، ويقول: كيف يكون على العرش وهو يَنْزِل إلى السماء الدنيا؟ وما أشبه ذلك من الإيرادات التي يوردونها، ولو أنَّهم تلقوا هذا الحديث بالقبول، وقالوا: إن الله عز وجل مستو على عرشه، والعلو من لوازم ذاته، وَيَنْزِل كما يشاء سبحانه وتعالى، لاندفعت عنهم هذه

(31) متفق عليه. أخرجه البخاري [1145]، [6331]، [7494 عن الأغرِّ وحده]، ومسلم [758]، وأبو داود [1315]، [4733]، والترمذي [3498]، والنسائي في «الكبرى» (4 / 420)، وفي «عمل اليوم والليلة» [478، 79 عن أبي سلمة]، [480، 481، 482]، وابن ماجة [1366]، وأحمد (2 / 264، 265، 267، 487، 504)، وعبد بن حميد [861 تحقيقي]، وغيرهم كثير من طرق عن الأغر بن يسار المزني وأبي سلمة. وقد خرجته بإسهاب في تحقيقي للمصدر الأخير والحمد لله وحده.



الشبهة ولم يتحيروا فيما أخبرهم النبي ﷺ عن ربه.

إذن فالواجب علينا أن نتلقى ما أخبر الله به ورسوله من أمور الغيب بالقبول والتسليم، وألاَّ نعارضها بما يكون في أذهاننا من المحسوس والمشاهد، لأن أمر الغيب أمر فوق ذلك، والأمثلة على ذلك كثيرة لا أحب أن أطيل بذكرها، إنما موقف المؤمن من مثل هذه الأحاديث هو القبول والتسليم، بأن يقول: صدق الله ورسوله، كما أخبر الله عن ذلك في قوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ...﴾ (٣٢).

فالعقيدة يجب أن تكون مبنية على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن يعلم الإنسان أنه لا مجال للعقل فيها، لا أقول: لا مدخل للعقل فيها، وإنما أقول: لا مجال للعقل فيها، لأن ما جاءت به من نصوص في كمال الله شاهدة به العقول، وإن كان العقل لا يدرك تفاصيل ما يجب لله من كمال، لكنه يدرك أن الله قد ثبت له كل صفات الكمال.

لابد أن يعمل بهذا العلم الذي مَنَّ الله به عليه من ناحية العقيدة، كذلك من ناحية العبادة، التعبد لله عز وجل، وكما يعلم كثير مِنَّا أن العبادة مبنية على أمرين أساسيين:

أحدهما: الإخلاص لله عز جل.

والثاني: المتابعة للرسول ﷺ، فيبني الإنسان عبادته على ما جاء عن الله ورسوله، لا يبتدع في دين الله ما ليس منه، لا في أصل العبادة، ولا في وصفها، ولهذا نقول: لابد في العبادة أن تكون ثابتة بالشرع في هيئتها، وفي مكانها، وفي زمانها، وفي سببها، لابد أن تكون ثابتة

---

(٣٢) سورة البقرة: آية رقم: ٢٨٥



بالشرع في هذه الأمور كلها.

فلو أن أحداً أَثْبَتَ شيئاً من الأسباب لعبادة تَعَبَّدَ الله بِهَا دون دليل، رددنا عليه ذلك، وقلنا: إن هذا غير مقبول، لأنه لابد أن يثبت بأن هذا سبب لتلك العبادة، وإلا فليس بمقبول منه، ولو أن أحداً شرع شيئاً من العبادت لم يأت به الشرع، أو أتى بشيء ورد به الشرع، لكن على هيئة ابتدعها، أو في زمانٍ ابتدعه، قلنا: إنها مردودة عليك، لأنه لابد أن تكون العبادة مبنية عى ما جاء به الشرع، لأن هذا هو مقتضى ما عَلَّمَكَ الله تعالى من العلم، ألاَّ تتعبد لله تعالى إلا بما شرع.

ولهذا قال العلماء: إن الأصل في العبادت الحظر حتى يقوم دليل على المشروعية، واستدلوا على ذلك بقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾(٣٣)، ويقول النبي ﷺ فيما ثبت عنه في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها: [مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْه أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ](٣٤) حتى لو كنت مخلصاً، وتريد الوصول إلى الله، وتريد الوصول إلى كرامته، ولكنه على غير الوجه المشروع، فإن ذلك مردود عليك.

ولو أنك أردت الوصول إلى الله من طريق لم يجعله الله تعالى طريقاً للوصول إليه فإن ذلك مردود عليك.

---

(٣٣) سورة الشورى: آية رقم: ٢١

(٣٤) متفق عليه. رواه البخاري [٢٦٩٧]، ومسلم (١٧١٨/١٧–١٨)، وأبو داود [٤٦٠٦]، وابن ماجة [١٤]، وأحمد (٦/ ٢٤٠، ٢٧٠)، والطيالسي [١٤٠٢]، وابن حبان [٢٦، ٢٧]، والدارقطني في «سننه» (٤/ ٢٢٤-٢٢٥)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١١٩، ١٥٠، ١٥١)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١١)، والقضاعي [٣٥٩–٣٦٠–٣٦١ تحقيقي]، وغيرهم من حديث عائشة رضي الله عنها.

إذا فواجب طالب العلم أن يكون مُتَعَبِّداً لله تعالى بما علمه من الشرع، لا يزيد ولا ينقص، لا يقول: إن هذا الأمر الذي أريد أن أتَعَبَّدُ لله به، أمر تسكن إليه نفسي، ويطمئن إليه قلبي، وينشرح به صدري، لا يقول هكذا، حتى لو حصل هذا فليزنها بميزان الشرع، فإن شهد الكتاب والسنة لها بالقبول، فعلى العين والرأس، وإلا فإنه قد يُزَيَّنُ له سوء عمله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[٣٥].

كذلك لابد أن يكون عاملاً بعلمه في الأخلاق والمعاملة، والعلم الشرعي يدعو إلى كل خُلقٍ فاضل من الصدق، والوفاء، ومحبة الخير للمؤمنين، حتى قال النبي ﷺ: [لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه][٣٦]، وقال ﷺ: [مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنْ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِه مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ][٣٧].

وكثير من الناس عندهم غيرة وحب للخير، ولكن لا يَسَعُون الناس

---

(٣٥) سورة فاطر: آية رقم: ٨

(٣٦) متفق عليه. رواه البخاري [١٣]، ومسلم [٤٥]، والنسائي [٥٠٣٩،٥٠١٧،٥٠١٦]، والترمذي [٢٥١٥]، وابن ماجة [٦٦]، والدارمي [٢٧٤٠]، وأحمد (٣/١٧٦،٢٧٢،٢٧٨)، والطيالسي [٢٠٠٤]، وأبو عوانة (١/٣٣)، وابن حبان [٢٣٤]، وغيرهم كثير ذكرتهم في تحقيقي لـ «مسند الشهاب ٨٨٨،٨٨٩».

(٣٧) صحيح. رواه مسلم [١٨٤٤]، والنسائي [٤١٩١]، وفي «الكبرى» (٤/٤٣١)، (٥/٢٢٢)، وابن ماجة [٣٩٥٦]، وأحمد (٢/١٦١،١٩١،١٩٢)، وابن حبان [٥٩٦١]، وأبو عوانة [٧١٤٧،٧١٤٩]، وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.



بأخلاقهم، نجده عنده شدةً وعنفاً، حتى في مقام الدعوة إلى الله عز وجل نجده يستعمل العنف والشدة، وهذا خلاف الأخلاق التي أمر بهَا الله عز وجل.

واعلم أن حسن الخلق هو مما يقرب إلى الله عز وجل وأولى الناس برسول الله ﷺ وأدناهم منه مَنْزِلَة أحاسنهم أخلاقاً كما قال ﷺ: [إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقاً، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ، قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: الْمُتَكَبِّرُونَ][(٣٨)].

الأمر السادس: الدعوة إلى الله.

أن يكون داعياً بعلمه إلى الله عز وجل يدعو في كل مناسبة في المساجد، وفي المجالس، وفي الأسواق، وفي كل مناسبة، هذا النبي ﷺ بعد أن أتاه الله النبوة والرسالة ما جلس في بيته، بل كان يدعو الناس ويتحرك، وأنا لا أريد من طلبة العلم أن يكونوا نسخاً من كتب، ولكني أريد منهم أن يكونوا علماء عاملين.

الأمر السابع: الحكمة.

أن يكون مُتَحَلِّياً بالحكمة حيث يقول الله: ﴿يُؤْتِي الحكمة من يشاءُ

(٣٨) صحيح لغيره. رواه الترمذي [٢٠١٨] من حديث جابر ﷺ، وأحمد (٤/١٩٣، ١٩٤)، وابن حبان [٤٨٢]، [٥٥٥٧]، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/١٩٣، ١٩٤)، وفي «الشعب» (٤/٢٥٠) من حديث أبي ثعلبة الخشني، وفي الباب عن أبي هريرة وابن عباس. والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» [٧٩١].





ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ﴾[٣٩]، والحكمة أن يكون طالب العلم مُرَبِّياً لغيره بما يتخلق به من الأخلاق، وبما يدعو إليه من دين الله عز وجل بحيث يخاطب كل إنسان بما يليق بحاله، وإذا سلكنا هذا الطريق حصل لنا خير كثير، كما قال ربنا عز وجل: ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ﴾، والحكيم هو الذي يُنَزِّلُ الأشياء منازلها، لأن الحكيم مأخوذ من الإحكام، وهو الإتقان، وإتقان الشيء أن يُنَزِّلَه مَنْزِلَته، فينبغي بل يجب على طالب العلم أن يكون حكيماً في دعوته.

وقد ذكر الله مراتب الدعوة في قوله تعالى: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾[٤٠]، وذكر الله تعالى مرتبة رابعة في جدال أهل الكتاب، فقال تعالى: ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ﴾[٤١]، فيختار طالب العلم من أساليب الدعوة ما يكون أقرب إلى القبول.

ومثال ذلك في دعوة الرسول ﷺ، جاء أعرابي فبال في جهة من المسجد، فقام إليه الصحابة يزجرونه، فنهاهم النبي ﷺ، ولما قضى بوله، دعاه النبي، وقال: [إنَّ هذه المَساجدَ لا تَصْلُحُ لشيْءٍ منْ هَذا البَوْل والقَذَر. إنَّما هيَ لذكْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ والصَّلاة وقراءَة القرْآن][٤٢]، أو كما قال النبي ﷺ.

---

(٣٩) سورة البقرة: آية رقم: ٢٦٩

(٤٠) سورة النحل: آية رقم: ١٢٥

(٤١) سورة العنكبوت: آية رقم: ٤٦

(٤٢) [illegible]. رواه مسلم [٢٨٥]، وأحمد (٣/١٩١)، وأبو عوانة [٥٦٧]، وابن حبان [١٤٠١]، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/٤١٢)، والطبراني في «الأوسط» (٥/٤٩٤٧)، وطرفه [لا تزرموه ......] من حديث أنس بن مالك، وأصل الحديث في الصحيحين.



أرأيتم أحسن من هذه الحكمة؟ فهذا الأعرابي انشرح صدره، واقتنع حتى إنه قال: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً.

وقصة أخرى: عن معاوية بن الحكم السُّلَمي، قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَومِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ! فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ ﷺ - فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي - مَا رَأَيْتُ مُعَلِّماً بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيماً مِنْهُ، - فَوَاللهِ - مَا كَهَرَنِي، وَلا ضَرَبَنِي، وَلا شَتَمَنِي، قَالَ: [إِنَّ هَذِهِ الصَّلاةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ](٤٣)، ومن هنا نجد أن الدعوة إلى الله يجب أن تكون بالحكمة، كما أمر الله عز وجل.

ومثال آخر: أن النبي ﷺ رأى رجلاً وفي يده خاتم ذهب - وخاتم الذهب حرام على الرجال - فَنَزَعه النبي ﷺ من يده، ورمى به، وقال: [يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَضَعُهَا فِي يَدِهِ](٤٤)، ولما انصرف النبي ﷺ قيل للرجل: خذ خاتمك انتفع به، فقال: والله لا آخذ خاتماً طرحه رسول الله ﷺ، فأسلوب التوجيه هنا أشد لأن لكل مقام مقالاً، وهكذا

---

(٤٣) صحيح. رواه مسلم [٥٣٧]، والبخاري في «خلق أفعال العباد» [١٤٨]، وأبو داود [٩٣٠، ٩٣١]، والنسائي (٣/ ١٤، ١٦)، والدارمي (١/ ٣٥٣، ٣٥٤)، وأحمد (٥/ ٤٤٧، ٤٤٨)، والطيالسي [١١٠٥]، وغيرهم كثير من حديث معاوية بن الحكم السُّلمي رضي الله عنه.

(٤٤) صحيح. رواه مسلم [٢٠٩١]، وابن حبان [١٥]، وأبو عوانة [٨٦١]، والبيهقي في «الكبرى» (٢/ ٤٢٤)، وفي «شعب الإيمان» (٥/ ١٩٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٤١٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.



ينبغي لكل من يدعو إلى الله أن يُنَزِّلَ الأمور منازلها، وألا يجعل الناس على حد سواء، والمقصود حصول المنفعة.

وإذا تأملنا ما عليه كثير من الدعاة اليوم، وجدنا أن بعضهم تأخذه الغيرة حتى ينفر الناس من دعوته، لو وجد أحداً يفعل شيئاً محرماً لوجدته يشهر به بقوة وبشدة، يقول: ما تخاف الله؟، ما تخشى الله؟، وما أشبه ذلك حتى ينفر منه، وهذا ليس بطيب، لأن هذا يقابل بالضد، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية لما نقل عن الشافعي ما يراه في أهل الكلام حينما قال: حكمي في أهل الكلام أن يُضْرَبُوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام.

قال شيخ الإسلام[٤٥]: إن الإنسان إذا نظر إلى هؤلاء، وجدهم مستحقين لما قاله الشافعي من وجه، ولكنه إذا نظر إليهم بعين القدر، والحيرة قد استولت عليهم، والشيطان قد استحوذ عليهم، فإنه يَرق لهم، ويرحمهم، ويحمد الله أن عافاه مما ابتلاهم به، أوتوا ذكاء، وما أوتوا ذكاء، وأوتوا فهوماً، وما أوتوا علوماً، أو أوتوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة، فما أغنى عنهم سمعهم، ولا أبصارهم، ولا أفئدتهم من شيء.

هكذا ينبغي لنا أيها الإخوة أن ننظر إلى أهل المعاصي بعينين: عين الشرع، وعين القدر، عين الشرع — أي: لا تأخذنا في الله لومة لائم —، كما قال تعالى عن الزانية والزاني: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾[٤٦].

---

(٤٥) في «مجموع الفتاوى» (٥/١١٩).

(٤٦) سورة النور: آية رقم: ٢



وننظر إليهم بعين القدر فنرحمهم، ونرق لهم، ونعاملهم بما نراه أقرب إلى حصول المقصود، وزوال المكروه.

وهذا من آثار طالب العلم، بخلاف الجاهل الذي عنده غيرة، لكن ليس عنده علم، فطالب العلم الداعية إلى الله يجب أن يستعمل الحكمة.

الأمر الثامن: أن يكون طالب العلم صابراً على التعلم.

أي: مثابراً عليه لا يقطعه، ولا يمل، بل يكون مُسْتَمِراً في تعلمه بقدر المستطاع، وليصبر على العلم، ولا يمل، فإن الإنسان إذا طرقه الملل استحسر وترك، ولكن إذا كان مثابراً على العلم، فإنه ينال أجر الصابرين من وجه، وتكون له العاقبة من وجه آخر، واستمع إلى قول الله عز وجل مخاطباً نبيه: ﴿ تلك من أنباء الغيب نُوحيها إليك ما كُنت تعلمها أنت ولا قومُك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾[٤٧].

الأمر التاسع: احترام العلماء وتقديرهم.

إن على طلبة العلم احترام العلماء وتقديرهم، وأن تتسع صدورهم لما يحصل من اختلاف بين العلماء وغيرهم، وأن يقابلوا هذا بالاعتذار عَمَّنْ سلك سبيلاً خطأ في اعتقادهم، وهذه نقطة مهمة جداً، لأن بعض الناس يَتَتَبَّعُ أخطاء الآخرين، ليتخذ منها ما ليس لائقاً في حقهم، ويشوش على الناس سمعتهم، وهذا من أكبر الأخطاء، وإذا كان اغتياب العامي من أهل الناس من كبائر الذنوب، فإن اغتياب العالم أكبر وأكبر، لأن اغتياب العالم لا يقتصر ضرره على العالم، بل عليه وعلى ما يحمله من العلم الشرعي[٤٨].

(٤٧) سورة هود: آية رقم: ٤٩

(٤٨) راجع في ذلك كتاب «حرمة أهل العلم» للشيخ / محمد بن أحمد بن أسماعيل المقدم حفظه الله.

والناس إذا زهدوا في العالم، أو سقط من أعينهم، تسقط كلمته أيضا، وإذا كان يقول الحق ويهدي إليه فإن غيبة هذا الرجل لهذا العالم تكون حائلاً بين الناس وبين علمه الشرعي، وهذا خطره كبير وعظيم.

أقول: إن على هؤلاء الشباب أن يحملوا ما جرى بين العلماء من الاختلاف على حسن النية، وعلى الاجتهاد، وأن يعذروهم فيما أخطأوا فيه، ولا مانع أن يتكلموا معهم فيما يعتقدون أنه خطأ، ليبينوا لهم هل الخطأ منهم، أم من الذين قالوا إنهم أخطأوا؟ لأن الإنسان أحياناً يتصور أن قول العالم خطأ، ثم بعد المناقشة يتبين له صوابه، والإنسان بشر: [كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ][(٤٩)] أما أن يفرح بزلَّة العالم وخطئه، ليشيعها بين الناس، فتحصل الفرقة، فإن هذا ليس من طريق السلف، وكذلك أيضاً ما يحصل من الأخطاء من الأمراء، لا يجوز لنا أن نتخذ ما يخطئون فيه سُلَّماً للقدح فيهم في كل شيء، ونتغاضى عما لهم من الحسنات، لأن الله يقول في كتابه: ﴿يا أيُّها الَّذين آمنُوا كُونُوا قوَّامين لله شُهداء بالقسط ولا يجرمنَّكُم شنآنُ قوم على ألاَّ تعدلُوا﴾[(٥٠)]، يعني: لا يحملكم بغض قوم على عدم العدل، فالعدل واجب، ولا يحل للإنسان أن يأخذ زلات أحد من الأمراء أو العلماء أو

---

(٤٩) حسنه الألباني وفيه ضعف. رواه الترمذي [٢٤٩٩]، وابن ماجة [٤٢٥١]، وأحمد في «مسنده» (٣/ ١٩٨)، وفي «الزهد» [ص ٩٦]، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٤٤)، وأبو يعلى في «مسنده» [٢٩٢٢]، وغيرهم.

قلت: والحديث إلى الضعف أقرب، وقد بينت ذلك في كتابي «الأقوال المنيفة في تحقيق الأحاديث الضعيفة».

(٥٠) سورة المائدة: آية رقم: ٨



غيرهم فيشيعها بين الناس، ثم يسكت عن حسناتهم، فإن هذا ليس بالعدل، وَقِسْ هذا الشيء على نفسك، لو أن أحداً سُلِّطَ عليك، وصار ينشر زلاتك وسيئاتك، ويخفي حسناتك وإصاباتك، لعددت ذلك جناية منه عليك، فإذا كنت ترى ذلك في نفسك، فإنه يجب عليك أن ترى ذلك في غيرك، وكما أشرت آنفاً إلى علاج ما تظنه خطأ، أن تتصل بمن رأيت أنه أخطأ، وأن تناقشه، ويتبين الموقف بعد المناقشة.

فكم من إنسان بعد المناقشة يرجع عن قوله إلى ما يكون هو الصواب، وكم من إنسان بعد المناقشة يكون قوله هو الصواب، وَظَنُّنَا هو الخطأ، [فالْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً] (٥١)، وقد قال النبي ﷺ: [مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنْ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْته مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْه] (٥٢) وهذا هو العدل والاستقامة.

الأمر العاشر: التمسك بالكتاب والسنة.

يجب على طلبة العلم الحرص التام على تلقي العلم، والأخذ من أصوله التي لا فلاح لطالب العلم إن لم يبدأ بها وهي:

١ - القرآن الكريم: فإنه يجب على طالب العلم الحرص عليه قراءة،

---

(٥١) متفق عليه. رواه البخاري [٤٨١]، [٢٥٨٥]، [٦٠٢٦]، ومسلم [٢٥٨٥]، والترمذي [١٩٩٣]، والنسائي [٢٥٦٠]، وأحمد (٤/٤٠٤،٤٠٥،٤٠٩)، وأبو الشيخ في «الأمثال» [٣٠٠]، والقضاعي في «مسند الشهاب» [١٣٤]، وغيرهم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٥٢) صحيح. رواه مسلم [١٨٤٤]، والنسائي [٤١٩١]، وفي «الكبرى» (٤/٤٣١)، (٥/٢٢٢)، وابن ماجة [٣٩٥٦]، وأحمد (٢/١٦١،١٩١،١٩٢)، وغيرهم. وقد مر تخريجه بأكثر من ذلك في الحديث المتقدم برقم (٣٧).



وحفظاً، وفهماً، وعملاً به، فإن القرآن هو حبل الله المتين، وهو أساس العلوم، وقد كان السلف يحرصون عليه غاية الحرص، فيذكر عنهم الشيء العجيب من حرصهم على القرآن، فتجد أحدهم حفظ القرآن وعمره سبع سنوات، وبعضهم حفظ القرآن في أقل من شهر، وفي هذا دلالة على حرص السلف ﷺ على القرآن.

فيجب على طالب العلم الحرص عليه وحفظه على يد أحد المعلمين، لأن القرآن يؤخذ عن طريق التلقي، وإنه مما يؤسف له أن تجد بعض طلبة العلم لا يحفظ القرآن، بل بعضهم لا يحسن القراءة، وهذا خلل كبير في منهج طلب العلم، لذلك أكرر أنه يجب على طلبة العلم الحرص على حفظ القرآن، والعمل به، والدعوة إليه، وفهمه فهماً مطابقاً لفهم السلف الصالح.

٢ - السنة الصحيحة: فهي ثاني المصدرين للشريعة الإسلامية، وهي الموضحة للقرآن الكريم، فيجب على طالب العلم الجمع بينهما، والحرص عليهما، وعلى طالب العلم حفظ السنة، إما بحفظ نصوص الأحاديث، أو بدراسة أسانيدها ومتونها، وتمييز الصحيح من الضعيف، وكذلك يكون حفظ السنة بالدفاع عنها، والرد على شبهات أهل البدع في السنة.

فيجب على طالب العلم أن يلتزم بالقرآن والسنة الصحيحة، وهما له - أي: طالب العلم - كالجناحين للطائر إذا انكسر أحدهما لم يطر، لذلك لا تراعي السنة، وتغفل عن القرآن، أو تراعي القرآن، وتغفل عن السنة، فكثير من طلبة العلم يعتني بالسنة، وشروحها،



ورجالها، ومصطلحاتها اعتناءً كاملاً، لكن لو سألته عن آية من كتاب الله لرأيته جاهلاً بهَا، وهذا غلط كبير، فلابد أن يكون الكتاب والسنة جناحين لك يا طالب العلم، وهناك شيء ثالث مهم وهو:

٣ - كلام العلماء: فلا تهمل كلام العلماء، ولا تغفل عنه، لأن العلماء أشد رسوخاً منك في العلم، وعندهم من قواعد الشريعة وأسرارها وضوابطها ما ليس عندك، ولهذا كان العلماء الأجلاء المحققون إذا تَرَجَّحَ عندهم قول، يقولون: إن كان أحد قال به، وإلا فلا نقول به، فمثلاً شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - على علمه، وسعة اطلاعه، إذا قال قولاً لا يعلم به قائلاً قال: أنا أقول به إن كان قد قيل به، ولا يأخذ برأيه، لذلك يجب على طالب العلم الرجوع إلى كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، وأن يستعين بكلام العلماء.

والرجوع إلى كتاب الله يكون بحفظه وتدبره والعمل على ما جاء به، لأن الله يقول: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٥٣]، ﴿لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ وتدبر الآيات يوصل إلى فهم المعنى، ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ والتذكر هو العمل بهذا القرآن، نزل هذا القرآن لهذه الحكمة، وإذا كان نزل لذلك فلنرجع إلى الكتاب لنتدبره، ولنعلم معانيه، ثم نطبق ما جاء به، ووالله إن فيه سعادة الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾[٥٤].

---

(٥٣) سورة ص: آية رقم: ٢٩

(٥٤) سورة طه: آية رقم: ١٢٣ - ١٢٤



ولهذا لا تجد أحداً أَنْعَم بالاً، ولا أشرح صدراً، ولا أشد طمأنينة في قلبه من المؤمن أبداً، حتى وإن كان فقيراً، فالمؤمن أشد الناس انشراحاً، وأشد الناس اطمئناناً، وأوسع الناس صدراً، واقرءوا إن شئتم قول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[55]

ما هي الحياة الطيبة؟

الجواب: الحياة الطيبة هي انشراح الصدر، وطمأنينة القلب، حتى ولو كان الإنسان في أشد بؤس، فإنه مطمئن القلب، منشرح الصدر، قال النبي ﷺ: [عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ][56].

الكافر إذا أصابته الضراء هل يصبر؟ فالجواب: لا. بل يحزن وتضيق عليه الدنيا، وربما انتحر، وقتل نفسه، ولكن المؤمن يصبر ويجد لذة الصبر انشراحاً وطمأنينة، ولذلك تكون حياته طيبة، وبذلك يكون قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ حياة طيبة في قلبه ونفسه.

بعض المؤرخين الذين تكلموا عن حياة الحافظ ابن حجر رحمه الله وكان قاضي قضاة مصر في عهده، وكان إذا جاء إلى مكان عمله يأتي بعربة تجرها الخيول أو البغال في موكب، فَمَرَّ ذات يوم برجل يهودي

---

(٥٥) سورة النحل: آية رقم: ٩٧

(٥٦) صحيح. رواه مسلم [٢٩٩٩]، والدارمي [٢٧٧٧]، وأحمد (٤/ ٣٣٢، ٣٣٣)، (٦/ ١٥، ١٦)، وابن حبان [٢٩٩٩]، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ١١٦)، والطبراني في «الأوسط» (٤/ رقم٣٨٤٩)، وفي «الكبير» (٨/ رقم٧٣١٦، ٧٣١٧)، وغيرهم عن صهيب ﷺ.



في مصر زيَّات – أي: يبيع الزيت – وعادة يكون الزيَّات وسخ الثياب، فجاء اليهودي فأوقف الموكب، وقال للحافظ ابن حجر – رحمه الله –: إن نبيكم يقول: [الدُّنيا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ] (٥٧) وأنت قاضي قضاة مصر، وأنت في هذا الموكب، وفي هذا النعيم، وأنا – يعني نفسه اليهودي – في هذا العذاب، وهذا الشقاء، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: أنا فيما أنا فيه من الترف والنعيم، يعتبر بالنسبة إلى نعيم الجنة سجْناً، وأما أنت بالنسبة للشقاء الذي أنت فيه، يعتبر بالنسبة لعذابَ النَّار جنَّة، فقال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأسلم.

فالمؤمن في خير مَهْمَا كان، وهو الذي ربح الدنيا والآخرة، والكافر في شرٍّ، وهو الذي خسر الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (٥٨).

فالكفار، والذين أضاعوا دين الله، وتاهوا في لذاتهم وترفهم، فهم وإن بنوا القصور وشيدوها، وازدهرت لهم الدنيا، فإنهم في الحقيقة في جحيم، حتى قال بعض السلف: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه، لجالدونا عليه بالسيوف.

---

(٥٧) صحيح. رواه مسلم [٢٩٥٦]، والترمذي [٢٣٢٥]، وابن ماجة [٤١١٣]، وأحمد (٢/٣٢٣)، (٢/٣٨٩)، (٢/٤٨٥). وفي «الزهد» (ص ٢٨)، وأبو يعلى [٦٤٦٥]، وغيرهم كثير عن أبي هريرة ﷺ.

(٥٨) سورة العصر: آية رقم: ١–٣





أما المؤمنون فقد نعموا بمناجاة الله وذكره، وكانوا مع قضاء الله وقدره، فَإِنْ أصابتهم الضَّرَّاء صَبَروا، وإن أصابتهم السَّرَّاءُ شَكَرُوا، فكانوا في أنعم ما يكون، بخلاف أصحاب الدنيا، فإنهم كما وصفهم الله بقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾(٥٩).

وأما الرجوع إلى السنة النبوية: فسنة الرسول ﷺ ثابتة بين أيدينا ولله الحمد، ومحفوظة، حتى ما كان مكذوباً على الرسول ﷺ، فإن أهل العلم بينوا سنته، وبينوا ما هو مكذوب عليه، وبقيت السنة ولله الحمد ظاهرة محفوظة، يستطيع أي إنسان أن يصل إليها، إما بمراجعة الكتب - إن تمكن - وإلا ففي سؤال أهل العلم.

ولكن إذا قال قائل: كيف توفق بين ما قلت من الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟ مع أننا نجد أن أناساً يتبعون الكتب المؤلفة في المذاهب، ويقول: أنا مذهبي كذا، وأنا مذهبي كذا، وأنا مذهبي كذا!! حتى إنك لتفتي الرجل وتقول له: قال النبي ﷺ: كذا، فيقول: أنا مذهبي حنفي، أنا مذهبي مالكي، أنا مذهبي شافعي، أنا مذهبي حنبلي ... وما أشبه ذلك.

فالجواب: أن نقول لهم إننا جميعاً نقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

فما معنى شهادة أن محمداً رسول الله؟

قال العلماء: معناها: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر،

(٥٩) سورة التوبة: آية رقم: ٥٨



واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

فإذا قال إنسان: أنا مذهبي كذا، أو مذهبي كذا، أو مذهبي كذا فنقول له: هذا قول الرسول ﷺ، فلا تعارضه بقول أحد، حتى أئمة المذاهب ينهون عن تقليدهم تقليداً محضاً ويقولون: متى تبين الحق فإن الواجب الرجوع إليه.

فنقول لمن عارضنا بمذهب فلان أو فلان: نحن وأنت نشهد أن محمداً رسول الله، وتقتضي هذه الشهادة ألا نتبع إلا رسول الله ﷺ، وهذه السُّنَّة بين أيدينا واضحة جلية، ولكن لست أعني بهذا القول أن نقلل من أهمية الرجوع لكتب الفقهاء وأهل العلم، بل إن الرجوع إلى كتبهم للانتفاع بهَا، ومعرفة الطرق التي بهَا تُستنبط الأحكام من أدلتها، من الأمور التي لا يمكن أن يُحقق طَلب العلم إلا بالرجوع إليها.

ولذلك نجد أولئك القوم الذين لم يتفقهوا على أيدي العلماء، نجد أن عندهم من الزلات شيئاً كثيراً، لأنهم صاروا ينظرون بنظر أ[illegible] ينبغي أن ينظروا فيه، يأخذون مثلاً صحيح البخاري، فيذهبون إلى ما فيه من الأحاديث، مع أن في الأحاديث ما هو عام ومخصص، ومطلق ومقيد، وشيء منسوخ، لكنهم لا يهتدون إلى ذلك، فيحصل بهذا ضلال كبير.

الأمر الحادي عشر: التثبت والثبات.

من أهم الآداب التي يجب أن يتحلى بهَا طالب العلم التثبت، فالتثبت فيما ينقل من الأخبار، والتثبت فيما يصدر منك من



الأحكام، فالأخبار إذا نقلت فلابد أن تتثبت أولاً هل صَحَّتْ عمن نقلت إليه أو لا؟ ثم إذا صحت فلا تحكم، تَثَبَّتْ في الحكم، ربما يكون الخبر الذي سمعته مَبْنِياً على أصل تجهله أنت، فتحكم أنه خطأ، والواقع أنه ليس بخطأ.

ولكن كيف العلاج في هذا الحال؟

العــــلاج: أن تتصل بمن نُسِبَ إليه الخبر، وتقول: نقل عنك كذا وكذا، فهل هذا صحيح؟، ثم تناقشه، فقد يكون استنكارك، ونفور نفسك منه أَوَّلَ وَهْلَة سمعته، لأنك لا تدري ما سبب هذا المنقول، ويقال: إذا عُلِمَ السَبَبُ بَطَلَ العَجَبُ، فلابد أولاً من التثبت، ثم بعد ذلك تتصل بمن نقل إليه، وتسأله هل صح ذلك أم لا؟ ثم تناقشه: إما أن يكون هو على حق وصواب، فترجع إليه، أو يكون الصواب معك فيرجع إليه.

وهناك فرق بين الثبات والتثبت، فهما شيئان متشابهان لفظاً، مختلفان معنى، فالثبات معناه: الصبر والمثابرة، وألا يمل، ولا يضجر، وألا يأخذ من كل كتاب نتفة، أو من كل فن قطعة، ثم يترك، لأن هذا الذي يضر الطالب، ويقطع عليه الأيام بلا فائدة، فمثلاً بعض الطلاب يقرأ في النحو: في الآجرومية، ومرة في متن قطر الندى، ومرة في الألفية، وكذلك الحال في المصطلح: مرة في النخبة، ومرة في ألفية العراقي، وكذلك في الفقه: مرة في زاد المستقنع، ومرة في عمدة الأحكام، ومرة في المغني، ومرة في شرح المهذب، وهكذا في كل كتاب - وهَلُمَّ جَرًّا -، هذا في الغالب لا يُحَصِّلُ علماً، ولو حصَّلَ



علماً، فإنه يُحَصِّلُ مسائل لا أصول، وتحصيل المسائل كالذي يلتقط الجراد واحدة بعد الأخرى، لكن التأصيل والرسوخ والثبات، هذا هو المهم، اثْبُت بالنسبة للكتب التي تُقرأ أو تُراجع، واثْبُت بالنسبة للشيوخ أيضاً الذين تتلقى عنهم، لا تكون ذَوَّاقاً كلَّ أسبوع عن شيخ، كل شهر عند شيخ، قرِّر أولاً من ستتلقى العلم عنده، ثم إذا قَرْرَت ذلك فاثْبُت، ولا تجعل كل شهر أو كل أسبوع لك شيخاً، ولا فرق بين أن تجعل لك شيخاً في الفقه، وتستمر معه في الفقه، وشيخ آخر في النحو وتستمر معه في النحو وشيخ آخر في العقيدة والتوحيد، وتستمر معه، المهم أن تستمر لا أن تتذوق، وتكون كالرجل المطلاق، كلما تزوج امرأة، وجلس عندها سبعة أيام طلقها، وذهب يطلب أخرى.

أيضا التثبت أمر مهم، لأن الناقلين تارة تكون لهم إيرادات سيئة ينقلون ما يشوه سمعة المنقول عنه قصداً وعمداً، وتارة لا يكون عندهم إيرادات سيئة، ولكنهم يفهمون الشيء على خلاف معناه الذي أُريد به، ولهذا يجب التثبت، فإذا ثبت بالسند ما نُقِلَ، أتى دور المناقشة مع صاحبه الذي نُقِلَ عنه قبل أن تحكم على القول بأنه خطأ أو غير خطأ، وذلك لأنه ربما يظهر لك بالمناقشة أن الصواب مع هذا الذي نُقل عنه الكلام.

الأمر الثاني عشر: الحرص على فهم مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ.

من الأمور المهمة في طلب العلم قضية الفهم، أي: فهم مراد الله عز وجل، ومراد رسوله ﷺ، لأن كثيراً من الناس أوتوا علماً، ولكن لم

يؤتوا فهماً، لا يكفي أن تحفظ كتاب الله، وما تيسر من سنة رسول الله ﷺ بدون فهم، لابد أن تفهم عن الله ورسوله ما أراده الله ورسوله، وما أكثر الخلل من قوم استدلوا بالنصوص على غير مراد الله ورسوله، فحصل بذلك الضلال، وهنا أنبه على نقطة مهمة ألا وهي: أن الخطأ في الفهم قد يكون أشد خطراً من الخطأ بالجهل، لأن الجاهل الذي يخطئ بجهله يعرف أنه جاهل ويتعلم، لكن الذي فهم خطأ يعتقد في نفسه أنه عالم مصيب، ويعتقد أن هذا هو مراد الله ورسوله، ولنضرب لذلك بعض الأمثلة، ليتبين لنا أهمية الفهم.

المثال الأول:

قال الله تعالى: ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[٦٠] فقد فَضَّل الله عز وجل سليمان على داود في هذه القضية بالفهم ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ ولكن ليس هناك نقص في علم داود: ﴿ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾، وانظر إلى هذه الآية الكريمة لما ذكر الله عز وجل ما امتاز به سليمان من الفهم، فإنه ذكر آيضاً ميزة داود عليه السلام، فقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ ﴾، وذلك حتى يتعادل كل منهما فذكر الله تعالى ما اشتركا فيه من الحكم العلم، ثم ذكر ما امتاز به كل واحد منهما عن الآخر، وهذا يدلنا على أهمية الفهم، وأن العلم ليس كل شيء.

---

(٦٠) سورة الأنبياء: آية رقم: ٧٨-٧٩

المثال الثاني:

إذا كان عندك وعاءان، أحدهما فيه ماء ساخن دافئ، والآخر فيه ماء بارد قارس، والفصل فصل الشتاء، فجاء رجل يريد الاغتسال من الجنابة، فقال بعض الناس: الأفضل أن تستخدم الماء البارد وذلك، لأن الماء البارد فيه مشقة، لأن النبي ﷺ قال: [أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟]، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: [إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ..][61] الحديث، يعني إسباغ الوضوء في أيام البرد، فإذا أسبغت الوضوء بالماء البارد، كان أفضل من أن تسبغ الوضوء بالماء الدافيء المناسب لطبيعة الجو، فالرجل أفتى بأن استخدام الماء البارد أفضل، واستدل بالحديث السابق، فهل الخطأ في العلم أم في الفهم؟

فالجواب: أن الخطأ في الفهم، لأن الرسول ﷺ يقول في: [إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ]، ولم يقل: أن تختار الماء البارد للوضوء، وفرق بين التعبيرين، لو كان الوارد في الحديث التعبير الثاني لقلنا: نعم اختر الماء البارد، ولكن قال: [إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ]، أي: أن الإنسان لا يمنعه برودة الماء من إسباغ الوضوء.

ثم نقول: **هل يريد الله بعباده اليسر أم يريد بعباده العسر؟**

الجواب: في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[62]،

---

(61) صحيح. رواه مسلم [251]، والترمذي [51]، والنسائي [143]، وأحمد (2/277،301،303)، ومالك [384]، وابن خزيمة [5]، وابن حبان [1038]، وأبو عوانة [623]، وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(62) سورة البقرة: آية رقم: 185



وفي قول النبي ﷺ : [إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ][٦٣].

فأقول لطلبة العلم: إن قضية الفهم قضية مهمة، فعلينا أن نفهم ماذا أراد الله من عباده؟ هل أراد أن يشق عليهم في أداء العبادات، أم أراد بهم اليسر؟!

ولا شك أن الله عز وجل يريد بنا اليسر، ولايريد بنا العسر.

فهذه بعض الآداب مما ينبغي لطالب العلم أن يكون متأثراً بها في علمه، حتى يكون قدوة صالحاً، وحتى يكون داعياً إلي الخير، وإماماً في دين الله عز وجل، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، كما قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[٦٤].

---

(٦٣) صحيح. أخرجه البخاري [٣٩]، والنسائي [٥٠٣٤]، وفي «الكبرى» (٦/ ٥٣٧)، وابن حبان [٣٥١]، والبيهقي في «الكبوى» (٣/ ١٨)، وفي «الشعب» (٣/ ٤٠٠، ٤٠١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» [٩٧٦]، وغيرهم عن أبي هريرة ﷺ.

(٦٤) سورة السجدة: آية رقم: ٢٤





الفصل الثاني: الأسباب المعينة على طلب العلم

الأسباب المعينة على طلب العلم كثيرة، نذكر منها:

أولاً: التقوى.

وهي وصية الله للأولين والآخرين من عباده، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾(٦٥).

وهي أيضاً وصية الرسول ﷺ لأمته، فعن أبي أمامة صدى بن عجلان الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: [اتَّقُوا رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا أُمَرَاءَكُمْ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ](٦٦)، وكان ﷺ إذا بعث أميراً على سَرِيَّةٍ أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، ولم يزل السلف الصالح يتواصون بها في خطبهم ومكاتباتهم ووصاياهم عند الوفاة.

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى ابنه عبد الله:

أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل، فإنه من اتَّقَاه وَقَاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكر زاده.

وأوصى عليٌّ رضي الله عنه رجلاً فقال: أوصيك بتقوى الله عز وجل الذي لابد لك من لقائه، ولا منتهى لك دونه، وهو يملك الدنيا والآخرة.

وكتب أحد الصالحين إلى أخ له في الله تعالى: أما بعد... أوصيك

---

(٦٥) سورة النساء: آية رقم: ١٣١

(٦٦) صحيح. أخرجه الترمذي [٦١٦]، وأحمد (٥/ ٢٥١، ٢٦٢)، وابن حبان [٧٩٥]، والحاكم (١/ ٩، ٣٨٩)، والروياني [١٢٦٤]، وصححه الألباني في «الصحيحة» [٨٦٧].



بتقوى الله الذي نَجيك في سريرتك، ورقيبك في علانيتك، فاجعل الله من بالك على كل حال في ليلك ونهارك، وخَفِ الله بقدْرِ قربه منك وقدرتِهِ عليك، واعلم أنك بعينه لا تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا من ملكه إلى ملك غيره، فليعظُم منه حذرك، وليكثر وجلك، والسلام.

ومعنى التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه وقاية تقيه منه.

وتقوى العبد ربه: أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من غضبه وسخطه وقاية تقيه من ذلك، بفعل طاعته، واجتناب معاصيه.

واعلم أن التقوى أحياناً تقترن بالبر، فيقال: بر وتقوى، كما في قوله تعالى: ﴿وتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾[٦٧].

وتارة تذكر وحدها، فإن قرنت بالبر، صار البر فعل الأوامر، والتقوى ترك النواهي، وإذا أفردت صارت شاملة تعم فعل الأوامر واجتناب النواهي، وقد ذكر الله في كتابه أن الجنة أُعِدَّتْ للمتقين، فأهل التقوى هم أهل الجنة – جعلنا الله وإياكم منهم –، ولذلك يجب على الإنسان أن يتقي الله عز وجل، امتثالاً لأمره، وطلباً لثوابه، والنجاة من عقابه، قال الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[٦٨].

وهذه الآية فيها ثلاث فوائد مهمة:

الفائدة الأولى: ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ أي: يجعل لكم ما تفرقون به بين

---

(٦٧) سورة المائدة :آية رقم :٢

(٦٨) سورة الانفال :آية رقم :٢٩



الحق والباطل، وبين الضار والنافع، وهذا يدخل فيه العلم، بحيث يفتح الله على الإنسان من العلوم ما لا يفتح لغيره، فإن التقوى يحصل بها زيادة الهدى، وزيادة العلم، وزيادة الحفظ، ولهذا يُذْكَرُ عن الشافعي – رحمه الله – أنه قال[٦٩]:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفْظي فـأرشَـدَني إلى تَرْك المعَـاصِي
وقـــالَ اعلـمْ بأنَّ العـلمَ نورٌ ونورُ الله لا يُؤتَاه عـــاصِي

ولا شك أن الإنسان كلما ازداد علماً، ازداد معرفة وفرقاناً بين الحق والباطل، والضار والنافع، وكذلك يدخل فيه ما يفتح الله على الإنسان من الفهم، لأن التقوى سبب لقوة الفهم، وقوة الفهم يحصل بها زيادة العلم، فإنك ترى الرجلين يحفظان آية من كتاب الله، يستطيع أحدهما أن يستخرج منها ثلاثة أحكام، ويستطيع الآخر أن يستخرج أكثر من هذا، بحسب ما آتاه الله من الفهم. فالتقوى سبب لزيادة الفهم.

ويدخل في ذلك أيضاً الفراسة، أن الله يعطي المتقي فراسة يميز بها حتى بين الناس، فَبِمُجَرَّد ما يرى الإنسان، يعرف أنه كاذب أو صادق، أو بر أو فاجر، حتى أنه ربما يحكم على الشخص وهو لم يعاشره، ولم يعرف عنه شيئاً، بسبب ما أعطاه الله من الفراسة.

الفائدة الثانية: ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، وتكفير السيئات يكون بالأعمال الصالحة، فإن الأعمال الصالحة تُكَفِّرُ الأعمال السيئة، كما

(٦٩) قلت: لا يصح سماع الشافعي من وكيع بأي حال، فقد مات الاخير دون سماعه منه، ولكن الشافعي سمعه من علي بن خشرم، وهو الذي قاله، فكان الشافعي يستدل بهذا الشعر دون نسبته إلى علي، وليس في ذلك حرج، والله أعلم.





قال النبي ﷺ : [الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَت الْكَبَائِرُ](٧٠)، وقال الرسول ﷺ : [الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا](٧١)، فالكفارة تكون بالأعمال الصالحة، وهذا يعني أن الإنسان إذا اتقى الله سَهَّل له الأعمال الصالحة، التي يُكَفِّرُ بهَا عنه.

الفائدة الثالثة : ﴿ ويَغْفِرْ لكُم ﴾ بأن يُيَسِّرَكُم للاستغفار والتوبة، فإن هذا من نعمة الله على العبد أن يُيَسَّر للاستغفار والتوبة.

ثانيا : المثابرة والاستمرار على طلب العلم.

يتعين على طالب العلم أن يبذل الجهد في إدراك العلم، والصبر عليه، وأن يحتفظ به بعد تحصيله، فإن العلم لا يُنَالُ براحة الجسم، فيسلك المتعلم جميع الطرق الموصلة إلى العلم، وهو مثاب على ذلك، لما ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : [مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ بِهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ](٧٢)، فليثابر طالب العلم ويجتهد، ويسهر الليالي، ويدع عنه كل ما يصرفه أو يشغله عن طلب العلم.

---

(٧٠) صحيح. رواه مسلم [٢٣٣]، والترمذي [٢١٤]، وأحمد (٢ / ٤٠٠)، والبيهقي في «الشعب» (٣ / ٣٠٨)، وفي «الكبرى» (١٠ / ١٨٧)، وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧١) متفق عليه. رواه البخاري [١٧٧٣]، ومسلم [١٣٤٩]، والترمذي [٩٣٣]، والنسائي (٥ / ١١٢-١١٣)، وابن ماجة [٢٨٨٨]، ومالك [٧٦٧]، والدارمي [١٧٩٥]، وأحمد (٢ / ٢٤٦، ٢٦١، ٢٦٢)، والطيالسي [١٠٠٢]، وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧٢) صحيح. رواه مسلم [٢٦٩٩]، والترمذي [٢٦٤١، ٢٩٤٥]، وأبو داود [٣٦٤٣]، وابن ماجة [٢٢٥]، وغيرهم، وقد مر تخريجه في الحديث المرقوم برقم (١٦) فراجعه إن شئت.





وللسلف الصالح قضايا مشهورة في المثابرة على طلب العلم، حتى أنه يُروَى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سُئِل: بما أدركت العلم؟ قال: بلسان سئول، وقلب عقول، وبدن غير مئول!!.

وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: إن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه -وهو قائل- فأتوسَّد ردائي على بابه، تسفر الريح عَلَيَّ من التراب، فيخرج فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟! ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث.

فابن عباس رضي الله عنه تواضع للعلم، فرفعه الله به.

وهكذا ينبغي لطالب العلم أن يثابر المثابرة الكبيرة، ويُرْوَى أيضاً عن الشافعي -رحمه الله-: أنه استضافه الإمام أحمد ذات ليلة، فَقَدَّم له العشاء، فأكل الشافعي، ثم تفرق الرجلان إلى منامهما، فبقي الشافعي -رحمه الله- يفكر في استنباط أحكام من حديث، وهو قول النبي ﷺ: [يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ](٧٣)، «أبوعُمَير» كان معه طائر صغير يسمي «النُّغَيْرُ»، فمات هذا الطائر فحزن عليه الصبي، وكان النبي ﷺ يداعب الصبيان، ويكلم كل إنسان بما يليق به، فَظَلَّ طول الليل يستنبط من هذا الحديث، ويقال: إنه استنبط منه أكثر من ألف فائدة ولعله إذا استنبط فائدة

---

(٧٣) متفق عليه. رواه البخاري [٦١٢٩]، وفي «الأدب المفرد» [٢٦٩، ٣٨٤، ٨٤٧]، ومسلم [٢١٥٠]، والترمذي [٣٣٣]، [١٩٨٩]، وأبو داود [٤٩٦٩]، وابن ماجة [٣٧٢٠]، وأحمد (٣/١١٤، ١١٩، ١٧١، ١٨٨، ١٩٠، ٢٠١، ٢١٢، ٢٢٢، ٢٨٨)، والطيالسي [٢٠٨٨]، وعبد بن حميد [١٢٧٩، ١٣٣١، ١٤١٥ تحقيقي]، وغيرهم كثير من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وراجعه في المصدر الآخر.





جر إليها حديثاً آخر، وهكذا حتى تتم، فَلمَّا أُذِّنَ الفجر، قام الشافعي – رحمه الله – ولم يتوضأ، ثم انصرف إلى بيته، وكان الإمام أحمد يثني عليه عند أهله، فقالوا له: يا أبا عبد الله كيف تثني على هذا الرجل الذي أكل فشرب، ونام ولم يقم، وصلى الفجر بدون وضوء؟! فَسُئِلَ الإمام الشافعي فقال: أما كوني أكلت حتى أفرغت الإناء، فذلك لأني ما وجدت طعاماً أطيب من طعام الإمام أحمد، فأردت أن أملأ بطني منه، وأما كوني لم أقم لصلاة الليل، فإن العلم أفضل من قيام الليل، وقد كنت أفكر في هذا الحديث، وأما كوني لم أتوضأ لصلاة الفجر، فكنت على وضوء من صلاة العشاء، ولا يحب أن يكلفهم بماء الوضوء.

أقول على كل حال: إن المثابرة في طلب العلم أمر مهم، فلننظر في حاضرنا الآن هل نحن على هذه المثابرة؟ لا. أما الذين يدرسون دراسة نظامية فإنهم إذا انصرفوا من الدراسة ربما يتلهون بأشياء لا تعين على الدرس، وإني أضرب مثلاً، وأحب ألا يكون، وألا يوجد له نظير: أحد الطلبة في بعض المواد أجاب إجابة سيئة، فقال المدرس: لماذا؟ فقال: لأني قد أيست من فهم هذه المادة، فأنا لا أدرسها، ولكن أريد أن أكون حاملاً لها، انظر كيف اليأس؟! وهذا خطأ عظيم، يجب أن نثابر حتى نصل إلى الغاية.

وقد حدثني شيخنا المثابر عبد الرحمن السعدي – رحمه الله –: أنه ذكر عن الكسائي إمام أهل الكوفة في النحو أنه طلب علم النحو فلم يتمكن، وفي يوم من الأيام وجد نملة تحمل طعاماً لها، وتصعد





به إلى الجدار، وكلما صعدت سقطت، ولكنها ثابرت حتى تخلصت من هذه العقبة، وصعدت الجدار، فقال الكسائي: هذه النملة ثابرت حتى وصلت الغاية، فثابر حتى صار إماماً في النحو.

ولهذا ينبغي لنا أيها الطلبة أن نثابر ولا نيأس، فإن اليأس معناه سد باب الخير، وينبغي لنا ألا نتشاءم، بل نتفاءل، وأن نعد أنفسنا خيراً.

ثالثاً: الحفظ.

فيجب على طالب العلم الحرص على المذاكرة، وضبط ما تعلمه، إما بحفظه في صدره، أو كتابته، فإن الإنسان عرضة للنسيان، فإذا لم يحرص على المراجعة وتكرر ما تعلمه، فإن ذلك يضيع منه وينساه، وقد قيل:

العلم صيد والكتابة قيده ... قَيِّدْ صُيُودَكَ بالحبال الواثقة
فمن الحماقة أن تصيد غزالة ... وتتركها بين الخلائق طالقة

ومن الطرق التي تعين على حفظ العلم، وضبطه أن يهتدي الإنسان بعلمه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[74]، وقال: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾[75]، فكلما عمل الإنسان بعلمه زاده حفظاً وفهماً، لعموم قوله ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾.

رابعاً: ملازمة العلماء.

يجب على طالب العلم أن يستعين بالله عز وجل، ثم بأهل العلم،

---

(٧٤) سورة محمد: آية رقم: ١٧

(٧٥) سورة مريم: آية رقم: ٧٦

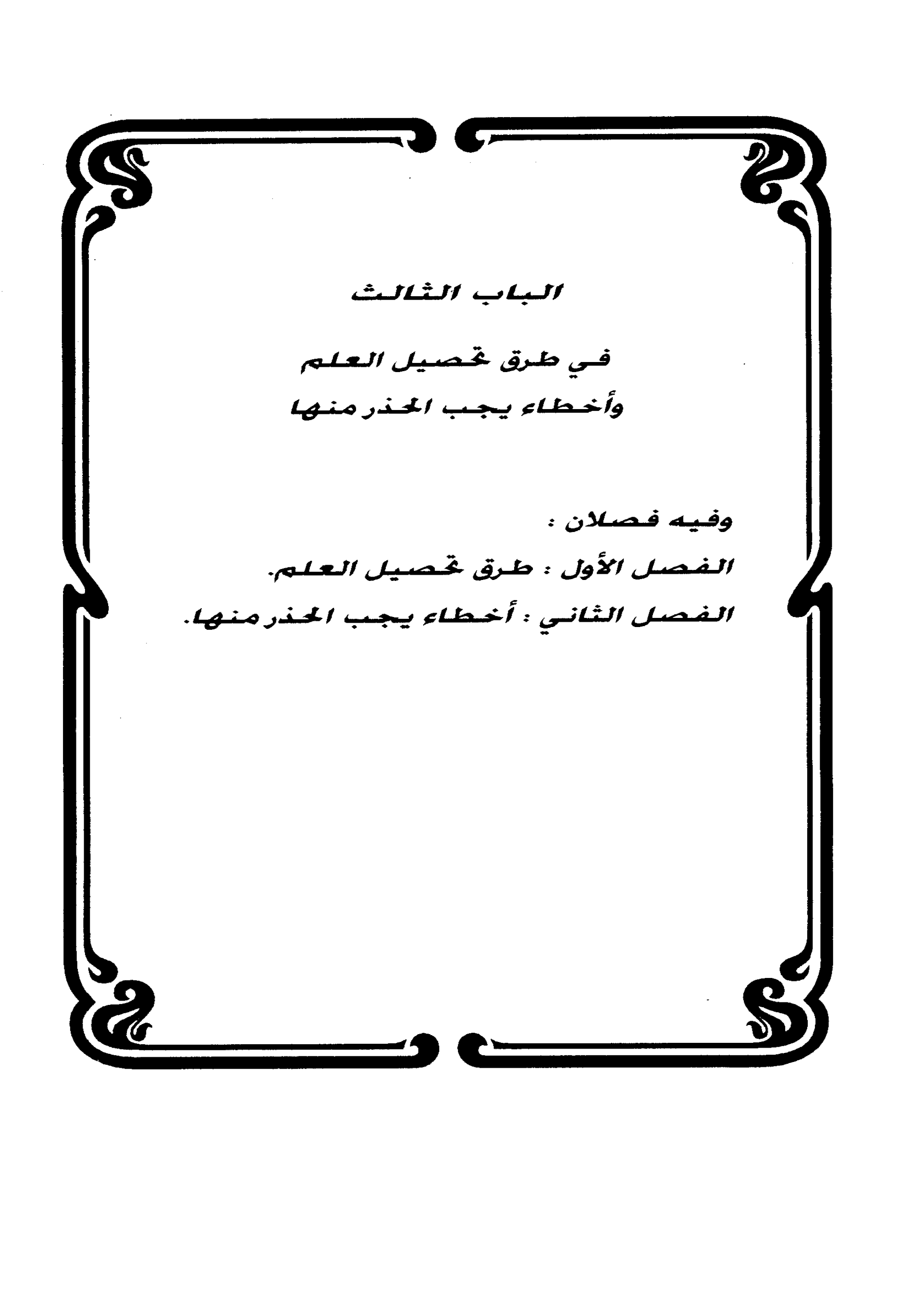




ويستعين بما كتبوا في كتبهم، لأن الاقتصار على مجرد القراءة والمطالعة يحتاج إلى وقت طويل، بخلاف من جلس إلى عالم يبين له، ويشرح له، وينير له الطريق. وأنا لا أقول: إنه لا يدرك العلم إلا بالتلقي من المشائخ، فقد يدرك الإنسان بالقراءة والمطالعة، لكن الغالب أنه إذا ما أكب إكباباً تامّاً ليلاً ونهاراً، ورُزِق الفهم فإنه قد يخطئ كثيراً، ولهذا يُقَال: **من كان دليله كتابه، فخطئه أكثر من صوابه**، ولكن ليس هذا على الإطلاق في الحقيقة.

ولكن الطريقة المثلى أن يتلقى العلم على المشائخ، وأنا أنصح طالب العلم أيضاً ألا يتلقف من كل شيخ في فن واحد، مثل أن يتعلم الفقه من أكثر من شيخ، لأن العلماء يختلفون في طريقة استدلالهم من الكتاب والسنة، ويختلفون في آرائهم أيضاً، فأنت تجعل لك عالماً تتلقى علمه في الفقه، أو البلاغة، و هكذا - أي: تتلقى العلم في فن واحد من شيخ واحد -، وإذا كان الشيخ عنده أكثر من فن، فتلتزم معه، لأنك إذا تلقيت علم الفقه مثلاً من هذا وهذا، واختلفوا في رأيهم، فماذا يكون موقفك وأنت طالب؟ يكون موقفك الحيرة والشك، لكن التزامك بعالم في فن معين، فهذا يؤدي إلى راحتك.





الباب الثالث

في طرق تحصيل العلم
وأخطاء يجب الحذر منها

وفيه فصلان :

الفصل الأول : طرق تحصيل العلم.

الفصل الثاني : أخطاء يجب الحذر منها.





الفصل الأول: طرق تحصيل العلم

من المعلوم أن الإنسان إذا أراد مكاناً، فلابد أن يعرف الطريق الموصل إليه، وإذا تعددت الطرق فإنه يبحث عن أقربها وأيسرها، لذلك كان من المهم لطالب العلم أن يبني طلبه للعلم على أصول، ولا يتخبط خبط عشواء، فمن لم يتقن الأصول حُرِمَ الوصول، قال الناظم:

وَبَعْـدُ فَـالعِلْـمُ بُحُـورٌ زَاخِـرَةْ ... لَنْ يَبْلُغَ الكَادِحُ فِيـهِ آخِـرَهْ

لكن في أُصُولِه تَسْهِيـلا ... لنَيْله فاحْرِصْ تَجِدْ سَبِيـلا

اغْتَنِمْ القَـوَاعِـدَ الأُصُـولا ... فَمَنْ تَفُتْـهُ يُحْـرَمُ الوصُـولا

فالأصول هي العلم، والمسائل فروع كأصل الشجرة وأغصانها، إذا لم تكن الأغصان على أصل جيد، فإنها تذبل وتهلك.

لكن ما هي الأصول؟ هل هي الأدلة الصحيحة؟ أو هي القواعد والضوابط؟ أو كلاهما؟.

الأصول هي أدلة من الكتاب والسنة، والقواعد والضوابط المأخوذة بالتتبع والاستقراء من الكتاب والسنة، وهذه من أهم ما يكون لطالب العلم، مثلاً: المشقة تجلب التيسير، هذا من الأصول، مأخوذ من الكتاب والسنة، من الكتاب من قوله تعالى: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾[٧٦]، ومن السنة قوله ﷺ لعمران بن حصين: [صَلِّ قَائماً، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِداً، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ][٧٧].

(٧٦) سورة الحج: آية رقم: ٧٨

(٧٧) صحيح، رواه البخاري [١١١٧]، وأبو داود [٩٥٢]، والترمذي [٣٧١]، وابن ماجة [١٢٢٣]، وأحمد (٤/ ٤٩٦)، وابن خزيمة (٢/ ٨٩-٩٠)، وغيرهم من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.





وقوله ﷺ : [إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ] (٧٨)، هذا أصل، لو جاءتك ألف مسألة بصور متنوعة لأمكنك أن تحكم على هذه المسائل بناءً على هذا الأصل، لكن لو لم يكن عندك هذا الأصل وتأتيك مسألتان، أُشْكِل عَليك الأمر.

ولنيل العلم طريقان:

أحدهما : أن يتلقى ذلك من الكتب الموثوق بها، والتي أَلَّفَهَا علماء معروفون بعلمهم، وأمانتهم، وسلامة عقيدتهم من البدع والخرافات، وأخذ العلم من بطون الكتب لابد أن الإنسان يصل فيه إلى غاية ما، لكن هناك عقبتان:

العقبة الأولى : الطول في أن الإنسان يحتاج إلى وقت طويل، ومعاناة شديدة ، وجهد جهيد حتى يصل إلى ما يَرومَه من العلم، وهذه عقبة قد لا يقوى عليها كثير من الناس، لاسيما وهو يرى من حوله قد أضاعوا أوقاتهم بلا فائدة، فيأخذه الكسل، ويكل، ويمل، ثم لا يدرك ما يريد.

العقبة الثانية : أن الذي يأخذ العلم من بطون الكتب علمه ضعيف، لا ينبني عليه قواعد أو أصول، ولذلك نجد الخطأ الكثير من الذي يأخذ العلم من بطون الكتب، لأنه ليس له قواعد وأصول يُقَعِّدُ عليها، ويبني عليها الجزئيات التي في الكتاب والسنة، نجد بعض

---

(٧٨) متفق عليه . رواه البخاري [٧٢٨٨]، ومسلم [١٣٣٧]، والنسائي [٢٦١٩]، وابن ماجة [٢]، وأحمد (٢ / ٢٤٧، ٢٥٨، ٣١٣، ٤٢٨ ،وغير ذلك)، والشافعي [٥٠]، والحميدي [١١٢٥]، وغيرهم كثير من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه باللفظة المذكورة.



الناس يمر بحديث ليس مذكوراً في كتب الحديث المعتمدة من الصحاح والمسانيد، وهذا الطريق يخالف ما في هذه الأصول المعتمدة عند أهل العلم بل عند الأمة، ثم يأخذ بهذا الحديث ويبني عقيدته عليه، وهذا لا شك أنه خطأ، لأن الكتاب والسنة لهما أصول تدور عليها الجزئيات، فلابد أن تردَّ هذه الجزئيات إلى أصول، بحيث إذا وجدنا في هذه الجزئيات شيئاً مخالفاً لهذه الأصول مخالفة لا يمكن الجمع فيها، فإننا ندع هذه الجزئيات.

الثاني: أن تتلقى ذلك من معلم موثوق في علمه ودينه، وهذا الطريق أسرع وأتقن للعلم، لأن الطريق الأول قد يضل فيه الطالب، وهو لا يدري، إما لسوء فهمه، أو قصور علمه، أو لغير ذلك من الأسباب، أما الطريق الثاني فيكون فيه المناقشة والأخذ والرد مع المعلم، فينفتح بذلك للطالب أبواب كثيرة في الفهم، والتحقيق، وكيفية الدفاع عن الأقوال الصحيحة، وردِّ الأقوال الضعيفة، وإذا جمع الطالب بين الطريقين كان ذلك أكمل وأتم، وليبدأ الطالب بالأهم فالأهم، وبمختصرات العلوم قبل مطولاتها، حتى يكون مترقياً من درجة إلى درجة أخرى، فلا يصعد إلى درجة حتى يتمكن من التي قبلها، حتى يكون صعوده سليماً.



الفصل الثاني : أخطاء يجب الحذر منها

أولاً : الحسد :

هو كراهة ما أنعم الله به على العبد ، وليس هو تمني زوال نعمة الله على الغير، بل هو مجرد أن يكره الإنسان ما أنعم الله به على غيره، فهذا هو الحسد ، سواء تمنى زواله، أو أن يبقى، ولكنه كاره له .

كما حقق ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – فقال : الحسد كراهة الإنسان ما أنعم الله به على غيره، والحسد قد لا تخلوا منه النفوس، يعني قد يكون اضطرارياً للنفس ولكن جاء في الحديث : [إِذَا حَسَدْتَ فَلاَ تَبْغِ، وإِذَا ظَنَنْتَ فَلاَ تُحَقِّقْ] (79)، يعني أن الإنسان يجب عليه إذا رأى من قبله حسداً للغير ألا يبغي عليه بقول أو فعل، فإنَّ ذلك من خصال اليهود، الذين قال الله عنهم: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ (80)، ثم إن الحاسد يقع في محاذير:

أولاً : كراهته ما حكم الله به، فإن كراهته ما أنعم الله به على هذا الشخص كراهة لما حكم الله به كوناً، ومعارضة لقضاء الله عز وجل .

ثانياً : أن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، لأن الغالب أن الحاسد يعتدي على المحسود لذكره بما يكره، وتنفير الناس عنه، والحط من قدره، وما أشبه ذلك .

---

(79) ضعيف . أخرجه ابن قتيبة في « تأويل مختلف الحديث » (ص ١٠٠)، وأورده ابن حجر في « الفتح » (١٠ / ٢١٣)، وابن عبد البر في « التمهيد » (٦ / ١٢٥) . وقال ابن حجر: هذا مرسل أو معضل، وضعفه الألباني في « ضعيف الجامع » [٢٥٢٧].

(80) سورة النساء :آية رقم: ٥٤

ثالثاً: ما يقع في قلب الحاسد من الحسرة والجحيم والنار التي تأكله أكلاً، فَكُلَّمَا رأى نعمة من الله على هذا المحسود اغتم، وضاق صدره، وصار يراقب هذا الشخص، كلما أنعم الله عليه بنعمة حزن واغتم، وضاقت عليه الدنيا.

رابعاً: أن في الحسد تشبهاً باليهود، ومعلوم أن من أتى خصلة من خصال الكفار صار منهم في هذه الخصلة لقول النبي ﷺ: [مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ](٨١).

خامساً: أنه مهما كان حسده، ومهما قوي لا يمكن أبداً أن يرفع نعمة الله عن الغير، إذا كان هذا غير ممكن فكيف يقع في قلبه الحسد؟!

سادساً: أن الحسد ينافي كمال الإيمان، لقول النبي ﷺ: [لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ، لأخيه مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه](٨٢) بمعنى أنك تكره أن تزول نعمة الله عن الغير، فإذا لم تكن تكره أن تزول نعمة الله عن غيرك، فأنت لم تحب لأخيك ما تحب لنفسك، وهذا ينافي كمال الإيمان.

سابعاً: أن الحسد يوجب إعراض العبد عن سؤال الله تعالى من فضله، فتجده دائماً مُهْتَمّاً بهذه النعمة التي أنعم الله بها على غيره، ولا يسأل الله من فضله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ

---

(٨١) صحيح. أخرجه أبو داود [٤٠٣١]، وأحمد (٢/ ٩٢،٥٠)، وعبد بن حميد في «المنتخب» [٨٤٨]، والطحاري في «المشكل» (١/ ٨٨)، وغيرهم من حديث عبد الله بن عمر ﷺ. والحديث صححه الألباني في «الإرواء» [١٢٦٩].

(٨٢) متفق عليه. أخرجه البخاري [١٣]، ومسلم [٤٥]، والترمذي [٢٥١٥]، وابن ماجة [٦٦]، والنسائي [٥٠١٦، ٥٠١٧، ٥٠٣٩]، وغيرهم. وقد مر تخريجه في الحديث المتقدم برقم (٣٦).

للرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾(٨٣).

ثامناً: أن الحسد يوجب ازدراء نعمة الله عليه – أي: أن الحاسد يرى أنه ليس في نعمة –، وأن هذا المحسود في نعمة أكبر منه، وحينئذٍ يحتقر نعمة الله عليه، فلا يقوم بشكرها، بل يتقاعس.

تاسعاً: الحسد خُلُقٌ ذَميمٌ، لأن الحاسد يتتبع نعم الله على الخلق في مجتمعه، ويحاول – بقدر ما يمكنه – أن يحول بين الناس وبين هذا المحسود بالحَطِّ من قدره أحياناً، وبازدراء ما يقوم به من الخير أحياناً إلى غير ذلك.

عاشرا: أن الحاسد إذا حسد شخصاً فإن المحسود يأخذ من حسناته يوم القيامة، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن بقي من حسناته شيء، وإلا أُخِذَ من سيئاته فَطُرِحَ عَليهِ ثم طُرِحَ في النار.

والخلاصة: أن الحسد خُلُقٌ ذميم، ومع الأسف أنه أكثر ما يوجد بين العلماء وطلبة العلم، يوجد بين التُّجَّار بعضهم البعض، وكل ذي مهنة يحسد من شاركه فيها، لكن مع الأسف أنه بين العلماء أشد، وبين طلبة العلم أشد، مع أنه كان الأولى والأجدر أن يكون أهل العلم أبعد الناس عن الحسد، وأقرب الناس إلى كمال الأخلاق.

وأنت يا أخي إذا رأيت الله قد أنعم على عَبْده نعمةً ما، فَاسْعَ أن تكون مثله، لا تكره من أنعم الله عليه فقل: اللَهُمَّ زِدْهُ مِنْ فَضْلِكَ،

(٨٣) سورة النساء: آية رقم: ٣٢



وأعْطِني أَفْضَلَ مِنْهُ، والحَسَد لا يُغير شيئاً من حاله، لكنه كما ذكرنا آنفاً في هذه المفاسد وهذه المحاذير العشرة، ولعل من تأمل وجد أكثر، والله المستعان.

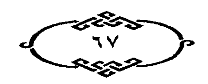
ثانياً : الإفتاء بغير علم :

الإفتاء منصب عظيم، به يتصدى صاحبه لبيان ما يُشْكِلُ على العامة من أمور دينهم، ويرشدهم إلى الصراط المستقيم، لذلك كان هذا المنصب العظيم لا يَتَصَدَّرُ له إلا من كان أهلاً لَهُ، لذلك يجب على العباد أن يَتَّقُوا الله تعالى، وأن لا يتكلموا إلا عن علم وبصيرة، وأن يعلموا أن الله وحده له الخلق والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مدبر للخلق إلا الله، ولا شريعة للخلق سوى شريعة الله، فهو الذي يوجب الشيء، وهو يحرمه، وهو الذي يندب إليه ويحلله، ولقد أنكر الله على من يحللون ويحرمون بأهوائهم، فقال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩) وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[٨٤]، وقال تعالى :﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٨٥]، وإن من أكبر الجنايات أن يقول الشخص عن شيء إنه حلال، وهو لا يدري ما حكم الله فيه، أو يقول عن الشيء إنه حرام، وهو لا يدري عن حكم الله فيه، أو يقول عن الشيء إنه

---

(٨٤) سورة يونس :آية رقم :٥٩ـ ٦٠

(٨٥) سورة النحل :آية رقم :١١٦-١١٧





واجب وهو لا يدري أن الله أوجبه، ويقول عن الشيء: إنه غير واجب، وهو لا يدري أن الله لم يوجبه، إن هذه جناية، وسوء أدب مع الله عز وجل.

كيف تعلم أيها العبد أن الحكم لله ثم تتقدم بين يديه، فتقول في دينه وشريعته ما لا تعلم؟! لقد قَرَنَ الله القول عليه بلا علم بالشرك به، فقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾(٨٦).

وإن كثيراً من العامة يفتي بعضهم بعضاً بما لا يعلمون، فتجدهم يقولون: هذا حلال، أوحرام، أو واجب، أو غير واجب، وهم لا يدرون عن ذلك شيئاً، أفلا يعلم هؤلاء أن الله تعالى سَائِلُهُم عَمَّا قالوا يوم القيامة؟ أفلا يعلم هؤلاء أنهم إذا أضلوا شخصاً فأحلوا له ما حَرَّمَ الله أو حَرَّمُوا ما أَحَلَّ الله له فقد بائوا بإثمهم؟ وكان عليهم مثل وزر ما عملوا، وذلك بسبب ما أفتوه به!

وإن بعض العامة يجني جناية أخرى، فإذا رأى شخصاً يريد أن يستفتي عالماً، يقول له هذا العامي: لا حاجة أن نستفتي، هذا أمر واضح، هذا حرام، مع أنه في الواقع حلال، فَيَحْرِمَهُ ما أحل الله له، أو يقول له: هذا واجب، فيلزمه بما لم يلزمه الله به، أو يقول: هذا غير واجب، وهو واجب في شريعة الله، فيسقط عنه ما أوجبه الله عليه، أو يقول هذا حلال وهو في الواقع حرام، وهذه جناية منه على شريعة

(٨٦) سورة الأعراف: آية رقم: ٣٣



الله، وخيانة لأخيه المسلم، حيث أفتاه بدون علم، أرأيتم لو أن شخصاً سأل عن طريق بلد من البلدان فَقُلْتَ: الطريق من هنا، وأنت لا تعلم، أفلا يعد الناس ذلك خيانة منك؟ فكيف تتكلم عن طريق الجنة - وهو الشريعة التي أنزل الله - وأنت لا تعلم عنها شيئاً؟!.

إن بعض المتعلمين أنصاف العلماء يَقَعُونَ فيما يقع فيه العامة من الجرأة على الشريعة في التحليل والتحريم والإيجاب، فيتكلمون فيما لا يعلمون، ويُجْمِلُونَ في الشريعة ويُفَصِّلُون، وهم من أجهل الناس في أحكام الله، إذا سمعت الواحد منهم يتكلم فكأنما يَنْزِلُ عليه الوحي فيما يقول من جزمه، وعدم تَوَرُّعِه، لا يمكن أن ينطق ويقول: لا أدري، مع أن عدم العلم هو وصفه الحق الثابت، ومع ذلك يُصِرُّ بناءً على جهله على أنه عالم، فيضر العامة، لأن الناس ربما يَثِقُونَ بقوله، ويَغْتَرُّونَ به، وليت هؤلاء القوم يقتصرون على نسبة الأمر إليهم، لا بل تراهم ينسبون ذلك إلى الإسلام، فيقولون: الإسلام يقول كذا، الإسلام يرى كذا، وهذا لايجوز إلا فيما علم القائل إنه من دين الإسلام، ولا طريق إلى ذلك إلا بمعرفة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أو إجماع المسلمين عليه.

إن بعض الناس لجرأته، وعدم ورعه، وعدم حيائه من الله، وعدم خوفه منه يقول عن الشيء المحرم الواضح تحريمه: ما أظن هذا حراماً، أو عن الشيء الواجب والواضح وجوبه يقول: ما أظن هذا واجباً، إمَّا جهلاً منه، أو عِنَاداً ومُكَابَرةً، أو تَشْكيكاً لعباد الله في دين الله.

أيها الإخوة: إن من العقل والإيمان ومن تقوى الله وتعظيمه أن يقول



الرجل عما لا يعلم: (لا أعلم)، (لا أدري)، (اسأل غيري)، فإن ذلك من تمام العقل، لأن الناس إذا رأوا تثبته وثقوا به، لأنه يعرف قدر نفسه حينئذٍ ويُنَزِّلُهَا مَنْزِلَتهَا، وإن ذلك أيضاً من تمام الإيمان بالله وتقوى الله، حيث لا يتقدم بين يدي ربه، ولا يقول عليه في دينه ما لا يعلم، ولقد كان رسول الله ﷺ هو أعلم الخلق بدين الله، كان يُسأل عما لم يَنْزِل عليه فيه الوحي، فينتظر حتى يَنْزل عليه الوحي فيجيب الله سبحانه عما سُئل عنه نبيه: ﴿يسألونك ماذا أُحلَّ لهم قُلْ أُحلَّ لكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾[٨٧]، وقوله: ﴿ويسألونك عن ذي القرنين قُلْ سأتلو عليكم منهُ ذكرًا﴾[٨٨]، وقوله: ﴿يسألونك عن السَّاعة أيَّانَ مُرسَاها قُلْ إنَّما علمُها عند ربِّي لا يُجلِّيها لوقتها إلا هُوَ﴾[٨٩]، ولقد كان الأجلاء من الصحابة، تعرض لهم المسألة لا يدرون حكم الله فيها، فيهابونها، ويتوقفون فيها.

فها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذ أنا قلت في كتاب الله بغير علم.

وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه تنزل به الحادثة فيجمع لها الصحابة ويستشيرهم فيها، قال ابن سيرين: لم يكن أحد أهيب مما لا يعلم من أبي بكر، ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب بما لا يعلم من عمر.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أيها الناس من سئل عن علم يعلمه فليقل

---

(٨٧) سورة المائدة :آية رقم: ٤

(٨٨) سورة الكهف :آية رقم: ٨٣

(٨٩) سورة الأعراف :آية رقم: ١٨٧





به، ومن لم يكن عنده علم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم.

وسئل الشعبي عن مسألة فقال: لا أحسنها، فقال له أصحابه: قد استحيينا لك، فقال: لكن الملائكة لم تستحي حين قالت: ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾[90].

وهناك أمثلة كثيرة على الإفتاء بغير علم ومنها: أن المريض إذا تنجست ثيابه، ولم يكن أن يطهرها، يفتي بأنه لا يصلي حتى يطهر ثيابه، وهذه فتوى كاذبة خاطئة باطلة فالمريض يصلي، ولو كانت عليه ثياب نجسة، ولو كان بدنه نجساً، إذا كان لا يستطيع أن يطهر ذلك، لأن الله يقول: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾[91]، فيصلي المريض على حسب حاله، وعلى حسب ما يقدر عليه، يصلي قائماً، فإن لم يستطع فقاعداً، فإن لم يستطع فعلى جنبه يومئ برأسه إذا استطاع، فإن لم يستطع أومأ بعينه عند بعض أهل العلم، فإن لم يستطع الإيماء بعينه وكان معه عقله فلينو الفعل بقلبه وليقل القول بلسانه، مثلاً يقول: الله أكبر، ثم يقرأ الفاتحة وسورة، ثم يقول: الله أكبر، وينوي أنه راكع، ثم يقول: سمع الله لمن حمده، وينوي أنه رفع الركوع، ثم يقول هكذا في السجود وبقية أفعال الصلاة، ينوي الفعل الذي لا يقدر عليه، ينويه بقلبه ولا يؤخر الصلاة عن وقتها.

---

(٩٠) سورة البقرة :آية رقم: ٣٢

(٩١) سورة التغابن :آية رقم: ١٦



وبسبب هذه الفتوى الكاذبة الخاطئة يموت بعض المسلمين، وهم لا يصلون من أجل هذه الفتوى الكاذبة، ولو أنه علموا أن الإنسان المريض يصلي على أي حال لماتوا وهم يصلون.

ومثل هذه المسألة، وأشباهها كثير، فيجب على العامة أن يتلقوا أحكامها من أهل العلم، حتى يعرفوا بذلك حكم الله عز وجل، وحتى لا يقولوا في دين الله ما لا يعلمون.

ثالثاً: الكِبْر:

وقد فسّره النبي ﷺ بأجمع التفسير وأبينه وأوضحه فقال: [الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ وَغَمْطُ النَّاس][٩٢]، وبطر الحق هو: رد الحق، وغمط الناس يعني: احتقارهم، ومن الكبرياء ردك على معلمك، والتطاول يكون باللسان ويكون بالأفعال، وأيضاً استنكافك عمَّن يفيدك ممن هو دونك كبرياء، وهذا يقع لبعض الطلبة إذا أخبره أحد بشيء وهو دونه في العلم استنكف ولم يقبل، وتقصيرك عن العمل بالعلم عنوان حرمان – نسأل الله العافية – لأن هذا نوع من الكبر، لا تعمل بالعلم.

وفي هذا يقول القائل:

العلمُ حَربٌ للفَتَى المتَعَالِي   كالسَّيْل حَرْبٌ للمَكَان العَالِي

ومعنى البيت: أن الفتى المتعالي لا يمكن أن يدرك العلم، لأن العلم حرب له كالسيل حرب للمكان العالي، لأن المكان العالي ينفض

(٩٢) صحيح. رواه مسلم [٩١]، والترمذي [١٩٩٩]، وابن حبان (١٢ / ٢٨٠)، وأبو عوانة [٨٥]، وغيرهم من طريق علقمة بن قيس عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.



عنه السيل يميناً وشمالاً، ولا يستقر عليه، كذلك العلم لا يستقر مع الكبر والعلو، ربما يسلب العلم بسبب ذلك.

رابعاً: التعصب للمذاهب والآراء:

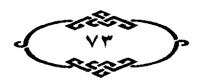
يجب على طالب العلم أن يتخلى عن الطائفية والحزبية، بحيث يعقد الولاء والبراء على طائفة معينة، أو على حزب معين، فهذا لا شك خلاف منهج السلف، السلف الصالح ليسوا أحزاباً بل هم حزب واحد، ينضوون تحت قول الله عز وجل ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾(٩٣)، فلا حزبية ولا تعدد، ولا موالاة، ولا معاداة إلا على حسب ما جاء في الكتاب والسنة، فمن الناس مثلاً من يتحزب إلى طائفة معينة، يقرر منهجها، ويستدل عليه بالأدلة التي قد تكون دليلاً عليه وقد تكون دليلاً له ويحامي دونها، ويضلل من سواه، حتى وإن كانوا أقرب إلى الحق منها، ويأخذ بمبدأ: من ليس معي فهو عليَّ، وهذا مبدأ خبيث، لأن هناك وسطاً بين أن يكون لك أو عليك، وإذا كان عليك بالحق، فليكن عليك وهو في الحقيقة معك، لأن النبي ﷺ قال: [انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أو مَظْلُوماً](٩٤)، ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم، فلا حزبية في الإسلام، ولهذا لما ظهرت

---

(٩٣) سورة الحج: آية رقم: ٧٨

(٩٤) متفق عليه. رواه البخاري [٢٤٤٣]، [٢٤٤٤]، [٦٩٥٢]، والترمذي [٢٣٥٦]، وأحمد (٣/ ٩٩، ٢٠١)، وابن حبان (٧/ ٣٠٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٩٤)، والبغوي في «شرح السنة» [٣٥١٦]، وغيرهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ورواه مسلم [٢٥٨٤] بنحوه، وأحمد (٣/ ٣٢٣)، والدارمي (٣/ ٣١١)، والبغوي [٣٥١٧]، وغيرهم من حديث جابر رضي الله عنه.



الأحزاب في المسلمين، وتنوعت الطرق، وتفرقت الأمة، وصار بعضهم يضلل بعضاً، ويأكل لحم أخيه ميتاً، لحقهم الفشل، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[95]، لذلك نجد بعض طلاب العلم يكون عند شيخ من المشايخ، ينتصر لهذا الشيخ بالحق والباطل ويعادي من سواه، ويضلله ويبدعه، ويرى أن شيخه العالم المصلح ومن سواه، إما جاهل أو مفسد، وهذا غلط كبير، بل يجب أخذ من وافق الكتاب والسنة وقول أصحاب رسول الله ﷺ.

خامساً: التصدر قبل التأهل:

مما يجب الحذر منه أن يتصدر طالب العلم قبل أن يكون أهلاً للتصدر، لأنه إذا فعل ذلك كان هذا دليلاً على أمور:

الأمر الأول: إعجابه بنفسه حيث تصدَّر، فهو يرى نفسه علم الأعلام.

الأمر الثاني: أن ذلك يدل على عدم فقهه ومعرفته للأمور، لأنه إذا تصدر، ربما يقع في أمر لا يستطيع الخلاص منه، إذ أن الناس إذا رأوه متصدراً أوردوا عليه من المسائل ما يبين عواره.

الأمر الثالث: أنه إذا تصدر قبل أن يتأهل، لازمه أن يقول على الله ما لا يعلم، لأن الغالب أن من كان هذا قصده، أنه لا يبالي ويجيب عن كل ما سُئل ويخاطر بدينه وبقوله على الله عز وجل.

الأمر الرابع: أن الإنسان إذا تصدر فإنه في الغالب لا يقبل الحق، لأنه يظن بسفهه أنه إذا خضع لغيره – ولو كان معه الحق – كان هذا دليلاً على أنه ليس بعالم.

---

(٩٥) سورة الأنفال :آية رقم:٤٦



سادساً: سوء الظن.

مما يجب على طالب العلم الحذر منه، أن يظن بغيره ظناً سيئاً مثل أن يقول: لم يتصدق هذا إلا رياءً، لم يلق الطالب هذا السؤال إلا رياءً ليعرف أنه طالب فاهم، وكان المنافقون إذا أتى المتصدق من المؤمنين بالصدقة، إن كانت كثيرة قالوا: مُراءٍ، وإن كانت قليلة قالوا: إن الله غني عن صدقة هذا، كما قال الله عنهم: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٩٦)، فإياك وسوءَ الظنِّ، ولا فرق بين أن تظن ظناً سيئاً بمعلمك أو بزميلك، فإن الواجب إحسان الظن بمن ظاهره العدالة، أما من ظاهره غير العدالة فلا حرج أن يكون في نفسك سوء ظن به، لكن مع ذلك عليك أن تتحقق، حتى يزول ما في نفسك من هذا الوهم، لأن بعض الناس قد يسيء الظن بشخص ما بناءً على وهم كاذب لا حقيقة له، فالواجب إذا أسأت الظن بشخص سواء من طلبة العلم، أو غيرهم، الواجب أن تنظر هل هناك قرائن واضحة تسوغ لك سوء الظن فلا بأس، وأما إذا كان مجرد أوهام، فإنه لا يحل لك أن تسيئ الظن بمسلم ظاهره العدالة، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ﴾(٩٧)، لم يقل: كل الظن، لأن بعض الظنون لها أصل، ولها مبرر ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾(٩٨)وليس كل الظن، فالظن الذي يحصل فيه العدوان على الغير

---

(٩٦) سورة التوبة: آية رقم: ٧٩

(٩٧)، (٩٨) سورة الحجرات: آية رقم: ١٢





لا شك أنه إثم، وكذلك الظن الذي لا مستند له.

وأما إذا كان له مستند فلا بأس أن تظن الظن السيء.

لذلك ينبغي للإنسان أن ينزل نفسه منزلتها، وألاَّ يدنسها بالأقذار، وأن يحذر هذه الأخطاء مما تقدم، لأن طالب العلم شرفه الله بالعلم وجعله أسوة وقدوة، حتى أن الله رد أمور الناس عند الإشكال إلى العلماء فقال: ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾[99]، وقال تعالى: ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾[100]، فالحاصل أنك يا طالب العلم محترم، فلا تُنْزل بنفسك إلى ساحة الذل والضعة، بل كن كما ينبغي أن تكون.

---

(٩٩) سورة الانبياء :آية رقم:٧

(١٠٠) سورة النساء:آية رقم:٨٣





الباب الرابع

في كتب طالب العلم
وفتاوى حول العلم وفوائده

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول : كتب طالب العلم.

الفصل الثاني : فتاوى حول العلم.

وهذه الفتاوى ألقاها بعض طلبة العلم على الشيخ رحمه الله .

ونحن لم نلتزم فيها الترتيب، وإلا فقد يتكرر السؤال، فأبقيناه ولم نحذفه لأن الشيخ رحمه الله قد يُجْمِل الإجابة في مكان ويُفَصِّلها في مكان آخر، فعليك بمراعاة ذلك .

الفصل الثالث : فوائد.



الفصل الأول: كتب طالب العلم

قبل البدء في هذا الفصل، لابد أن نبين بعض الأمور المهمة لطالب العلم وهي:

الأمر الأول: كيف تتعامل مع الكتاب؟

التعامل مع الكتب يكون بأمور:

الأول: معرفة موضوعه حتى يستفيد الإنسان منه، لأنه يحتاج إلى التخصص، ربما يكون كتاب سحر، أو شعوذة، أو باطل، فلابد من معرفة موضوع الكتاب، حتى تحصل الفائدة منه.

الثاني: معرفة مصطلحاته، وهذا في الغالب يكون في مقدمة الكتاب، لأن معرفة المصطلحات يحصل بها أنك تحفظ أوقاتاً كثيرة، وهذا يفعله العلماء في مقدمات الكتب، فمثلاً: نعرف أن صاحب «بلوغ المرام»، إذا قال متفق عليه يعني: رواه البخاري ومسلم، لكن صاحب «المنتقى» على خلاف ذلك، فإذا قال صاحب المنتقى: متفق عليه، فإنه يعني: رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم، كذلك في كتب الفقه يفرق بين القولين، والوجهين، والروايتين، والاحتمالين، فالروايتان عن الإمام، والوجهان عن الأصحاب، وهم أصحاب المذاهب الكبار أهل التوجيه، والاحتمالان للتردد بين القولين، والقولان أعم من ذلك كله.

كذلك يحتاج أن تعرف مثلاً: إذا قال المؤلف إجماعاً أو وفاقاً، إذا قال: إجماعاً، يعني: بين الأمة، وإذا قال وفاقاً، يعني: مع الأئمة الثلاثة، كما هو اصطلاح صاحب «الفروع» في فقه الحنابلة،

وكذلك بقية أصحاب المذاهب، كُلٌّ له اصطلاح، فلابد أن تعرف اصطلاح المؤلف.

الثالث: معرفة أسلوبه وعبارته، ولهذا تجد أنك إذا قرأت الكتاب أول ما تقرأ، لا سيما في الكتب العلمية المملوءة علماً، تجد أنه تمر بك العبارة تحتاج إلى تأمل وتفكير في معناها، لأنك لم تألفه، فإذا كررت هذا الكتاب ألفته.

وهناك أيضاً أمر خارج عن التعامل مع الكتاب، وهو التعليق بالهوامش أوالحواشي، فهذا أيضاً مما يجب لطالب العلم أن يغتنمه، وإذا مرت به مسألة تحتاج إلى شرح، أو إلى دليل، أو إلى تعليل، ويخشى أن ينساه، فإنه يعلق إما بالهامش - وهو الذي على اليمين أو اليسار - أو بالحاشية - وهي التي في الأسفل -، وكثير ما يفوت الإنسان مثل هذه الفوائد التي لو علقها لم تستغرق عليه إلا دقيقة أو دقيقتين، ثم إذا عاد ليتذكرها بقي مدة يتذكرها وقد لا يجدها، فينبغي على طالب العلم أن يعتني بذلك، لاسيما في كتب الفقه، يمر بك في الكتب مسألة وحكمها، ويحصل عندك توقف وإشكال، فإذا رجعت للكتب التي أوسع من الكتاب الذي بين يديك، ووجدت قولاً يوضح المسألة، فإنك تعلق القول من أجل أن ترجع إليه مرة أخرى إذا احتجت إليه دون الرجوع إلى أصل الكتاب الذي نقلت منه، فهذا مما يوفر عليك الوقت.

الأمر الثاني: مطالعة الكتب على نوعين:

أولاً: مطالعة تدبر وتفهم، فهذه لابد أن يتأمل الإنسان ويتأنى.



ثانياً: مطالعة استطلاع فقط ينظر من خلالها على موضوع الكتاب، وما فيه من مباحث، ويتعرف على مضمون الكتاب، وذلك من خلال تصفح وقراءة سريعة للكتاب، فهذه لا يحصل فيها من التأمل والتدبر ما يحصل في النوع الأول.

الأمر الثالث: جمع الكتب.

ينبغي لطالب العلم أن يحرص على جمع الكتب، ولكن يبدأ بالأهم فالأهم، فإذا كان الإنسان قليل ذات اليد، فليس من الخير وليس من الحكمة أن يشتري كتباً كثيرة يلزم نفسه بغرامة قيمتها، فإن هذا من سوء التصرف، وإذا لم يمكنك أن تشتري من مالك فيمكنك أن تستعير من أي مكتبة.

الأمرالرابع: الحرص على الكتب المهمة.

يجب على طالب العلم أن يحرص على الكتب الأمهات الأصول دون المؤلفات حديثاً، لأن بعض المؤلفين حديثاً ليس عنده العلم الراسخ، ولهذا إذا قرأت ما كتبوا تجد أنه سطحي، قد ينقل الشيء بلفظه وقد يحرفه إلى عبارة طويلة لكنها غثاء، فعليك بالأمهات كتب السلف، فإنها خير وأبرك بكثير من كتب الخلف، لأن غالب كتب المتأخرين قليلة المعاني كثيرة المباني، تقرأ صفحة كاملة يمكن أن تلخصها بسطر أو سطرين، لكن كتب السلف تجدها هينة لينة سهلة رصينة، لا تجد كلمة واحدة ليس لها معنى.

ومن أجل الكتب التي يجب على طالب العلم أن يحرص عليها، كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، ومن



المعلوم أن كتب ابن القيم أسهل وأسلس، لأن شيخ الإسلام ابن تيمية كانت عبارته قوية لغزارة علمه وتوقد ذهنه، وابن القيم رأى بيتاً معموراً فكان منه التحسين والترتيب، ولسنا نريد بذلك أن نقول إن ابن القيم نسخة من ابن تيمية، بل ابن القيم حر، إذا رأى أن شيخه خالف ما يراه صواباً تكلم، لما رأى وجوب فسخ الحج إلى العمرة، وأن ابن عباس رضي الله عنهما يرى أنه يجب على من لم يسق الهدي إذا أحرم بحج أو قران أن يفسخه إلى عمرة، وكان شيخ الإسلام يرى أن الوجوب خاص بالصحابة، قال: وأنا إلى قوله أميل مني إلى قول شيخنا، فصرح بمخالفته، فهو رحمه الله مستقل، حر الفكر، لكن لا غرو أن يتابع شيخه رحمه الله فيما يراه حقاً وصواباً، ولا شك أنك إذا تأملت غالب اختيارات شيخ الإسلام وجدت أنها هي الصواب، وهذا أمر يعرفه من تدبر كتبهما.

الأمر الخامس: تقويم الكتب:

الكتب تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

* القسم الأول: كتب خير.
* القسم الثاني: كتب شر.
* القسم الثالث: كتب لا خير ولا شر.

فاحرص أن تكون مكتبتك خالية من الكتب التي ليس فيها خير، أو التي فيها شر، وهناك كتب يقال إنها كتب أدب، لكنها تقطع الوقت وتقتله في غير فائدة، وهناك كتب ضارة ذات أفكار معينة، وذات منحنى معين، فهذه أيضاً لا تدخل المكتبة سواء كان ذلك في

المنهج، أو كان ذلك في العقيدة، مثل كتب المبتدعة التي تضر في العقيدة، والكتب الثورية التي تضر في المنهج، وعموماً كل كتب تضر فلا تدخل مكتبتك، لأن الكتب غذاء للروح، كالطعام والشراب للبدن، فإذا تغذيت بمثل هذه الكتب صار عليك ضرر عظيم واتجهت اتجاهاً مخالفاً لمنهج طالب العلم الصحيح.

كتب طالب العلم:

* **أولاً: العقيدة:**

١ – كتاب "ثلاثة أصول".

٢ – كتاب "القواعد الأربع".

٣ – كتاب "كشف الشبهات".

٤ – كتاب "التوحيد".

وهذه الكتب الأربعة لشيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

٥ – كتاب "العقيدة الواسطية" وتتضمن توحيد الأسماء والصفات، وهي من أحسن ما ألف في هذا الباب، وهي جديرة بالقراءة والمراجعة.

٦ – كتاب "الحموية".

٧ – كتاب "التدمرية".

وهما رسالتان أوسع من "الواسطية".

وهذه الكتب الثلاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.



٨ – كتاب "العقيدة الطحاوية" للشيخ أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي.

٩ – كتاب "شرح العقيدة الطحاوية" لأبي الحسن علي بن أبي العز.

١٠ – كتاب "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله تعالى.

١١ – كتاب "الدرر المضية في عقيدة الفرقة المرضية" لمحمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، وفيها بعض الإطلاقات التي تخالف مذهب السلف، كقوله:

وليس ربنا بجوهر ولا عرض ... ولا جسم تعالى في العلى

لذلك لابد لطالب العلم أن يدرسها على شيخ مُلم بالعقيدة السلفية لكي يبين ما فيها من الإطلاقات المخالفة لعقيدة السلف.

* ثانياً: الحديث:

١ – كتاب "فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري" لابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى.

٢ – كتاب "سبل السلام شرح بلوغ المرام" للصنعاني، وكتابه جامع بين الحديث والفقه.

٣ – كتاب "نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار" للشوكاني.

٤ – كتاب "عمدة الأحكام" للمقدسي، وهو كتاب مختص، وعامة أحاديثه في الصحيحين فلا يحتاج إلى البحث عن صحتها.



٥ – كتاب "الأربعين النووية" لأبي زكريا النووي رحمه الله تعالى، وهذا كتاب طيب لأن فيه آداباً، ومنهجاً جيداً وقواعد مفيدة جداً، مثل حديث: [مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيه] (١٠١)، فهذه قاعدة لو جعلتها هي الطريق الذي تمشي عليه لكانت كافية، وكذلك قاعدة في النطق، حديث: [مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ] (١٠٢).

٦ – كتاب "بلوغ المرام" للحافظ ابن حجر العسقلاني، وهو كتاب نافع ومفيد، لا سيما وأنه يذكر الرواة، ويذكر من صحح الحديث ومن ضعفه ويعلق على الأحاديث.

٧ – كتاب "نخبة الفكر" للحافظ ابن حجر العسقلاني، وتعتبر جامعة، وطالب العلم إذا فهمها تماماً، وأتقنها فهي تغني عن كتب كثيرة في المصطلح ولابن حجر رحمه الله تعالى طريقة مفيدة في تأليفها، وهي: السبر والتقسيم، فطالب العلم إذا قرأها يجد نشاطاً، لأنها مبينة على إثارة العقل، وأقول: يحسن بطالب العلم أن يحفظها، لأنها خلاصة مفيدة في علم المصطلح.

---

(١٠١) حسن لغيره. رواه الترمذي [٢٣١٧]، وابن ماجة [٣٩٧٦]، وأبو الشيخ في «الأمثال» [٥٤]، وابن عبد البر في «التمهيد» (٩/ ١٩٨–١٩٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» [١٩٢]، وغيرهم.
قلت: وقد تكلم البعض في هذا الحديث، ولكنه لا ينزل أبداً من أن يكون حسن لغيره.

(١٠٢) متفق عليه. رواه البخاري [٦٠١٨، ٦١٣٦، ٦٤٧٥]، ومسلم [٤٧]، وابن المبارك [٣٦٨، ٣٧٢]، وابن أبي عاصم [١٦] كلاهما في «الزهد»، وعبد الرزاق (١١/ ٧)، والطحاوي في «المشكل» (٤/ ٢٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٢٣)، والبغوي (١٤/ ٣١٢)، والقضاعي [٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٠]، وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.
قلت: وفي الباب عن جمع من الصحابة، راجعهم في المصدر الاخير بتحقيقي.



٨ - الكتب الستة "صحيح البخاري، ومسلم، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه، والترمذي"، وأنصح طالب العلم أن يكثر من القراءة فيها لأن في ذلك فائدتين:

الأولى: الرجوع إلى الأصول.

الثانية: تكرار أسماء الرجال على ذهنه، فإذا تكررت أسماء الرجال لا يكاد يمر به رجل مثلاً من رجال البخاري في أي سند كان إلا عرف أنه من رجال البخاري، فيستفيد هذه الفائدة الحديثية.

* ثالثاً: الفقه:

١ - كتاب "آداب المشي إلى الصلاة" لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

٢ - كتاب "زاد المستقنع في اختصار المقنع" للحجاوي، وهذا من أحسن المتون في الفقه، وهو كتاب مبارك مختصر جامع، وقد أشار علينا شيخنا العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى بحفظه مع أنه قد حفظ متن "دليل الطالب".

٣ - كتاب "الروض المربع شرح زاد المستقنع" للشيخ منصور البهوتي.

٤ - كتاب "عمدة الفقه" لابن قدامة رحمه الله تعالى.

* رابعاً: الفرائض:

١ - كتاب "متن الرحبية" للرحبي.

٢ - كتاب "متن البرهانية" لمحمد البرهاني، وهو كتاب مختصر



مفيد جامع لكل الفرائض، وأرى أن "البرهانية" أحسن من "الرحبية" لأن "البرهانية" أجمع من "الرحبية" من وجه، وأوسع معلومات من وجه آخر.

* خامساً: التفسير:

١ – كتاب "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير رحمه الله، وهو جيد بالنسبة للتفسير بالأثر، ومفيد ومأمون، ولكنه قليل العرض لأوجه الإعراب والبلاغة.

٢ – كتاب "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى، وهو كتاب جيد وسهل ومأمون، وأنصح بالقراءة فيه.

٣ – مقدمة شيخ الإسلام في التفسير وهي مقدمة مهمة وجيدة.

٤ – كتاب "أضواء البيان" للعلامة محمد الشنقيطي رحمه الله تعالى، وهو كتاب جامع بين الحديث والفقه والتفسير وأصول الفقه.

* سادساً: كتب عامة في بعض الفنون:

١ – في النحو "متن الآجرومية"، وهو كتاب مختصر مبسط.

٢ – في النحو "ألفية ابن مالك"، وهي خلاصة علم النحو.

٣ – في السيرة وأحسن ما رأيت كتاب "زاد المعاد" لابن القيم رحمه الله تعالى، وهو كتاب مفيد جداً يذكر سيرة النبي ﷺ في جميع أحواله، ثم يستنبط الأحكام الكثيرة.

٤ – كتاب "روضة العقلاء" لابن حبان البستي رحمه الله تعالى، وهو كتاب مفيد على اختصاره، وجمع عدداً كبيراً من الفوائد





ومآثر العلماء والمحدثين وغيرهم.

٥ - كتاب "سير أعلام النبلاء" للذهبي، وهذا كتاب مفيد فائدة كبيرة ينبغي لطالب العلم أن يقرأ فيه ويراجع.





الفصل الثاني : فتاوى حول العلم

١ - سئل فضيلته رحمه الله : هل يعذر طلبة العلم الذين درسوا العقيدة على غير مذهب السلف الصالح محتجين بأن العالم الفلاني ، أو الإمام الفلاني يعتقد هذه العقيدة ؟

فأجاب بقوله: هذا لا يعذر به صاحبه حيث بلغه الحق، لأن الواجب عليه أن يتبع الحق أينما كان، وأن يبحث عنه حتى يتبين له.

والحق ولله الحمد، ناصع بَيِّنٌ لمن صلحت نيته، وحسن منهاجه، فإن الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾(١٠٣)، ولكن بعض الناس كما ذكر الأخ السائل يكون لهم متبعون معظمون، لا يتزحزحون عن آرائهم، مع أنه قد ينقدح في أذهانهم أن آراءهم ضعيفة أو باطلة، لكن التعصب والهوى يحملهم على موافقة متبوعيهم، وإن كان قد تبين لهم الهدى.

*****

٢ - وسئل فضيلة الشيخ : عمن لا يحب دراسة العقيدة خصوصاً مسألة القدر خوفاً من الزلل ؟

فأجاب بقوله: هذه المسألة كغيرها من المسائل المهمة، التي لابد للإنسان منها في دينه ودنياه، لابد أن يخوض غمارها، وأن يستعين بالله تبارك وتعالى على تحقيقها ومعرفتها، حتى يتبين له الأمر، لأنه لا ينبغي أن يكون على شك في هذه الأمور المهمة.

---

(١٠٣) سورة القمر: آية رقم: ١٧



أما المسائل التي لا تُخلُّ بدينه لو أجَّلَهَا، ويخشى أن تكون سبباً لانحرافه، فإنه لا بأس أن يُؤَجِّلَهَا ما دام غيرها أهم منها، ومسائل القدر من الأمور المهمة التي يجب على العبد أن يُحَقِّقَهَا تماماً، حتى يصل فيها إلى اليقين.

وهي في الحقيقة ليس فيها إشكال ولله الحمد، والذي يثقل دروس العقيدة على بعض الناس هم أنهم – مع الأسف الشديد – يرجحون جانب «كيف؟» على جانب «لم؟» والإنسان مسئول عن علمه بأداتين من أدوات الاستفهام «لم» و«كيف»، فلم عملت كذا؟ هذا الإخلاص. كيف عملت كذا؟ هذا المتابعة للرسول ﷺ. وأكثر الناس الآن مشغولون بتحقيق جواب «كيف»، غافلون عن تحقيق جواب «لم»، ولذلك تجدهم في جانب الإخلاص لا يَتَحَرَّوْنَ كثيراً، وفي جانب المتابعة يَحْرِصُونَ على أدَقِّ الأمور، فالناس الآن مُهْتَمُّونَ كثيراً بهذا الجانب، غافلون عن الجانب الأهم وهو جانب العقيدة، وجانب الإخلاص، وجانب التوحيد.

لهذا تجد بعض الناس في مسائل الدين يسأل عن مسألة يسيرة جداً جداً وقلبه مُنْكَبٌّ على الدنيا، غافل عن الله مطلقاً في بيعه، وشرائه، ومركوبه، ومسكنه، وملبسه، فقد يكون بعض الناس الآن عابداً للدنيا وهو لا يشعر، وقد يكون مشركاً بالله في الدنيا وهو لا يشعر، لأنه مع الأسف الشديد لا يهتم بجانب التوحيد وجانب العقيدة، وهذا ليس من العامة فقط ولكن من بعض طلاب العلم، وهذا أمر له خطورته.

كما أن التركيز على العقيدة فقط بدون العمل - الذي جعله الشارع كالحامي والسور لها - خطأ أيضاً، لأننا نسمع في الإذاعات ونقرأ في الصحف التركيز على أن الدين هوالعقيدة السمحاء، وما أشبه ذلك من العبارت، وفي الحقيقة أن هذا يُخْشَى أن يكون باباً يَلِجُ منه من يَلِج في استحلال بعض المحرمات بحجة أن العقيدة سليمة، ولكن لابد من ملاحظة الأمرين جميعاً ليستقيم الجواب على « لم » وعلى « كيف ».

وخلاصة الجواب: أنه يجب على المرء دراسة علم التوحيد والعقيدة، ليكون على بصيرة في إلهه ومعبوده جل وعلا، على بصيرة بأسماء الله وصفاته وأفعاله، على بصيرة في أحكامه الكونية والشرعية، على بصيرة في حكمته وأسرار شرعه وخلقه، حتى لا يَضِل بنفسه أو يُضِل غيره.

وعلم التوحيد هو أشرف العلوم لشرف متعلقه، ولهذا سماه أهل العلم (الفقه الأكبر) وقال النبي ﷺ: [مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ][104] وأول ما يدخل في ذلك وأولاه علم التوحيد والعقيدة، لكن يجب على المرء أيضاً أن يتحرى كيف يأخذ هذا العلم، ومن أي مصدر يتلقاه، فليأخذ من هذا العلم أولاً ما صَفَا منه وسَلِمَ من الشبهات، ثم ينتقل ثانياً إلى النظر فيما أورد عليه من البدع والشبهات، ليقوم بردها وبيانها مما أخذه من قبل العقيدة الصافية،

(١٠٤) متفق عليه. رواه البخاري [٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢]، ومسلم [١٠٣٧]، وأحمد (٤/١٠١)، وغيرهم. وقد مر تخريجه في الحديث المتقدم برقم (١).



وليكن المصدر الذي يتلقاه منه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ثم كلام الصحابة رضي الله عنهم ثم ما قاله الأئمة بعدهم من التابعين وأتباعهم، ثم ما قاله العلماء الموثوق بعلمهم وأمانتهم خصوصاً شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم عليهما وعلى سائر المسلمين وأئمتهم سابغ الرحمة والرضوان.

*****

٣ - سئل فضيلة الشيخ: يتحرج بعض طلبة العلم الشرعي عند قصدهم العلم والشهادة فكيف يتخلص طالب العلم من هذا الحرج؟

فأجاب بقوله: يُجَابُ على ذلك بأمور:

أحدها: ألاَّ يقصدوا بذلك الشهادة لذاتهَا، بل يتخذون هذه الشهادات وسيلة للعمل في الحقول النافعة للخلق، لأن الأعمال في الوقت الحاضر مبنية على الشهادات، والناس غالباً لا يستطيعون الوصول إلى منفعة الخلق إلا بِهَذِه الوسيلة، وبذلك تكون النية سليمة.

الثاني: أن من أراد العلم قد لا يجده إلا في هذه الكليات، فيدخل فيها بنية طلب العلم، ولا يؤثر عليه ما يحصل له من الشهادة فيما بعد.

الثالث: أن الإنسان إذا أراد بعمله الحُسْنَيَيْن: حسنى الدنيا، وحسنى الآخرة، فلا شيء عليه في ذلك، لأن الله يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[١٠٥].

وهذا ترغيب في التقوى بأمر دنيوي.

(١٠٥) سورة الطلاق :آية رقم:٢-٣





فإن قيل: من أراد بعمله الدنيا كيف يقال بأنه مخلص؟

فالجواب: أنه أخلص العبادة ولم يرد بهَا الخلق إطلاقاً، فلم يقصد مراءاة الناس ومدحهم على عبادته، بل قصد أمراً مادياً من ثمرات العبادة، فليس كالمرائي الذي يتقرب إلى الناس بما يتقرب به إلى الله، ويريد أن يمدحوه به، لكنه بإرادة هذا الأمر المادي نقص إخلاصه، فصار معه نوع من الشرك، وصارت مَنْزِلَتُه دون مَنْزِلَة من آراد الآخرة إرادة محضة.

وبهذه المناسبة أَوَدُّ أن أُنَبِّهَ أن بعض الناس عندما يتكلمون على فوائد العبادات، يُحَوِّلُنَهَا إلى فوائد دنيوية، فمثلاً: يقولون في الصلاة رياضة وإفادة للأعصاب، وفي الصيام فائدة لإزالة الفضلات وترتيب الوجبات، والمفروض ألا تجعل الفوائد الدنيوية هي الأصل، لأن ذلك يؤدي إلى إضعاف الإخلاص والغفلة عن إرادة الآخرة، ولذلك يُبَيِّنُ الله تعالى في كتابه حكمة الصوم مثلاً أنه سبب للتقوى، فالفوائد الدينية هي الأصل والدنيوية ثانوية، وعندما نتكلم عند عامة الناس فإننا نخاطبهم بالنواحي الدينية، وعندما نتكلم عند من لا يقتنع إلا بشيء مادي، فإننا نخاطبه بالنواحي الدينية والدنيوية، ولكل مقام مقال.

*****

٤ - وسئل رحمه الله تعالى: يختلف الكثير من طلبة العلم في معاملة أهل المعاصي فما التوجيه الصحيح جزاكم الله خيراً؟

فأجاب رحمه الله تعالى: نقول: هذه المسألة وهي أن بعض طلبة العلم إذا رأوا المنحرف خلقياً أو فكرياً أو عملياً يكرهونه، ويتخذون من هذه





الكراهية نفوراً منه وبعداً عنه، ولا يحاولون أبداً أن يصلحوا إلا من شاء الله من طلبة العلم الذين أنار الله قُلُوبَهُمْ ويرون أن هجره وكراهيته والبعد عنه، والتنفير منه، يرون ذلك قربة، وهذا لا شك أنه خطأ، وأن الواجب على طلبة العلم أن ينصحوا وينظروا كم من إنسان في غفلة فإذا نُصِحَ اسْتَجَابَ!!

وما أَشَدُّ تأثير جماعة أهل الدَّعْوَة الذين يسمون أنفسهم أهل الدعوة والتبليغ، ما أَشَدُّ تأثيرهم على الناس، وكم من فاسق اهتدى فأطاع، وكم من كافر اهتدى فأسلم على أيديهم، لأنهم وَسِعُوا النَّاسَ بحسن الأخلاق، فلذلك نحن نسأل الله أن يجعل إخواننا الذين أعطاهم العلم أن يطعمهم من أخلاق هؤلاء حتى ينفعوا الناس أكثر، وإن كان يؤخذ على جماعة الدعوة والتبليغ ما يؤخذ، لكنهم في حسن الخلق والتأثير – بسبب أخلاقهم – لا أحد ينكر فضلهم، وقد رأيت كتاباً للشيخ عبد العزيز بن باز وَجَّهَهُ إلى شخص كتب إليه ينتقد هؤلاء الجماعة، فقال في جملة رَدِّه:

أقلُّوا عَلَيهِمْ لا أبا لأَبِيكُم مِنَ اللَّوْمِ أو سُدُّوا المَكَانَ الذي سَدُّوا

وحسن الخلق لا شك أن له تأثيراً عظيماً في استجابة الناس للداعي، أمَّا إذا رأوا الإنسان خشناً، فإنَّهُم يَسُبُّونَه ويَذُمُّونَه على ما فيه من الأخلاق الشرعية: تجدهم مثلاً يسبونه على لحيته، واللحية أخلاق شرعية، ويسبونه على تقصير الثوب، يسبونه على المشي حافياً. لماذا؟ لأنه ليس حَسَنَ الأخلاق مع الناس، لا يدعو بالأخلاق، إنما يدعو بالجفاء والغلظة، ويريد أن يصلح الناس كلهم في ساعة واحدة، هذا





خطأ لا يمكن أن يصلح الناس في ساعة واحدة أبداً، أليس النبي ﷺ قد بقي في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس؟! وفي النهاية أُخْرِجَ مِنْ مَكَّة حين تآمروا عليه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾(١٠٦) يثبتوك - يعني: يحبسونك -، أو يقتلوك، أو يخرجوك: ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(١٠٧)، فلا يمكن أن تصلح الخلق بمجرد دعوة أو دعوتين، لا سيما إذا لم تكن ذا قيمة بينهم، لكن اصبر، وأطل النفس، وادع بالحكمة، وأحسن الخلق وسيتبين لك الأمر فيما بعد.

ولا شك أن حسن المنطق له تأثير عظيم بالغ، وَيُحْكَى أن رجلاً من أهل الحسبة مَرَّ على فلاح يسني إبله، وكان في أذان المغرب، وكان هذا الفلاح يغني، لأن الإبل إذا سمعت الغناء تمشي كأنها مجنونة، لأنها تطرب فكان يغني غافلاً، ولا يسمع الأذان، فتكلم عليه رجل الحسبة بكلام شديد، فقال له - أي صاحب الإبل -: سوف أغني وأستمر في الغناء، وإذا ما ذهبت فالعصا لمن عصا، يقول هذا الكلام بسبب أنه جاءه بعنف، فذهب صاحب الحسبة إلى الشيخ القاضي، وقال له: أنا ذهبت لفلان وسمعته يغني على إبله، والمؤذن يؤذن المغرب، ونصحته فلم يستجب، فلما كان من الغد ذهب الشيخ القاضي إلى مكان صاحب الإبل في الوقت نفسه، فلمَّا أَذَّنَ جاء الفلاح وقال له: يا أخي أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ فعليك أن تذهب، وتصلي فإن الله يقول: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾(١٠٨) فقال صاحب الإبل،

---

(١٠٦)، (١٠٧) سورة الأنفال: آية رقم: ٣٠

(١٠٨) سورة طه: آية رقم: ١٣٢





جزاك الله خيراً ووضع العصا التي يسوق بهَا الإبل، وتوضأ، ومشى معه، وماذا حصل؟ حصل المقصود، أمَّا الأول لو تمادى معه لحصل الشر وترك الخير، ولكن الثاني أتاه بالتي هي أحسن فانقاد تماماً، فلذلك أقول: إن بعض طلبة العلم يكون عندهم غيرة، لكن لا يحسنون التصرف، والواجب أن الإنسان يكون في تصرفاته على علم وبصيرة، وعلى قدر كبير من الحكمة، نسأل الله للجميع التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

*****

٥ - وسئل فضيلته: هناك بعض طلبة العلم يحرص على حضور دروس طلبة العلم دون أن يلقي اهتماماً بدروس العلماء الذين جمعوا ما لم يجمعه طلبة العلم فما توجيه فضيلتكم؟

فأجاب بقوله: الذي أراه أن الإنسان ينبغي أن يطلب العلم على عالم ناضج، لأن بعض طلبة العلم يتصدر للتدريس، فيحقق المسألة من المسائل، سواء حديثية، أو فقهية، أو عقائدية يحققها تماماً، ويراجع عليها، فإذا سمعه الناشئ من طلبة العلم، ظن أنه من أكابر العلماء، لكن لو خرج قيد أنملة عن هذا الموضوع الذي حَقَّقَهُ ونَقَّحَهُ وراجع عليه، وجدت أنه ليس عنده علم، لذلك يجب على طالب العلم المبتدئ أن يتلقى العلم على يد العلماء الموثوق بعلمهم وأمانتهم ودينهم.

*****





٦ - سئل الشيخ: يلاحظ ضعف الهمة والفتور في طلب العلم فما الوسائل والطرق التي تدفع إلى علو الهمة والحرص على العلم؟

فأجاب رحمه الله بقوله: ضعف الهمم في طلب العلم الشرعي من المصائب الكبيرة، وهناك أمور لابد منها:

الأمر الأول: الإخلاص لله عز وجل في الطلب، والإنسان إذا أخلص لله في الطلب، وعرف أنه يثاب على طلبه، وسيكون في الدرجة الثالثة من درجات الأمة، فإنه همته تنشط: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾(١٠٩).

الثاني: أن يلازم زملاء يحثونه على العلم، ويساعدونه على المناقشة والبحث، ولا يَمَلّ من صحبتهم ما داموا يعينونه على العلم.

الثالث: أن يصبر نفسه بمعنى يحبسها لو أرادت أن تنفلت، قال الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(١١٠) فليصبر، وإذا صبر وتعود الطلب صار الطلب سجية له، وصار اليوم الذي يفقد فيه الطلب يوماً طويلاً عليه، أمَّا إذا أعطى نفسه العنان فلا، فالنفس أمارة بالسوء، والشيطان يحثه على الكسل وعدم التعلم.

*****

(١٠٩) سورة النساء: آية رقم: ٦٩

(١١٠) سورة الكهف: آية رقم: ٢٨





٧ – سئل الشيخ رحمه الله تعالى: ما نصيحة فضيلتكم لمن يجعل الولاء والبراء لإخوانه في موافقتهم له في مسألة، أو عدم موافقتهم له؟ وكذلك ما يحصل من الحسد والبغض من طلاب العلم؟

فأجاب بقوله: هذا صحيح، فإن بعض الناس يجعلون الولاء والبراء مُقَيَّداً بالموافقة له أو عدم الموافقة، فتجد الشخص يتولى الشخص لأنه وافقه فيها، ويتبرأ منه لأنه خالفه فيها، وأذكر لكم قصة مرت علينا في مِنَى بين طائفتين من الإفريقيين كل واحد يلعن الثاني ويكفره، فجيء بهم إلينا، وهم يتنازعون، قلنا: ما الذي حدث؟ قال الأول: هذا الرجل إذا قام إلى الصلاة يضع يديه اليمنى على اليسرى فوق الصدر، وهذا كفر بالسُّنَّة، وقال الثاني: هذا إذا قام للصلاة يرسل يديه على الفخذين دون أن يجعل اليمنى على اليسرى، وهذا كفر، لأن النبي ﷺ قال: [مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي][111] وعلى هذا يكفر بعضهم بعضاً!! مع العلم أن هذه المسألة مسألة سنة، وليست واجبة، ولا ركن، ولا شرط للصحة، وبعد جهد وعناء كبير اقتنعوا أمامنا، والله أعلم بما وراءنا.

والآن تجد بعض الإخوان – مع الأسف – يَرُدُّ على إخوانه أكثر مما يرد على الملحدين – الذين كفرهم صريح – يعاديهم أكثر مما يعادي هؤلاء، ويشهر بِهِم في كلام لا أصل له، ولا حقيقة له، لكن حسداً وبغياً، ولاشك أن الحسد من أخلاق اليهود، أخبث عباد الله.

---

(١١١) متفق عليه. رواه البخاري [٥٠٦٣]، ومسلم [١٤٠١]، والنسائي [٣٢١٧]، وفي «الكبرى» (٣/٢٦٤)، وأحمد (٣/٢٤١، ٢٥٩، ٢٨٥)، وعبد بن حميد [١٣١٨ تحقيقي]، وابن حبان [١٤، ٣١٧]، والبيهقي في «الكبرى» (٧/٧٧)، وفي «الشعب» (٤/٣٨١)، وغيرهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.



ثم إن الحسد لا يستفيد منه الحاسد إطلاقاً، بل لا يزيده إلا غمّاً وحسرة، ابغ الخير للغير يحصل لك الخير، واعلم أن فضل الله يؤتيه من يشاء، لو حسدت فإنك لن تمنع فضل الله، ربما تمنع فضل الله عليك بمحبتك زوال فضل الله على غيرك، وكراهتك نعمة الله على غيرك، لذلك الحاسد في ظروف طالب العلم مشكوك في نيته وإخلاصه في طلب العلم، لأنه إنما حسد لكون الثاني صار له جاه عند الناس وله كلمة، والتَفَّ الناس حوله، فحسده، لكونه يريد الدنيا، أما لو كان يريد الآخرة حقَاً، ويريد العلم حقّاً لسأل عن هذا الرجل الذي التَفَّ الناس حوله وَأُخِذَ بقوله، تسأل عن علمه لتكون مثله أيضاً، تجيء أنت لتستفيد منه، أمَّا أن تحسده، وتُشَوِّهُ سُمْعَتَهُ، وتذكر فيه من العيوب ما ليس فيه فهذا لا شك أنه بغي وعدوان وخصلة ذميمة.

*****

٨ - سئل فضيلة الشيخ: ذكر الخطيب البغدادي جانبا من جوانب تعلم العلم وهو لزوم أحد العلماء أو أحد المشائخ فما رأي فضيلتكم؟

فأجاب بقوله: هذا جيد كون الإنسان يركز على شيخ من المشائخ يجعله هوالأصل، لاسيما المبتدئ الصغير، المبتدئ الصغير إذا طلب العلم على عدة أناس تذبذب، لأن الناس ليسوا على رأي واحد خصوصاً في عصرنا الآن، كان فيما سبق - أي قبل مدة - كان الناس هنا في المملكة لا يخرجون أبداً عن الإقناع والمنتهى، فتجد فتاواهم واحدة، وشروحهم واحدة لا يختلف واحد عن الآخر إلا في الإلقاء وحسن الأسلوب، لكن الآن لما كان كل واحد حافظاً حديثاً أو حديثين



قال: أنا الإمام المُقتدَى به، والإمام أحمد رجل ونحن رجال، فصارت المسألة فوضى، صار كل إنسان يفتي، أحياناً تأتي الفتاوى تبكي وتضحك، وكنت أَهُمُّ أن أُدَوِّنَ مثل هذه الفتاوى، لكن كنت أخشى أن أكون ممن تتبع عورات إخوانه، فتركته تحاشياً مني، وإلا نقلنا أشياء بعيدة عن الصواب بعد الثريا عن الثرى.

فأقول: ملازمة عالم واحد مهمة جدّاً ما دام الطالب في أول الطريق لكي لا يتذبذب، ولهذا كان مشائخنا ينهوننا عن مطالعة المغني وشرح المهذب والكتب التي فيها أقوال متعددة عندما كنا في زمن الطلبة، وذكر لنا بعض مشائخنا أن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بابطين رحمه الله وهو من أكبر مشائخ نجد مفتي الديار النجدية، ذكروا أنه كان مكبّاً على الروض المربع لا يطالع إلا إياه، ويكرره كلَّما خلص منه كرره، لكن يأخذه بالمفهوم والمنطوق والإشارة والعبارة، فَحَصَّلَ خيراً كثيراً.

أما إذا توسعت مدارك الإنسان فهذا ينبغي له أن ينظر أقوال العلماء يستفيد منها فائدة علمية وفائدة تطبيقية، لكن في أول الطلب أنا أنصح الطالب أن يركز على شيخ معين لا يتعَدَّاه.

*****

٩ – وسئل فضيلة الشيخ: إذا أراد طالب العلم أن ينقل الأحاديث التي زادت من "بلوغ المرام" على "المحرر" لابن عبد الهادي، فهل هذه الطريقة مفيدة؟

فأجاب بقوله: لا شيء في ذلك، هذه طريقة خاصة، لكنه على سبيل العموم كونه يدرس الكتب المشهورة المتداولة بين الناس أحسن.



١٠ - سئل الشيخ عن: كتاب "المحرر" لابن عبد الهادي أليس خيراً من "بلوغ المرام"؟

فأجاب قائلاً: بلوغ المرام متداول بين الناس وصاحبه محقق رحمه الله، والشيء المتداول ينبغي للإنسان أن يعتني به أكثر من غيره، لأن الشيء المهجور لا ينتفع به الناس كثيراً، و"البلوغ" كما هو معلوم خُدِمَ، وقرأ به علماؤنا ومشائخنا.

*****

١١ - وسئل رحمه الله تعالى: ذُكر عن ابن الوزير رحمه الله تعالى أن الصحابة، أبا بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ لم يحفظوا القرآن الكريم، وكذلك ما ورد عن الأئمة كعثمان بن أبي شيبة - على قدره - أنه لم يحفظ القرآن، الأشياء التي تدعوا بعض طلبة العلم لترك حفظ كتاب الله هل هذا صحيح؟

فأجاب قائلاً: أنا أستبعد أن أبا بكر وعمر وعثمان وعليّاً وهؤلاء الأجلَّة من الصحابة لم يحفظوا كتاب الله، هذا بعيد، وتَعْلَم أن القرآن جُمِعَ على عهد أبي بكر، وعلى عهد عثمان كيف يجمعون ولايحفظون؟! بعيد جداً، ولكن حتى لو روي عنه فيجب أن ننظر في الإسناد أولاً، ثم إذا صح الإسناد فنقول: إن الذي تحدث عنهم، وقال: إنهم لم يحفظوا القرآن، تحدث عَمَّا علم، ويبعده جداً أن مثل هؤلاء لا يحفظون القرآن، ولا ينبغي أن يثني الرجل عن حفظ القرآن مثل هذه الروايات.

*****



١٢ - وسئل الشيخ: أرجو من فضيلتكم توضيح المنهج الصحيح في طلب العلم في مختلف العلوم الشرعية جزاكم الله خيراً، وغفر لكم؟

فأجاب بقوله: العلوم الشرعية على أصناف منها:

* علم التفسير: فينبغي لطالب العلم أن يُقْرِنَ التفسير بحفظ كتاب الله عز وجل اقتداءً بالصحابة ﷺ حيث لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، ولأجل أن يرتبط معنى القرآن الكريم بحفظ ألفاظه، فيكون الإنسان ممن تلاه حق تلاوته، لاسيما إذا طبقه.

* علم السُّنَّة: فيبدأ بما هو أصح، وأصح ما في السنة ما اتفق عليه البخاري ومسلم.

* لكن علم السُّنَّة ينقسم إلى قسمين:

قسم يريد الإنسان معرفة الأحكام الشرعية، سواءً في علم العقائد والتوحيد، أو في علم الأحكام العملية، وهذا ينبغي أن يُرَكِّزَ على الكتب المؤلفة في هذا فيحفظها كبلوغ المرام، وعمدة الأحكام، وكتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب - كتاب التوحيد -، وما أشبه ذلك، وتبقى الأمهات للمراجعة والقراءة، فهناك حفظ، وهناك قراءة، يقرأ الأمهات، ويكثر من النظر فيها، لأن في ذلك فائدتين:

الأولى: الرجوع إلى الأصل.

الثانية: تكرار أسماء الرجال على ذهنه، فإنه إذا تكررت أسماء الرجال، لا يكاد يمر به رجل مثلاً من رجال البخاري - في أي





سند كان - إلا عرف أنه من رجال البخاري، فيستفيد هذه الفائدة الحديثية.

* **علم العقائد**: كتبه كثيرة، وأرى أن قِرَاءَتهَا في هذا الوقت تستغرق وقتاً كثيراً، والفائدة موجودة في الزبد التي كتبها مثل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، والعلامة ابن القيم، وعلماء نجد مثل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ومن بعده من العلماء.

* **علم الفقه**: ولا شك أن الإنسان ينبغي له أن يُرَكِّزَ على مذهب معين يحفظه، ويحفظ أصوله وقواعده، لكن لا يعني ذلك أن نلتزم التزاماً بما قاله الإمام في هذا المذهب كما يلتزم بما قاله النبي ﷺ، لكنه يبني الفقه على هذا، ويأخذ من المذاهب الأخرى ما قام الدليل على صحته، كما هي طريقة الأئمة من أتباع المذاهب كشيخ الإسلام ابن تيمية، والنووي، وغيرهما حتى يكون قد بني على أصل، لأني أرى الذين أخذوا بالحديث دون أن يرجعوا إلى ما كتبه العلماء في الأحكام الشرعية، أرى عندهم شطحات كثيرة، وإن كانوا أقوياء في الحديث وفي فهمه لكن يكون عندهم شطحات كثيرة لأنَّهم بعيدون عَمَّا يتكلم به الفقهاء.

فتجد عندهم من المسائل الغريبة ما تكاد تجزم بأنَّها مخالفة للإجماع أويغلب على ظنك أنَّهَا مخالفة للإجماع، لهذا ينبغي للإنسان أن يربط فقهه بما كتبه الفقهاء رحمهم الله، ولا يعني



ذلك أن يجعل الأمام – إمام هذا المذهب – كالرسول ﷺ يأخذ بأقواله وأفعاله على وجه الالتزام، بل يستدل بِهَا، ويجعل هذا قاعدة ولا حرج – بل يجب – إذا رأى القول الصحيح في مذهب آخر أن يرجع إليه، والغالب في مذهب الإمام أحمد أنه لا تكاد ترى مذهباً من المذاهب إلا وهو قول للإمام أحمد، راجع كتب "الروايتين" في المذهب، تجد أن الإمام أحمد رحمه الله لا يكاد يكون مذهب من المذاهب إلا وله قول يوافقه، وذلك لأنه رحمه الله واسع الاطلاع، ورَجَّاعٌ للحق أينما كان، فلذلك أرى أن الإنسان يُرَكِّزُ على مذهب من المذاهب التي يختارها، وأحسن المذاهب فيما نعلم من حيث اتباع السنة مذهب الإمام أحمد رحمه الله وإن كان غيره قد يكون أقرب إلى السنة من غيره، على أنه – كما أشرت قبل قليل – لا تكاد تجد مذهباً من المذاهب إلا والإمام أحمد رحمه الله يوافقه.

وأهم شيء أيضاً في منهج طالب العلم – بعد النظر والقراءة – أن يكون فقيهاً، بمعنى أنه يعرف حكم الشريعة وآثارها ومغزاها، وأن يطبق ما علمه منها تطبيقاً حقيقياً بقدر ما يستطيع: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[112] لكن يحرص على التطبيق بقدر ما يستطيع، وأنا أكرر عليكم دائماً هذه النقطة "التطبيق"، سواء في العبادات، أو الأخلاق، أو في المعاملات طَبِّقْ حتى يُعْرَفَ أنك طالب علم عامل بما علمت.

---

(١١٢) سورة البقرة :آية رقم:٢٨٦



ونضرب مثلاً: إذا مر أحدكم بأخيه هل يشرع له أن يسلم عليه؟

الجـــواب: نعم يُشْرَعُ، ولكن أرى الكثير يمر بإخوانه، وكأنما يمر بعمود، لا يسلم عليه، وهذا خطأ عظيم، حيث يمكن أن نَنْقُدَ العامة إذا فعلوا مثل هذا الفعل، فكيف لا يُنْتَقد الطالب؟! وما الذي يضرك إذا قلت: السلام عليكم؟! وكم يأتيك؟! عشر حسنات، تساوي الدنيا كلها عشر حسنات، لو قيل للناس: كل من مر بأخيه وسَلَّمَ عليه سَيُدْفَعُ له ريال، لوجدت الناس في الأسواق يدورون لكي يسلموا عليه، لأنه سيحصل على ريال، لكن عشر حسنات نُفَرِّطُ فيها. والله المستعان.

وفائدة أخرى: المحبة والألفة بين الناس، فالمحبة والألفة جاءت نصوص كثيرة بإثباتِهَا، وتمكينها، وترسيخها، والنهي عما يضادها، والمسائل التي تضاد كثيرة، كبيع المسلم على بيع أخيه، والخِطبة على خِطبة المسلم، وما أشبه ذلك كل هذا دفعاً للعداوة والبغضاء، وجلباً للألفة والمحبة، وفيها أيضاً تحقيق الإيمان لقوله ﷺ: [وَالله لا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا] (١١٣).

ومعلوم أن كل واحد منا يحب أن يصل إلى درجة يتحقق فيها

(١١٣) صحيح. رواه مسلم [٥٤]، والبخاري في «الأدب المفرد» [٩٨٠]، وأبو داود [٥١٩٣]، والترمذي [٢٦٨٩]، وابن ماجة [٦٨، ٣٦٩٢] وأحمد (٢/ ٣٩١، ٤٤٢، ٤٧٧، ٤٩٥، ٥١٢)، وأبو عوانة [٨٣]، وابن حبان [٢٣٦]، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٢٣٢)، وفي الشعب (٦/ ٤٢٣)، وغيرهم كلهم من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه.





الإيمان له، لأن أعمالنا البدنية قليلة وضعيفة، الصلاة يمضي أكثرها ونحن ندبر شئوناً أخرى، الصيام كذلك، الصدقة الله أعلم بها، فأعمالنا – وإن فعلناها – فهي هزيلة، نحتاج إلى تقوية الإيمان، السلام مما يقوي الإيمان، لأن الرسول ﷺ قال: [لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، ولاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلا أُخْبِرُكُمْ بِشَيءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُم – يعني: حصل لكم الإيمان – أَفْشُوا السَّلامَ بَينَكُمْ][114]، هذه نقطة واحدة مما علمناه، ولكننا أخللنا به كثيراً، لذلك أقول: أسأل الله أن يعينني وإياكم على تطبيق ما علمنا، لأننا نعلم كثيراً، ولكن لا نعمل إلا قليلاً، فعليكم يا إخواني بالعلم، وعليكم بالعمل، وعليكم بالتطبيق، فالعلم حجة عليكم، العلم إذا غَذَّيْتُمُوهُ بالعمل ازداد: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[115]. إذا غذيتموه بالعمل ازددتم نوراً وبرهاناً، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[116] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[117]. والآيات في هذا المعنى كثيرة، فعليكم بالتطبيق في العبادات، وفي الأخلاق، وفي المعاملات، حتى تكونوا طلاب علم حقيقة.

---

(١١٤) راجع التخريج السابق.

(١١٥) سورة محمد :آية رقم:١٧

(١١٦) سورة الأنفال :آية رقم:٢٩

(١١٧) سورة الحديد :آية رقم:٢٨





أسأل الله أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العلمين.

*****

١٣ - سئل فضيلة الشيخ: متى يكون طالب العلم متبعاً لمذهب الإمام أحمد؟

فأجاب بقوله: مذهب الإمام أحمد وغيره من الأئمة قسمان: مذهب شخصي، ومذهب اصطلاحي، فأنت تكون متبعاً له شخصياً إذا أخذت برواية من الروايات عنه، ولكنك لست آخذاً بالمذهب المصطلح عليه إذا كان يخالف المصطلح عليه، والمذهب المصطلح عليه أحياناً ينص الإمام أحمد على أنه رجع عنه، وعلى أنه لا يقول به، لكن لكل أناس من أصحاب المذاهب طريقة يمشون عليها.

*****

١٤ - وسئل الشيخ: ما توجيه فضيلتكم لطالب العلم المبتدئ، هل يُقَلِّدُ إماماً من أئمة المذاهب، أم يخرج عنه؟

فأجاب قائلاً: قال الله عز وجل: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[١١٨]، فإذا كان هذا طالباً ناشئاً لا يعرف كيف يخرج الأدلة، فليس له إلا التقليد، سواء قلد إماماً سابقاً ميتاً، أو قلد إماماً حاضراً، - عالماً من العلماء - وسأله، هذا هو الأحسن، لكن إذا تبين له أن هذا القول مخالف للحديث الصحيح، وجب عليه أن يأخذ بالحديث الصحيح.

(١١٨) سورة الأنبياء: آية رقم: ٧



١٥ - سئل الشيخ رحمه الله ما رأى فضيلتكم في بعض طلبة العلم الذين قد جمعوا أسس العلم في العقيدة ومعرفة الأحكام الفقهية أخذاً من العلماء، فهل يقومون بالدعوة في المساجد، أم ينتظرون حتى يكون عندهم إذن رسمي من الجهات المختصة؟

فأجاب قائلاً: الذي أرى ألا يتكلموا فيما يمنع فيه الكلام إلا بإذن، أرى ألا يتكلم، لأن طاعة ولي الأمر في تنظيم الأمور واجبة، ونعلم أنه لو أذن للصغار الذين ابتدأوا طلب العلم بالكلام لتكلموا بما لا يعلمون، وحصل بذلك مفسدة واضطراب للناس، ربما في العقائد فضلاً عن الأعمال البدنية.

فمنع الناس من الكلام إلا بإذن وبطاقة، ليس منعاً تاماً حتى نقول لا طاعة لولاة الأمر في ذلك، لأن فيه منعاً لتبليغ الشريعة، لكنه منع مقيد بما يضبطه بحيث يُعْرَف من هو أهل لذلك أو لا، وكما تعلمون الآن كل من تقدم للمسئولين لهذا الأمر وعلموا أنه أهل لذلك أعطوه إذناً، لم نعلم بأنهم قالوا لأحد تقدم وهو أهل لنشر العلم لا تفعل، والأمر والحمد لله أمر يطمئن إليه الأنسان، ولا يجوز لأحد أن يتكلم في موضع يمنع فيه من الكلام من جهة ولي الأمر، إلا بإذن يعني مثلاً: في المساجد، أو في الأماكن العامة، لكن بينه وبين إخوانه في غرفته، في حجرته، فهذا لا بأس به، لا يُمنع أحد.

*****



١٦ - سئل فضيلة الشيخ غفر الله له: كثرت الأسئلة عن كيفية الطلب، وبأي شيء يبدأ من أراد أن يطلب العلم، وبأي المتون يبدأ حفظاً، فما توجيهكم لهؤلاء الطلبة وجزاكم الله خيراً؟

فأجاب بقوله: أولاً وقبل أن أذكر التوجيه لهؤلاء الطلبة، أوجه الطلبة أن يتلقوا العلم عن شيخ عالم، لأن تلقي العلم عن العالم فيه فائدتان عظيمتان:

الأولى: أنه أقرب تناولاً، لأن العالم عنده اطلاع، وعنده معرفة، ويعطيك العلم ناضجاً سهلاً.

الثانية: أن الطلب على عالم يكون أقرب للصواب، بمعنى أن الذي يطلب العلم علي غير عالم يكون له شطحات وآراء شاذة بعيدة عن الصواب، وذلك لأنه لم يقرأ على عالم راسخ في علمه حتى يربيه على طريقته التي يختارها.

فالذي أرى أن يحرص الإنسان على أن يكون له شيخ لطلب العلم، لأنه إذا كان له شيخ، فإنه سوف يوجهه التوجيه الذي يرى أنه مناسب له.

أما بالنسبة للجواب على سبيل العموم فإننا نقول:

أولاً: الأولى أن يحفظ الإنسان كتاب الله تعالى قبل كل شيء لأن هذا هو دأب الصحابة ﷺ كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى تعلموها وما فيها من العلم والعمل، وكلام الله أشرف الكلام على الإطلاق.



ثانيـــاً: يأخذ من متون الأحاديث المختصرة ما يكون ذخراً له في الاستدلال بالسنة مثل: عمدة الأحكام، بلوغ المرام، الأربعون النووية، وما أشبه ذلك.

ثالثـــاً: يحفظ من متون الفقه ما يناسبه، ومن أحسن المتون التي حفظناها: زاد المستقنع في اختصار المقنع، لأن هذا الكتاب قد خُدِمَ من قِبَلِ شارحه منصور بن يونس البهوتي، ومن قِبَلِ مَنْ بعده ممن خدموا هذا الشرح والمتن بالحواشي الكثيرة.

رابعـــاً: النحو وما أدراك ما النحو الذي لا يعرفه من الطلبة إلا القليل حتى إنك لترى الرجل قد تخرج من الكلية وهو لا يعرف عن النحو شيئاً يتمثل بقول الشاعر:

لا بارك الله في النحو ولا أهله   إذا كان منسوباً إلى نفطويه
أحرقه الله بنصف اسمه   وجعل الباقي صراخاً عليه

لماذا قال الشاعر هذا الكلام؟

الجواب: لأنه عجز عن النحو، ولكن أقول: إن النحو بابه من حديد ودهاليزه قصب - يعني أنه شديد وصعب - عند أول الدخول فيه، ولكنه إذا انفتح الباب لطالبه سهل عليه الباقي بكل يسر وصار سهلاً عليه، حتى بعض طلبة العلم الذين بدأوا في النحو صاروا يعشقونه فإذا خاطبتهم بخطاب عادي جعله يعربه ليتمرن على الإعراب، ومن أحسن متون النحو «الآجرومية»، كتاب مختصر مركز غاية التركيز، ولهذا أنصح من يبدأ أن يبدأ به، فهذه الأصول التي ينبغي أن ينبني عليها طالب العلم.



خامساً: أما ما يتعلق بعلم التوحيد، فالكتب في هذا كثيرة منها كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ومنها العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهي كثيرة ومعروفة ولله الحمد.

والنصيحة العامة لطالب العلم أن يكون عليه آثار علمه من تقوى الله عز وجل، والقيام بطاعته، وحسن الخلق، والإحسان إلى الخلق بالتعليم والتوجيه والحرص على نشر العلم بجميع الوسائل سواء كان ذلك عن طريق الصحف، أوالمجلات، أو الكتب، أو الرسائل، أو النشرات، وغير ذلك من الوسائل.

وأنصح طالب العلم أيضاً ألا يتسرع في الحكم على الشيء، لأن بعض طلبة العلم المبتدئين تجده يتسرع في الإفتاء وفي الأحكام، وربما يخطئ العلماء الكبار وهو دونهم بكثير، حتى إن بعض الناس يقول ناظرت شخصاً من طلبة العلم المبتدئين فقلت له: إن هذا قول الإمام أحمد بن حنبل، فقال: وما الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل رجل ونحن رجال، سبحان الله!! صحيح أن الإمام أحمد رجل وأنت رجل، فأنتما مستويان في الذكورة، أما في العلم فبينكما فرق عظيم، وليس كل رجل رجلاً بالنسبة للعلم.

وأقول إن على طالب العلم أن يكون متأدباً بالتواضع وعدم الإعجاب بالنفس، وأن يعرف قدر نفسه.

ومن المهم لطالب العلم ألا يكون كثير المراجعة لأقوال العلماء، لأنك إذا أكثرت مراجعتك لأقوال العلماء، وجعلت تطالع المغني في





الفقه لابن قدامة، والمجموع للنووي، والكتب الكبيرة التي تذكر الخلاف وتناقشه فإنك تضيع.

ابدأ أولاً كما قلنا بالمتون المختصرة شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى الغاية، وأما أن تريد أن تصعد الشجرة من فروعها فهذا خطأ.

*****

١٧ - سئل الشيخ رحمه الله تعالى: ما طريقة طلب العلم باختصار جزاكم الله خيراً؟

فأجاب بقوله: طريقة طلب العلم باختصار في نقاط:

* احرص على حفظ كتاب الله تعالى، واجعل لك كل يوم شيئاً معيناً تحافظ على قراءته، ولتكن قراءتك بتدبر وتفهم، وإذا عنت لك فائدة أثناء القراءة فقيدها.
* احرص على حفظ ما تيسر من صحيح سنة رسول الله ﷺ، ومن ذلك حفظ عمدة الأحكام.
* احرص على التركيز والثبات بحيث لا تأخذ العلم نتفاً، من هذا شيئاً ومن هذا شيئاً، لأن هذا يضيع وقتك ويشتت ذهنك.
* ابدأ بصغار الكتب وتأملها جيداً، ثم انتقل إلى ما فوقها، حتى تحصل على العلم شيئاً فشيئاً على وجه يرسخ في قلبك وتطمئن إليه نفسك.
* احرص على معرفة أصول المسائل، وقواعدها، وقيد كل شيء يمر بك من هذا القبيل فقد قيل: من حُرِمَ الأصول حُرِمَ الوصول.
* ناقش المسائل مع شيخك، أو مع من تثق به علماً وديناً من



أقرانك، ولو بأن تقدر في ذهنك أن أحداً يناقشك فيها إذا لم تكن المناقشة مع من سَمَّيْنَا.

******

١٨ - وسئل فضيلة الشيخ رحمه الله: عن حكم تعلم اللغة الإنجليزية في الوقت الحاضر؟

فأجاب: تعلمها وسيلة، فإذا كنت محتاجاً إليها كوسيلة في الدعوة إلى الله فقد يكن تعلمها واجباً، وإن لم تكن محتاجاً إليها فلا تشغل وقتك بِهَا، واشتغل بما هو أهم وأنفع، والناس يختلفون في حاجاتهم إلى تعلم اللغة الإنجليزية، وقد أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم لغة اليهود(١١٩). فتعلم اللغة الإنجليزية وسيلة من الوسائل إن احتجت إليها تعلمتها، وإن لم تحتج إليها فلا تضيع وقتك فيها.

*****

١٩ - سئل رحمه الله عن حكم مشاهدة الأفلام التعليمية، التي قد تكون فيها نساء وخصوصاً أفلام تعلم اللغة الإنجليزية؟

فأجاب قائلاً: أنا أرى أن مشاهدة الأفلام التعليمية جائزة ولا بأس بِهَا، لأنَّهَا مشاهدة لأمر يكون خيراً، وإذا كان الذي يظهر من النساء والمشاهدون رجال فإن حصل تمتع بالنظر إليها، فهذا محرم.

---

(١١٩) فقد قال رسول الله ﷺ: [يا زيد تعلم كتاب اليهود، فإني والله ما آمن يهود على كتابي]
حديث حسن. رواه أحمد (٥/ ١٨٦) واللفظ له، والبخاري في «الكبير» (٣/ ٣٨٠، ٣٨١)، وأبو داود [٣٦٤٥]، والترمذي [٢٧١٥]، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١٢٧)، والحاكم (١/ ٧٥)
قلت: وهو حديث حسن، حسنه الألباني في «الصحيحة» [١٨٧].



وأما إذا لم يكن ذلك فهذا محمل توقف عندي وعلى كل حال فإنني أكره ذلك لأنه يخشى على الإنسان من الفتنة إذا شاهد ذلك، وبالإمكان إذا كان الذي يتكلم في هذه الحلقة امرأة أن تضع على الشاشة غطاء حتى لا تظهر أمام الطلبة، هذا إذا اضطررنا إلى الاستماع للمرأة بحيث لا يوجد هذا الموضع قد تكلم به رجل، فإن كان يوجد رجل قد تكلم هذا الموضوع وشرحه فلا يعدل عنه إلى النساء إذا كان المتعلمون رجلاً والعكس بالعكس.

*****

٢٠ - وسئل فضيلته: كثر عند بعض الشباب الصالح القول بعدم التقليد، مستندين إلى بعض أقوال ابن القيم عليه رحمة الله فما قولكم؟

فأجاب بقوله: الحقيقة أنني أؤيد هذا، أن الإنسان لا يركن إلى التقليد، لأن المقلد قد يخطئ، ولكني مع ذلك لا أرى أن نبتعد عن أقوال أهل العلم السابقين حتى لا نتشتت ونأخذ من كل مذهب، لأننا وجدنا أن الإخوة الذين ينكرون التقليد وجدناهم أحياناً يضيعون حتى يقولوا بما لم يسبقهم إليه أحد.

ولكن إذا دعت الضرورة إلى التقليد فإنه لابد منه لقول الله تعالى: ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾[١٢٠]، فأوجب سبحانه سؤال أهل الذكر إذا كنا لا نعلم، وسؤالهم يتضمن اعتماد قولهم وإلا لم يكن لسؤالهم فائدة.

فالتقليد كما قال شيخ الإسلام بمنزلة الميتة إن اضطررت إليها

(١٢٠) سورة الانبياء :آية رقم:٧



فكلها، وإن استغنيت عنها فهي حرام عليك، فمتى نزل بالإنسان نازلة ولا يتمكن من مطالعتها في الكتب التي تسوق الأدلة فلا حرج عليه حينئذٍ أن يقلد، ولكنه يقلد من يراه أقرب إلى الحق في علمه وأمانته، وأما ما دام عنده قدرة على استنباط الأحكام من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإنه لا يقلد.

*****

٢١ – وسئل فضيلة الشيخ: إذا كانت الأمة أحوج إلى العلوم المادية كالطب والهندسة وغيرها، فهل الأفضل للإنسان أن يتخصص في العلوم المادية أم العلوم الشرعية؟

فأجاب بقوله: لا شك أن الأصل هو العلوم الشرعية، ولا يمكن لإنسان أن يعبد الله حق عبادته إلا بالعلم الشرعي كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾(١٢١). فلابد من العلم الشرعي الذي تقوم به عبادة المرء، ولا يمكن لأي دعوة أن تقوم إلا وهي مبنية على العلم، وبهذه المناسبة أود أن أحث إخواني الدعاة إلى الله أن يتعلموا قبل أن يدعوا وليس معنى ذلك أن يتبحروا في العلم لكن ألا يتكلموا بشيء إلا وقد بنوه على العلم، لأنهم إذا تكلموا بما لا يعلمون كانوا داخلين تحت قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١٢٢)

(١٢١) سورة يوسف: آية رقم: ١٠٨

(١٢٢) سورة الأعراف: آية رقم: ٣٣



والعلوم الشرعية تنقسم إلى قسمين:

* قسم لابد للإنسان من تعلمه وهو ما يحتاجه في أمور دينه ودنياه.
* وقسم آخر وهو فرض كفاية، فإنه هنا يمكن الموازنة بينه وبين ما تحتاجه الأمة من العلوم الأخرى التي ليست من العلوم الشرعية.

وكذلك العلوم الأخرى التي ليست من العلوم الشرعية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- قسم العلوم الضارة، فيحرم تعلمها ولا يجوز للإنسان أن يشتغل بهذه العلوم مهما تكن نتيجتها.
- قسم العلوم النافعة، فإنه يتعلم منها ما فيه النفع.
- قسم العلوم التي جهلها لا يضر والعلم بها لا ينفع، وهذه لا ينبغي للطالب أن يقضي وقته في طلبها كعلوم المنطق وغيره.

*****

٢٢ - سئل فضيلة الشيخ: نلاحظ أن أكثر الشباب يهتم بقراءة الكتب الثقافية العامة متأثراً بها وغير مهتم بكتب الأصول فيما نصيحتكم وفقكم الله؟

فأجاب قائلاً: نصيحتي لنفسي أولاً، ثم لإخواننا طلبة العلم أن يعتنوا بكتب أهل العلم من السلف، لأن كتب السلف فيها من الخير الكثير والعلم الكثير، وفيها من البركة ما هو معلوم.

*****



٢٣ - وسئل فضيلته: نرى كثيراً من الناس يعلم بعض الأحكام الشرعية، كتحريم حلق اللحية، وشرب الدخان، ومع ذلك لا يعمل بعلمه، فما أسباب ذلك، وكيف تعالج هذه الظاهرة الخطيرة؟

فأجاب بقوله: أسباب ذلك هو اتباع الهوى، وكون الإنسان ليس عنده من الوازع الديني ما يحمله على تقوى الله عز وجل في تجنب ما يراه حراماً، والإنسان إذا حاسب نفسه، ورأى أنه راجع إلى ربه مهما طال الوقت، فإنه قد يغلب هواه وقد يسيطر على نفسه.

ومن أسباب ذلك أيضاً: أن الشيطان يصغر مثل هذه المعاصي في قلب العبد، والنبي ﷺ حذر من ذلك فقال: [إِيَّاكُم وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوب فإِنَّمَا مَثَلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضاً فَأَتَى هَذَا بِعُودٍ وَهَذَا بِعُودٍ وَهَذَا بِعُودٍ ثُمَّ إِذَا جَمَعُوا حَطَباً كثيراً وأَضْرَمُوا نَاراً كَثِيراً](١٢٣)، فهكذا المعاصي المحقرات التي يراها الإنسان حقيرة لا تزال به حتى تكون من كبائر الذنوب.

ولهذا قال أهل العلم: إن الإصرار على الصغائر يجعلها كبائر، وإن الاستغفار من الكبائر يكفرها، لهذا نقول لهؤلاء: عليكم أن تحاسبوا أنفسكم، كذلك من أسباب ذلك قلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولو كان كل واحد منا إذا رأى أحداً على معصية أرشده وبين له أن ذلك مخالف لهدي الرسول ﷺ فإن العاقل سوف يعتبر ويتغير.

---

(١٢٣) صحيح. رواه أحمد (٥ / ٣٣١)، والرامهرمزي في «الأمثال» [٦٧]، والطبراني في «الكبير» (٦ / ١٦٦)، وفي «الصغير» [٩٠٤ الروض الداني] من حديث سهل بن سعد بلفظ قريب، وله شاهد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رواه أحمد (٤ / ٤٠٢)، وأبو الشيخ في «الأمثال» [٣١٩ تحقيقي]، والطبراني في «الكبير» (١٠ / ٢٦١) ولكن في سنده ضعف.

٢٤ - سئل الشيخ: ما الواجب على طالب العلم والعالم تجاه الدعوة إلى الله؟

فأجاب بقوله: الدعوة إلى الله واجبة كما قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(١٢٤).

وقد جعل الله الدعوة على ثلاث مراتب: الدعوة بالحكمة، وبالموعظة، وبالمجادلة، لأن من تدعو إما أن يكون لا علم عنده ولا منازعة عنده ولامخالفة فهذا يُدْعَى بالحكمة، والحكمة هي بيان الحق وحكمة الحق أن تيسر لك، والموعظة تكون مع مَنْ عنده شيء من الإعراض وتوقف عن قبول الحق فإنك تعظه بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى وبهما جميعاً إن اقتضت الحال ذلك، والمجادلة تكون مع من عنده إعراض ومنازعة في الحق فإنك تجادله بالتي هي أحسن من القول أو بالتي هي أحسن بالإقناع.

وانظر إلى مجادلة إبراهيم عليه السلام مع الذي حاجه في ربه قال الله عن ذلك: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(١٢٥) وكيف هذا؟ يؤتى بالرجل مستحقاً للقتل فلا يقتله وهذا بزعمه إحياؤه، ويؤتى بالرجل لا يستحق القتل فيقتله وهذا بزعمه إماتته، يمكن أن يجادل هذا بأن يقال: إنك إذا أوتيت بالرجل المستحق القتل فلم تقتله إنك ما أحييته، لأن الحياة موجودة فيه من قبل، ولكنك

(١٢٤) سورة النحل: آية رقم: ١٢٥

(١٢٥) سورة البقرة: آية رقم: ٢٥٨



أبقيت الحياة بعدم قتله، ويمكن أن تقول: إنه إذا قتل من لا يستحق القتل إنه لم يمته، وإنما فعل سبباً يكون به الموت.

ولهذا ذكر النبي ﷺ في قصة الدجال: أَنَّهُ يُؤْتَى إِليه بشَاب فَيَشْهَدُ هَذَا الشَّاب أَنَّهُ الدَّجَّالُ الَذي أَخْبَر عَنْهُ النبيُّ ﷺ فَيَقْتله الدَّجَّالُ وَيَجْعَلَه قطعَتَيْن ويَمْشي بَيْنَهُمَا تَحقيقاً للتَّبَاين بَيْنَهُمَا ثُمَّ يُنَاديه الدَّجَّالُ فَيَقُوم مُتَهَلهلاً يَضْحَكُ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّال الَذي أخْبَرنَا عَنْكَ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ يَأتي ليَقْتُلَه فَلاَ يَقْدرُ[126] فهذا دليل على أن الأمر كله بيد الله.

فيمكن أن يحاجَّ هذا الرجل بمثل ذلك، ولكن إبراهيم عليه السلام، أراد أن يأتي بدليل آخر لا يحتاج إلى محاجة ولا مجادلة، قال إبراهيم:

---

(١٢٦) فقد روى مسلم في صحيحه [٢٩٣٨]، وغيره عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: [يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتوجَّه قِبَلَهُ رَجُلٌ مِن الْمؤْمِنينَ، فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ، مَسَالِحُ الدّجَال. فيقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلى هَذا الَّذِي خَرَجَ. قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنا خَفَاءٌ. فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ. فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلوا أحداً دُونَهُ. قَالَ فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ. فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ: يا أَيُّها النَّاسُ! هذا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَر رَسُولُ الله ﷺ. قَالَ فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ. فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ. فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْباً. قَالَ: فَيَقُولُ: أَمَا تُؤْمِنُ بِي؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ. قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِنْشَارِ مِنْ مَفْرِقِه حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيه. قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ. ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ. فَيَسْتَوِي قَائِماً. قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلا بَصِيرَةً. قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يا أَيُّها النَّاسُ! إِنَّهُ لاَ يَفْعَلُ بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ. قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ. فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِه إِلى تَرْقُوَتِه نُحَاساً. فَلاَ يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلاً. قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ. فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّما قَذَفَهُ إِلى النَّارِ. وَإِنَّما أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ].

قلت: هذا لفظ مسلم، وأصل القصة في الصحيحين.



﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ فنكص عن الجواب، وقال: ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾

فقوله تعالى: ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١٢٧) أي الأحسن في الأسلوب والإقناع وبالتالي يجب علينا أن ندعوا إلى الله ما دام الإنسان قادراً على ذلك، ولكن الدعوة إلى الله فرض كفاية، أي: إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين، فإذا رأيت شخصاً منحرفاً وليس حولك من يدعو صار الآن فرض عين عليك، لأن العلماء يقولون فرض الكفاية: إنه إذا لم يوجد سوى هذا الرجل تعين عليه.

*****

٢٥ - سئل الشيخ: ما فائدة تعلم طلاب العلم فرق المعتزلة والجهمية والخوارج مع عدم وجودها في هذا العصر؟

فأجاب بقوله: تعلم فرق المبتدعة في هذا الزمان فيه فائدة وهي: أن نعرف مآخذ هذه الفرق لنرد عليهم إذا وجدوا، وهم موجودون فعلاً، وقول السائل إنهم لا وجود لهم الآن مبني على علمه هو، ولكن المعلوم عندنا وعند غيرنا ممن يطلعون على أحوال الناس أن هذه الفرق موجودة وأن لها نشاطاً أيضاً في نشر بدعهم، ولذلك لابد من أن نتعلم هذه الآراء حتى نعرف زيفها ونعرف الحق ونرد على من يجادلون فيها، فهذه الفرق موجودة وقائمة، ولكنها تختلف على حسب الجهات، ففي بعض الجهات تكون كثيرة منتشرة وفي بعضها تكون قليلة وفي بعضها تكون معدومة ولكنها حية حتى الآن.

(١٢٧) سورة النحل: آية رقم: ١٢٥



٢٦ - سئل فضيلة الشيخ: نحن طلاب العلم نحفظ الكثير من الآيات على سبيل الاستشهاد، وفي نهاية العام نكون قد نسينا الكثير منها، فهل ندخل في حكم من يعذبون بسبب نسيان ما حفظوه؟

فأجاب قائلاً: نسيان القرآن له سببان: الأول: ما تقتضيه الطبيعة، والثاني: الإعراض عن القرآن وعدم المبالاة به، فالأول لا يأثم به الإنسان ولا يعاقب عليه، فقد وقع من رسول الله ﷺ حين صلى بالناس ونسي آية، فلما انصرف ذكره بهَا أُبَيٌّ بن كعب، فقال له النبي ﷺ: [هَلاَّ كُنْتَ ذَكَّرْتَنيهَا] (١٢٨)، وسمع رسول الله قارئاً يقرأ، فقال: [يَرْحَمُ اللهُ فُلاَناً فَقَدْ ذَكَّرَنِي آيَةً كُنْتُ قَدْ أُنْسِيتُهَا] (١٢٩).

وهذا يدل على أن النسيان الذي يكون بمقتضى الطبيعة لا يكون فيه لوم على الإنسان.

أما ما سببه الإعراض وعدم المبالاة فهذا قد يأثم به، وبعض الناس يكيد له الشيطان ويوسوس له ألا يحفظ القرآن لئلا ينساه ويقع في الإثم، والله سبحانه تعالى يقول: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (١٣٠) فليحفظ الإنسان القرآن، لأنه خير، وليؤمل عدم

---

(١٢٨) صحيح. رواه أبو داود [٩٠٧]، وعبد الله بن أحمد في «زوائده على المسند» (٤ / ٧٤)، وابن حبان [٢٢٤٠]، وابن خزيمة في «صحيحه» [١٦٤٨]، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٥ / ١٧٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٠ / ٢٧-٢٨ / ٣٤).

قلت: وهو حديث صحيح.

(١٢٩) متفق عليه. رواه البخاري في أكثر من موقع منها [٥٠٣٧]، ومسلم [٧٨٨]، وأبو داود [١٣٣١، ٣٩٧٠]، والنسائي في «الفضائل» [٣١]، وأحمد (٦ / ٦٢، ١٣٨)، وأبو يعلى [٤٤٩٢]، وابن حبان [١٠٧]، وغيرهم من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١٣٠) سورة النساء: آية رقم: ٧٦





النسيان، والله سبحانه عند ظن عبده به.

ونظير هذا ما يستدل به بعض الناس بقول الله تعالى: ﴿لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾(١٣١)، فيترك السؤال والعلم والتعلم، ولكن كان هذا حين نزول الوحي والتشريع، فقد يسأل البعض عن أشياء سكت الله عنها فتبين لهم، فيكون فيها تشديد على المسلمين بالإيجاب أو التحريم.

أما الآن فلا تغيير في أحكام ولانقص فيها، فيجب السؤال عن الدين.

*****

٢٧ - سئل الشيخ غفر الله له: قد يعلم الإنسان شيئاً ويأمر به غيره وهو نفسه لا يعمله سواء كان فرضاً أو نفلاً فهل يحل له أن يأمر غيره بما لا يعمل؟ وهل يجب على المأمور امتثال أمره أم يحل له الاحتجاج عليه بعدم عمله ثم لا يعمل ما أمر به تبعاً لذلك؟

فأجاب بقوله: هنا أمران، الأمر الأول: هذا الذي يدعو إلى الخير وهو لا يفعله نقول له: قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾(١٣٢). وأنا أعجب كيف يؤمن رجل بأن هذا هو الحق، ويؤمن بأن التعبد لله به يقربه إليه ويؤمن بأنه عبد الله ثم لايفعله، فهذا شيء يعجب له ويدل على السفه، وأنه محط التوبيخ واللوم لقوله تعالى ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ فنقول لهذا الرجل: أنت آثم بتركك العمل بما علمت وبما تدعو إليه، ولو بدأت

---

(١٣١) سورة المائدة: آية رقم: ١٠١

(١٣٢) سورة الصف: آية رقم: ٢-٣





بنفسك لكان ذلك من العقل والحكمة، أما بالنسبة للمأمور فإنه لا يصح له أن يحتج على هذا الرجل بفعله، فإذا أمره بخير وجب عليه القبول، يجب أن يقبل الحق من كل من قال به ولا يأنف من العلم.

*****

٢٨ - وسئل فضيلته: كيف نرد على من قال: إن العلماء السابقين لم تكن لديهم المشاغل التي تؤثر على حفظهم كما هو حاصل لعلماء هذا الزمان، ومنهم من يكون ليس لديهم إلا التفرغ لطلب العلم وحفظه والجلوس بلا مشاغل، أما الآن فكثرت المشاغل الدنيوية التي تأخذ كل الوقت، والإنسان قد لا يستطيع الاستغناء عن هذه المشاغل؟

فأجاب رحمه الله: أقول لطالب العلم ما دمت أنك قد فرغت نفسك للعلم فكن طالب علم حقاً، وأعتقد أن البَنَّاء الذي فرغ نفسه للبِنَاء لا يلتفت إلى عمل آخر، بل يلتفت إلى مهمته التي كرس نفسه لها ورأى أنها الخير له، فما دمت تعلم أن طلب العلم هو الخير وتريد أن تتخذه طريقاً لك فلا تلتفت إلى غيره.

وفي ظني أن الرجل إذا ثابر مع الإيمان والإخلاص وصدق النية فإن الله سبحانه وتعالى يعينه ولا يعبأ بهذه المشكلات، والله عز وجل يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾(١٣٣)، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾(١٣٤)، فعليك بصدق النية في الطلب تجد الأمر سهلاً ومُيَسَّراً.

(١٣٣) سورة الطلاق: آية رقم: ٤

(١٣٤) سورة الطلاق: آية رقم: ٢ - ٣



٢٩ – وسئل الشيخ: بماذا تنصح من يريد طلب العلم الشرعي وهو بعيد عن العلماء مع العلم بأن لديه مجموعة كتب منها الأصول و المختصرات؟

فأجاب بقوله: أنصحه بأن يثابر على طلب العلم ويستعين بالله عز وجل ثم بأهل العلم، لأنه حقيقة تَلَقِّي الإنسان العلم على يدي العالم يختصر له الزمن بدلاً من أن يذهب ليراجع عدة كتب وتختلف عليه الآراء، ولست أقول كمن يقول: إنه لا يمكن إدراك العلم إلا على عالم أو شيخ فهذا ليس بصحيح، لأن الواقع يكذبه لكن دراستك على الشيخ تنور لك الطريق وتختصره.

*****

٣٠ – سئل الشيخ: أنا طالب علم، وأهلي عندهم ظروف مادية، فقال لي والدي: اعمل علينا أفضل لك من طلب العلم، فهل أترك دراستي للعلم، وهل العمل علي الأهل أفضل أم لا؟

فأجاب قائلاً: لاشك أن طلب العلم أفضل – اللهم إلا في الضرورة –، إلا أنه يمكنه أن يجمع بينهما، ولاسيما أن الحالة الإقتصادية – والحمد لله – أن أكثر الناس قد أوسع الله عليهم، فيمكن أن تقوم بحاجة أهلك، فتتزوج امرأة تكون عندها بعض المؤنة، وتكون مستمراً في طلب العلم.

*****

٣١ – وسئل فضيلة الشيخ: أنا طالب علم في الجامعة، وكل دراستي نظريات غربية تنافي تعاليم الشرع، فما رأيكم إذا علمت أنني أنوي نقد مثل هذه النظريات، ونفع الأمة الإسلامية في دراستي الحالية وبعد تخرجي؟

فأجاب بقوله: أقول: هذا لا شك أنه من الجهاد في سبيل الله، أن يدرس الإنسان هذه النظريات المخالفة للإسلام، حتى يرد عليها من علم.

ولهذا قال النبي ﷺ لمعاذ، وقد أرسله إلى اليمن: [إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوماً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ] (١٣٥)، فأخبره بحالهم، كي يستعد لهم، وكذلك العلماء الذين درسوا هذه الأمور كشيخ الإسلام ابن تيمية، درس من العلوم والنظريات الفلسفية وغيرها ما يستطيع أن يرد بها على أصحابها.

فإذا كنت تتعلم هذه الأمور للرد، وأنت واثق أن لديك المقدرة والحصانة على الرد، بحيث لا تتأثر بها، بأن يكون لديك علم شرعي راسخ ويكون لديك عبادة وتقوى فأرجو – إن شاء الله تعالى – أن يكون هذا خيراً لك ونفعاً للمسلمين، وأما إذا كنت ترد عليها بشيء غير مقبول أو ليس لديك دليل، فلا تنتهج هذا الطريق، وكذلك إذا كنت تعرف نفسك أنك لست على يقين كامل وثبات راسخ، فأنا أشير عليك أن تدع هذه الأمور، لأنها خطيرة، ولا ينبغي لإنسان أن يتعرض للبلاء مع الخوف منه.

---

(١٣٥) متفق عليه. رواه البخاري [١٣٩٥]، [١٤٥٨]، [٤٣٤٧]، ومسلم [١٩]، وأبو داود [١٥٨٤]، والنسائي [٢٥٢٢]، والترمذي [٦٢٥]، وابن ماجة [١٧٨٣]، والدارمي [١٦١٤]، والدارقطني [٢١٨]، والبيهقي (٤/٩٦، ١٠١)، وغيرهم كثير.



٣٢ - وسئل فضيلته : أنا طالب أحب أن آخذ درجات عالية، ومعدلاً ممتازاً، وأنا مع ذلك نيتي طيبة، فما رأيك في الفرح بالدرجات العالية، والغضب من الدرجات الضعيفة، هل في هذا خدش للإخلاص؟

فأجاب بقوله : الظاهر - إن شاء الله - أنه ليس في هذا خدش للإخلاص، لأن هذا أمر طبيعي أن الإنسان يسر بالحسنة، ويساء بالسيئة، والله تعالى بَيَّنَ أن الأشياء التي لا تلائم المرء سماها سيئة، فلابد أن تسوءه، وكذلك الحسنة، لابد أن تسره.

فهذا لا يؤثر على إخلاصك، إذا كان الأمر كما قلت: عندك نية طيبة، أما إذا كان همك هو الدرجات أو الشهادة، فهذا شيء آخر، فها هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما لما ألقى النبي ﷺ على أصحابه مسألة قال: [إِنَّ فِي الشَّجَرِ شَجَرَةً تشبه المؤمن فجعل الصحابة رضي الله عنهم يخوضون في أشجار البوادي قال ابن عمر: فَوَقَعَ فِي قَلْبِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، ولكني كنت صغيراً، فما أحببت أن أتكلم] [١٣٦]، وعمر رضي الله عنه قال لابنه: وددت أنك قلتها، وهذا يدل على أن فرح الإنسان بنجاح وما أشبه ذلك لا يضر.

*****

---

(١٣٦) متفق عليه. أخرجه البخاري [٦١]، [٦٢]، [١٣١]، ومسلم [٢٨١١]، والترمذي [٢٨٩٧]، وأحمد (٢ / ٦١)، ومالك [٩٦٣]، وغيرهم من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما.

قلت: وللحديث طرق أخرى كثيرة عن ابن عمر رضي الله عنهما.



٣٣ - وسئل الشيخ غفر الله له: ما رأى فضيلتكم في تعلم طالب العلم اللغة الإنجليزية، لاسيما في سبيل استخدامها في الدعوة إلى الله؟

فأجاب بقوله: رأينا في تعلم اللغة الإنجليزية أنها وسيلة لا شك، وتكون وسيلة طيبة إذا كانت لأهداف طيبة، وتكون رديئة إذا كانت لأهداف رديئة، لكن الشيء الذي يجب اجتنابه أن تتخذ بديلاً عن اللغة العربية، فإن هذا لا يجوز وقد سمعنا بعض السفهاء يتكلم بها بدلاً من اللغة العربية، حتى إن بعض السفهاء المغرمين الذين أعتبرهم أذناباً لغيرهم، كانوا يعلمون أولادهم تحية غير المسلمين، يعلمونهم أن يقولوا: (باي باي) عند الوداع وما أشبه ذلك.

لأن استبدال اللغة العربية التي هي لغة القرآن وأشرف اللغات بهذه اللغة، هذا محرم، أما استعمالها وسيلة للدعوة فإنه لا شك أنه يكون واجباً أحياناً، وأنا لم أتعلمها، أتمنى أنني كنت تعلمتها ووجدت في بعض الأحيان أني أضطر إليها، حتى المترجم لا يمكن أن يعبر عما في قلبي تماماً.

وأذكر لكم قصة حدثت في مسجد المطار بجدة مع رجال التوعية الإسلامية نتحدث بعد صلاة الفجر، عن مذهب التيجاني، وأنه مذهب باطل، وكفر بالإسلام، وجعلت أتكلم بما أعلم، فجائني رجل فقال: أريد أن تأذن لي أن أترجم بلغة الهوسا، فقلت: لامانع، فترجم فدخل رجل مسرع، فقال: هذا الرجل الذي يترجم عنك يمدح التيجانية، فدهشت، وقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، فلو كنت أعلم مثل هذه اللغة، ما كنت أحتاج إلى مثل هؤلاء الذين يخدعون،



فالحاصل أن معرفة لغة من تخاطب، لا شك أنَّهَا مهمة في إيصال المعلومات، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾ [١٣٧].

*****

٣٤ - وسئل رحمه الله تعالى: أنا متخصص في علم الكيمياء وأتابع البحوث والدراسات التي تصدر في هذا المجال لكي أستفيد وأفيد من ذلك في أي مجال أعمل به سواء مدرسة أو مصنعاً مع العلم بأن ذلك يشغلني عن طلب العلم الشرعي فكيف أوفق بينهما؟

فأجاب بقوله: أرى أن التوفيق بين العلمين يمكن، بحيث تركز على العلم الشرعي، ويكون هو الأصل لديك ويكون طلب العلم الآخر على سبيل الفضول، ثم مع ذلك تمارس هذا العلم الثاني من أجل مصلحة تعود عليك وعلى أمتك بالخير، مثل: أن تستدل بدراسة هذا العلم على كمال حكمة الله عز وجل وربط الأسباب بمسبباتها وما إلى ذلك مما عرفه غيرنا، ولا نعرفه في هذه العلوم، فأنا أقول استمر في طلب العلم الشرعي، واطلب الآخر، لكن اجعل الأهم والمركز عليه هو العلم الشرعي.

*****

(١٣٧) سورة إبراهيم :آية رقم: ٤



٣٥ - سئل الشيخ: أي كتب تفسير القرآن تنصح بقراءتها، وحفظ القرآن، إذا حفظ الإنسان ونسي فهل هناك وعيد فيه؟ وكيف يحفظ الإنسان ويحافظ على ما حفظ؟

فأجاب بقوله: القرآن وعلومه متنوعة، وكل مفسر يفسر القرآن يتناول طرفاً من هذه العلوم، ولا يمكن أن يكون تفسيراً واحداً يتناول القرآن من جميع الجوانب، فمن العلماء من ركز في تفسيره على التفسير الأثري، أي: على ما يُؤْثَر عن الصحابة والتابعين كابن جرير، وابن كثير، ومنهم من ركز على التفسير النظري كالزمخشري وغيره، ولكن أنا أرى أن يفسر الآية هو بنفسه أولاً أي يكرر في نفسه أن هذا هو معنى الآية ثم بعد ذلك يراجع ما كتبه الناس فيها لأن هذا يفيده أن يكون قوياً في التفسير غير عالة على غيره، وكلام الله عز وجل منذ بُعِثَ الرسولُ ﷺ إلى اليوم بلسان عربي مبين.

وإن كان يجب الرجوع إلى تفسير الصحابة، لأنهم أدرى الناس بمعانيه ثم إلى كتب المفسرين التابعين، لكن مع ذلك لا أحد يستوعب كلام الله عز وجل فالذي أرى أن الطريقة المثلى أن يكرر الإنسان تفسير الآية في نفسه ثم بعد ذلك يراجع كلام المفسرين فإذا وجده مطابقاً فهذا مما يمكنه من تفسير القرآن وييسره له، وإن وجده مخالفاً رجع إلى الصواب.

وأما حفظ القرآن فطريقة حفظه تختلف من شخص لآخر، بعض الناس يحفظ القرآن آية آية، بمعنى أنه يحفظ آية يقرأها أولاً، ثم يرددها ثانياً وثالثاً حتى يحفظها، ثم يحفظ التي بعدها، ثم يكمل ثمن أو ربع الجزء أو ما أشبه ذلك، وبعض الناس يقرأ الثمن جميعاً

ويردده حتى يحفظه، ومثل هذا لايمكن أن نحكم عليه بقاعدة عامة، فنقول للإنسان استعمل ما تراه مناسباً لك في حفظ القرآن.

لكن المهم أن يكون عندك علم لما حفظت متى أردت الرجوع إليه، وأحسن ما رأيت في العلم، أن الإنسان إذا حفظ شيئاً اليوم يقرأه مبكراً الصباح التالي، فإن هذا يعين كثيراً على حفظ ما حفظه في اليوم الأول، هذا شيء فعلته أنا فإن هذا يعين على الحفظ الجيد.

أما الوعيد على من ينسى، قال الإمام أحمد: ما أشد ما ورد فيه، أي حفظ آية ونسيها، والمراد بذلك من أعرض عنها حتى تركها، وأما من نسيها لسبب طبيعي، أو لأسباب كانت واجبة أشغلته، فإن هذا لا يلحق به إثم ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[١٣٨].

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه صلى بأصحابه فنسي آية، فذكَّره أحد الصحابة به بعد الصلاة، فقال: [هَلاَّ كُنْتَ ذَكَّرْتَنِي بِهَا][١٣٩]، فالإنسان الذي ينساه تهاوناً به وإعراضاً عنه، لا شك أنه خاسر، وأنه مستحق الإثم، وأما الذي ينساه لشيء واجب عليه أوجبه الله سبحانه وتعالى عليه، أو نسياناً طبيعياً فهذا لا يلحقه شيء.

*****

٣٦ - سئل فضيلة الشيخ رحمه الله تعالى: عن كتاب فقه السنة؟

فأجاب بقوله: لا شك أنه من خير الكتب، لأن فيه مسائل كثيرة مقرونة بالأدلة، لكنه لا يسلم من الأخطاء، وكما قال ابن رجب رحمه

---

(١٣٨) سورة البقرة: آية رقم: ٢٨٦

(١٣٩) صحيح. وقد سبق تخريجه برقم (١٢٨).



الله في مقدمة القواعد الفقهية قال: يأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه، ولكن المنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه، الكتاب لا شك أنه نافع، لكن لا أرى أن يقتنيه إلا طالب علم يميز بين الصحيح والضعيف لأن به مسائل ضعيفة كثيرة.

ومن ذلك القول باستحباب صلاة التسبيح [١٤٠]، فإن صلاة التسبيح هذه قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن حديثها باطل، وقال: إنَّهَا لا يستحبها أحد من الأئمة، ولما سئل عنها الإمام أحمد: نفض يده كالمنكر منها، وبالتالي فغير طالب العلم يجب أن يراجع شيخ بلده فيما يراه مخالفاً عما كان فيه، ولا يعتمد عليه.

*****

٣٧ - وسئل رحمه الله: في هذا الزمن يجري تسمية بعض العلوم التجريبية بالعلم، حتى إن المدارس الثانوية سميت بعلمي وأدبي، فهل هذا صحيح؟ إضافة لذلك أن هذا التقسيم في المدارس يعلق بآذان الطلاب مما يؤثر عليهم مستقبلاً؟

فأجاب بقوله: هذا التقسيم إلى علمي وأدبي، هو اصطلاح ولا مشاحة في الاصطلاح، لأنهم يرون أن المواد العلمية هو ما يتعلق بعلم الكون والأحياء والنباتات، وما أشبه ذلك، ولكن الذي يجب أن نفهمه أن هذا ليس هو العلم الذي حُثَّ عليه، وأُثْنِيَ على طالبيه، فإن العلم الذي أثنى الله على أصحابه، والذي أصحابه هم أهل خشية، إنما هو علم الشريعة فقط، وأما العلوم الأخرى، فإنها إن كانت نافعة فإنها

(١٤٠) مستحبة على الراجح. وقد ورد في فضلها وصفتها أحاديث كثيرة فيها مقال، ولكن يشد بعضها بعضاً، والكلام عليها يطول، والراجح ثبوتها واستحبابها.



تكون مطلوبة لا لذاتها، ولكن لما يرجى فيها من نفع، وأما إذا كانت ضارة وجب اجتنابها، وأما إذا كانت غير نافعة، ولا ضارة، فإن الإنسان يجب ألا يضيع وقته فيها.

*****

٣٨ - وسئل أعلى الله درجته في المهديين: هل يعذر الشخص بعدم طلبه للعلم بسبب انشغاله بدراسته التي ليس بها طلب للعلم الشرعي، أو بسبب عمله. أو غير ذلك؟

فأجاب بقوله: طلب العلم الشرعي فرض كفاية إذا قام به من يكفي صار في حق الآخرين سنة، وقد يكون واجباً على الإنسان عيناً، أي: فرض عين كما لو أراد الإنسان أن يتعبد لله بعبادة فإنه يجب عليه أن يعرف كيف يتعبد لله بهَذه العبادة.

وعلى هذا، فهذا الذي يشغله عن طلب العلم الشرعي حاجة أهله أو غير ذلك من الصوارف، مع محافظته على ما يجب الحفاظ عليه من العبادة نقول: إن هذا معذور ولا حرج عليه، ولكن ينبغي أن يتعلم من العلم الشرعي بقدر ما يستطيع.

*****

٣٩ - سئل فضيلة الشيخ: ما المقصود بالعلماء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(١٤١)؟

فأجاب بقوله: المقصود بهم العلماء الذين يوصلهم علمهم إلى خشية الله، وليس المراد بالعلماء من علموا شيئاً من أسرار الكون، كأن

(١٤١) سورة فاطر: آية رقم: ٢٨

يعلموا شيئاً من أسرار الفلك وما أشبه ذلك أو ما يسمى بالإعجاز العلمي، فالإعجاز العلمي في الحقيقة لا ننكره، لا ننكر أن في القرآن أشياء ظهر بيانها في الأزمنة المتأخرة، لكن غالى بعض الناس في الإعجاز العلمي حتى رأينا من جعل القرآن كأنه كتاب رياضة وهذا خطأ، فنقول: إن المغالاة في إثبات الإعجاز العلمي لا تنبغي، لأن هذه قد تكون مبنية على نظريات والنظريات تختلف، فإذا جعلنا القرآن دالاً على هذه النظرية ثم تبين بعد أن هذه النظرية خطأ، معنى ذلك أن دلالة القرآن صارت خاطئة وهذه مسألة خطيرة جداً.

والآن يا إخواني: الله عز وجل اعتنى في الكتاب والسنة ببيان ما ينفع الناس من العبادات والمعاملات، ولهذا بين دقيقها وجليلها حتى آداب الأكل والجلوس والدخول وغيرها.

لكن علم الكون هل ذكره على سبيل التفصيل؟ ولذلك فأنا أخشى من انهماك الناس في الإعجاز العلمي، إن الشيء الأهم هو تحقيق العبادة، لأن القرآن نزل بهذا ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[١٤٢].

أما علماء الكون الذين وصلوا إلى ما وصلوا إليه فننظر إن اهتدوا إلى ما وصلوا إليه من العلم واتقوا الله عز وجل وأخذو بالإسلام صاروا من علماء المسلمين الذين يخشون الله، وإن بقوا على كفرهم وقالوا إن هذا الكون له محدث فإن هذا لا يعدوا أن يكونوا خرجوا من كلامهم الأول إلى كلام لا يستفيدون منه، كل يعلم أن لهذا الكون محدثاً لأن هذا الكون إما أن يحدث بنفسه، وإما أن يحدث صدفة، وإما أن

(١٤٢) سورة الذاريات: آية رقم: ٥٦

يحدثه خالق وهو الله عز وجل، وكونه يحدث نفسه مستحيل، لأن الشيء لا يخلق نفسه، لأنه قبل وجوده معدوم، فكيف يكون خالقاً؟!

ولا يمكن أن توجد صدفة، لأن كل حادث لابد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟!

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة، تعين أن يكون لها موجد، وهو الله رب العالمين.

*****

٤٠ - سئل الشيخ غفر الله له: هل تعليم الطالب الرياضيات إذا كان الشخص ينوي بها وجه الله له أجر، أم لا؟

فأجاب بقوله: إذا كانت هذه الرياضيات مما تنفع المسلمين في معاشهم ونوى بذلك الشخص نفع الناس بها، فإنه يؤجر على نيته، ولكنها ليست كالعلوم الشرعية، فإنها إذا كانت من المباحات تكون وسيلة، فإذا كانت وسيلة إلى ما ينفع الناس في معاشهم أثيب الشخص عليها، لأن القاعدة الشرعية «أن المباح قسم واسع، فقد يكون حراماً، وقد يكون مكروهاً، وقد يكون مستحباً، وقد يكون واجباً».

ونقول مثلاً: إن الأصل في البيع الحلال، ولكن قد يكون واجباً أحياناً، وقد يكون حراماً، وقد يكون مستحباً، وقد يكون مكروهاً،



فإذا أراد الشخص أن يشتري منك شيئاً ينقذ به حياته، مثل الطعام، والشراب، فما حكم البيع؟ الحكم واجب ، وشخص آخر أراد أن يشتري منك عنباً ليجعله خمراً، فهذا البيع حرام، وشخص آخر أراد أن يشتري ماءً ليتوضأ به وليس عنده ماء فالشراء واجب، فعلى هذا نقول: إن المباح، إذا كان وسيلة لأمر مشروع، كان مشروعاً، وإذا كان ذريعة لأمر محرم، كان حراماً.

*****

٤١ – وسئل فضيلة الشيخ: بعض الشباب يريدون أن يتعلموا الطب، وبعض العلوم الأخرى، ولكن هناك عوائق، مثل الاختلاط، والسفر إلى بلاد الخارج، فما الحل، وما نصيحتكم لهؤلاء الشباب؟

الجواب: نصيحتي لهؤلاء الشباب أن يتعلموا الطب، لأننا في بلادنا في حاجة شديدة إليه، وأما مسألة الاختلاط فإنه هنا في بلادنا والحمد لله يمكن أن يتقي الإنسان ذلك بقدر الاستطاعة.

وأما السفر إلى بلاد الكفار فلا أرى جواز السفر إلا بشروط:

الأول: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات، لأن هناك في بلاد الكفار يوردون على أبناء المسلمين الشبهات حتى يردوهم عن دينهم.

الثاني: أن يكون عند الإنسان دين يدفع به الشهوات، فلا يذهب إلى هناك وهو ضعيف الدين، فتغلبه الشهوات، فتدفع به إلى الهلاك.

الثالث: أن يكون محتاجاً إلى السفر بحيث لا يوجد هذا التخصص في بلاد الإسلام.



فهذه الشروط الثلاثة إذا تحققت فليذهب، فإن تخلف واحد منها فلا يسافر، لأن المحافظة على الدين أهم من المحافظة على غيره.

*****

٤٢ سئل الشيخ رحمه الله تعالى: من الملاحظ انصراف كثير من طلاب العلم عن إتقان قواعد اللغة العربية، مع أهميتها، فما تعليقكم؟

فأجاب بقوله: نعم فَهْم اللغة العربية مهم سواء في قواعد الإعراب، أو قواعد البلاغة، كلها مهمة، ولكن بناءً على أننا والحمد لله عرب فإنه يمكننا أن نتعلم دون أن نعرف قواعد اللغة العربية، لكن من الكمال أن يتعلم الإنسان قواعد اللغة العربية، وفي الحقيقة أن بعض الناس مغرم بقواعد اللغة العربية، وأنا أحث على تعلم اللغة العربية في جميع قواعدها.

*****

٤٣ – سئل الشيخ أيهما أفضل: التفرغ للدعوة إلى الله عز وجل أم التفرغ لطلب العلم؟

فأجاب قائلاً: طلب العلم أفضل وأولى، وبإمكان طالب العلم أن يدعو وهو يطلب العلم، ولا يمكن أن يقوم بالدعوة إلى الله وهو على غير علم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾(١٤٣)، فكيف يكون هناك دعوة بلا علم؟ ولا أحد دعا بدون علم أبداً، ومن يدعو بدون علم لا يوفق.

*****

(١٤٣) سورة يوسف: آية رقم: ١٠٨

٤٤ – سئل الشيخ: إذا كان آفة العلم النسيان، فما الأمور، أو الطرق التي تعين على ضبط وحفظ العلم؟

الجواب: من الطرق التي تعين على ضبط العلم أن يهتدي الإنسان بعلمه قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾(١٤٤).

ومنها أن يكب على طلب العلم، فلا يجعل طلب العلم عند التفرغ فقط، ولهذا يقولون: أعط العلم كلك، يعطيك بعضه، وأعط العلم بعضك، لا يعطيك شيئاً، فلابد من الإكباب على طلب العلم ليلاً ونهاراً، والمناقشة، وتطبيق ما علمت على ما عملت، حتى يبقى العلم.

******

٤٥ – سئل فضيلة الشيخ: ما توجيهكم لطلاب العلم، حيث يلاحظ الإهمال وعدم الجد مما له آثار سيئة في التحصيل العلمي؟

الجواب: يجب على طلاب العلم أن يبذلوا غاية الجهد في تحصيل العلم، حتى يدركوا المعلومات إدراكاً قوياً، راسخاً في نفوسهم لأنهم إذا اجتهدوا، وأخذوا العلوم شيئاً فشيئاً سهلت عليهم، ورسخت في نفوسهم، وسيطروا عليها سيطرة تامة، وإن أنتم يا طلاب العلم أهملتم، وتهاونتم انطوى عنكم الزمن، وتراكمت عليكم الدروس، فأصبحتم عاجزين عن تصورها فضلاً عن تحقيقها، فندمتم حين لا تنفع الندامة.

*****

(١٤٤) سورة محمد: آية رقم: ١٧



٤٦ - وسئل فضيلته، نرجوا من سماحتكم: توجيه نصيحة لمن عمل في مجال التدريس، عسى الله أن ينفع بها، وجزاكم الله خيراً؟

الجـــواب: نقول: أهم ما يتعلق بالمعلمين أن يدركوا العلوم التي يعطونها للطلبة إدراكاً جيداً، مستقراً في نفوسهم، قبل أن يقفوا أمام الطلبة حتى لا يقع الواحد منهم في حيرة عند سؤال التلاميذ له، ومناقشتهم إياه، فإن من أعظم المقومات الشخصية لدى الطلبة أن يكون المعلم قوياً في علمه وملاحظته، إن قوة المعلم العلمية في تقويم شخصيته، لا تقل عن قوة ملاحظته، إن المعلم إذا لم يكن عنده علم ارتبك عند السؤال، فينحط قدره أمام تلاميذه، وإن أجاب بالخطأ، فلن يثقوا فيه بعد بذلك، وإن انتهرهم عند السؤال والمناقشة، فلن ينسجموا معه.

إذن فلابد للمعلم من إعداد واستعداد وتحمل وصبر، المعلم عند توجيه السؤال له إن كان عنده علم راسخ في ذهنه، مستقر في نفسه، أجاب بكل سهولة وانطلاق، وإلا فإنه لا يخلو بعد ذلك من هذه الأمور الثلاثة السابقة وكل ذلك ينافي الآداب التي ينبغي أن يكون المعلم عليها، وإذا كان على المعلم أن يدرك العلم الذي سيلقيه أمام الطلبة، فإن عليه أن يحرص على حسن إلقائه إليهم، بأن يسلك أسهل الطرق في إيضاح المعاني، وضرب الأمثال، ومناقشة الطلبة فيما ألقاه عليهم سابقاً، أما أن يأتي يقرأ الشيء عليهم قراءة، لايدري من فهم ممن لم يفهم، ولا يناقشهم فيما مضى، فإن هذه الطريقة عقيمة جداً، لا تثمر ثمراً، ولا تَكُون نتيجتها طيبة.



وإذا كان المعلم يجتهد في الأمور العلمية تحصيلاً وعرضاً، فعليه أن يجتهد في الأمور التعبدية، عليه أن يكون حسن النية والتوجيه. فبنوي بتعليمه الإحسان إلى طلبته، وإرشادهم إلى ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، وليجعل نفسه لهم بمنزلة الأب الرفيق الشقيق، ليكون لتعليمه أثر بالغ في نفوسهم، وعلى المعلم أن يظهر أمام طلبته بالمظهر اللائق من الأخلاق الفاضلة، والآداب العالية التي أساسها تمسك بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، ليكون قدوة لتلاميذه في العلم والعمل، فإن التلميذ ربما يتلقى من معلمه من الأخلاق والآداب أكثر مما يتلقى منه من العلم من حيث التأثر، لأن أخلاق المعلم وآدابه صورة مشهودة معبرة عما في نفسه، ظاهرة في سلوكه، فتنعكس هذه الصورة تماماً على إدارة التلاميذ.

إن على المعلم أن يتقي الله تعالى في نفسه، وفيمن ولاه الله عليهم من التلاميذ، وأن يحرص غاية الحرص أن يمتثل أمامهم بالأخلاق، حتى يكون قدوة صالحة: [وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَه أَجْرَهَا وَأَجْرَ مَنْ عَمَلَ بِهَا إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ][(١٤٥)]، وإنني أقول للمعلمين: إن عند التلاميذ ملاحظة دقيقة عجيبة على صغر سنهم، إن المعلم إذا أمرهم بشيء، ثم رأوه يخالفهم فيما أمرهم به، فإنهم سوف يضعون علامات الاستفهام أمام وجه هذا المعلم، كيف يعلمنا بشيء، ويأمرنا به، وهو

---

(١٤٥) صحيح. رواه مسلم [١٠١٧]، والنسائي [٢٥٥٤]، والترمذي [٢٦٧٥]، وابن ماجة [٢٠٣]، وأحمد (٤/٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢)، والحميدي [٨٢٥]، وابن خزيمة [٢٤٧٧]، والدارمي [٥١٢]، وغيرهم من حديث جرير رضي الله عنه.

يخالف ما كان يعلمنا ويأمرنا به؟! لا تستهن يا معلماً بالتلاميذ، حتى ولوكانوا صغاراً، فعندهم أمر الملاحظة من الأمور العجيبة.

*****

٤٧ – وسئل فضيلته: عن طالب علم يريد أن يذهب مع إخوانه في الله لطلب العلم، وكان الحائل بينه وبين الذهاب معهم هو أهله، والده وأمه، فما الحكم في خروج هذا الطالب؟

فأجاب بقوله: هذا الطالب إن كان هناك ضرورة لبقائه عندهم، فهذا أفضل، مع أنه يمكنه أن يبقى عندهم مع طلب العلم، لأن بر الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله، والعلم من الجهاد، وبالتالي فيكون بر الوالدين مقدماً عليه إذا كانا في حاجة إليه، أما إذا لم يكونا في حاجة إليه، ويتمكن من طلب العلم أكثر إذا خرج، فلا حرج عليه أن يخرج في طلب العلم في هذه الحالة، ولكنه مع هذا لاينسى حق الوالدين في الرجوع إليهما، وإقناعهما إذا رجع، وأما إذا علم كراهة الوالدين للعلم الشرعي، فهؤلاء لا طاعة لهما، ولا ينبغي أن يستأذن منهما إذا خرج، لأن الحامل لهما كراهة العلم الشرعي.

*****

٤٨ – سئل الشيخ غفر الله له: هل يجوز تعلم العلم من الكتب فقط دون العلماء، وخاصة إذا كان يصعب تعلم العلم من العلماء لندرتهم، وما رأيك في القول القائل: من كان شيخه كتابه، كان خطؤه أكثر من صوابه؟

فأجاب قائلاً: لا شك أن العلم يُحَصَّل بطلبه عند العلماء، وبطلبه في الكتب، لأن كتاب العالم هوالعالم نفسه، فهو يُحَدِّثُك من خلال

كتابه، فإذا تعذر الطلب على أهل العلم، فإنه يطلب العلم من الكتب، ولكن تحصيل العلم عن طريق العلماء أقرب من تحصيله من طريق الكتب، لأن الذي يحصله عن طريق الكتب يتعب أكثر، ويحتاج إلى جهد كبير جداً، ومع ذلك فإنه قد تخفى عليه بعض الأمور، كما في القواعد الشرعية التي قَعَّدَهَا أهل العلم والضوابط، فلابد أن يكون له مرجع من أهل العلم بقدر الإمكان.

وأما قولهم: مَنْ كَانَ دَلِيلُهُ كِتَابه، فَخَطَؤهُ أكثر مِنْ صَوَابِه، فهذا ليس صحيحاً على إطلاقه، ولا فاسداً على إطلاقه، أما الإنسان الذي يأخذ العلم من أي كتاب يراه، فلاشك أنه يخطئ كثيراً، وأما الذي يعتمد في تعلمه على كتب من رجال معروفين بالثقة والأمانة والعلم فإن هذا لا يكثر خطؤه، بل قد يكون مصيباً في أكثر ما يقول.

*****

٤٩ - سئل فضيلة الشيخ: هل يجوز تفسير القرآن الكريم بالنظريات الحديثة؟

فأجاب بقوله: تفسير القرآن بالنظريات العلمية له خطورته، وذلك أننا إذا فسرنا القرآن بتلك النظريات، ثم جاءت نظريات أخرى بخلافها، معنى ذلك أن القرآن صار غير صحيح في نظر أعداء الإسلام، أما في نظر المسلمين، فإنهم يقولون: إن الخطأ من تصور هذا الذي فسر القرآن بذلك، لكن أعداء المسلمين يتربصون به الدوائر، ولهذا أنا أحذر غاية التحذير من التسرع في تفسير القرآن بهذه الأمور العلمية، ولندع هذا الأمر للواقع، إذا ثبت في الواقع، فلا حاجة إلى أن نقول:



القرآن قد أثبته، فالقرآن نزل للعبادة والأخلاق والتدبر، يقول الله عز وجل: ﴿كتابٌ أنزلناهُ إليكَ مُباركٌ ليدَّبَّروا آياته وليتذكَّرَ أُولُوا الألباب﴾[(١٤٦)]، وليس لمثل هذه الأمور التي تدرك بالتجارب ويدركها الناس بعلومهم، ثم إنه قد يكون خطراً عظيماً فادحاً في تنْزيل القرآن عليها، وأضرب لهذا مثلاً: قوله تعالى: ﴿يا معشرَ الجنّ والإنس إنِ استطعتُمْ أن تنفُذُوا من أقطارِ السَّموات والأرضِ فانفُذُوا لا تنفُذُونَ إلاَّ بسُلْطان﴾[(١٤٧)]، لما حصل صعود الناس إلى القمر، ذهب بعض الناس ليفسر هذه الآية، ونزلها على ما حدث، وقال: إن المراد بالسلطان العلم، وأنهم بعلمهم نفذوا من أقطار الأرض، وتعدوا الجاذبية، وهذا خطأ، ولا يجوز أن يفسر القرآن به، وذلك لأنك إذا فسرت القرآن بمعنى، فمقتضى ذلك أنك شهدت بأن الله أراده، وهذه شهادة عظيمة، ستسأل عنها، ومن تدبر وجد أن هذا التفسير باطل، لأن الآية سيقت في بيان أحوال الناس، وما يَئُول إليه أمرهم، اقرأ سورة الرحمن تجد أن هذه الآية ذكرت بعد قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عليها فانٍ (٢٦) ويبقى وجهُ ربِّكَ ذُو الجلالِ والإكرامِ (٢٧) فبأيِّ آلاءِ ربِّكُما تُكذِّبان﴾[(١٤٨)]، فلنسأل هل هؤلاء القوم نفذوا من أقطار السموات؟ الجواب: لا، والله يقول: ﴿إنِ استطعْتُمْ أن تنفُذُوا منْ أقطارِ السَّموات والأرضِ﴾ الآية.

ثانياً: هل أرسل عليهم شواظ من نار ونحاس؟ لا. إذن فالآية لا

(١٤٦) سورة ص: آية رقم:٢٩

(١٤٧) سورة الرحمن: آية رقم:٣٣

(١٤٨) سورة الرحمن: آية رقم:٢٦-٢٨





يصح أن تفسر بما فسر به هؤلاء، ونقول: إن وصول هؤلاء إلى ما وصلوا إليه، هو من العلوم التجريبية التي أدركوها بتجاربهم، أما أن نحرف القرآن لنخضعه للدلالة على هذا، فهذا ليس بصحيح ولا يجوز.

*****

٥٠ - سئل الشيخ: ذكرتم جزاكم الله خيراً أن الاعتماد على أقوال الرجال خطأ، يضر طالب العلم، فهل يُفهم من هذا عدم التمذهب أو الرجوع إلى مذهب معين فيما يشكل من الأحكام؟

فأجاب بقوله: التمذهب بمذهب معين إذا كان المقصود منه أن الإنسان يلتزم بهذا المذهب معرضاً عما سواه، سواء كان الصواب في مذهبه أو مذهب غيره، فهذا لا يجوز، ولا أقول به، أما إذا كان الإنسان يريد أن ينتسب إلى مذهب معين، لينتفع بما فيه من القواعد والضوابط، ولكنه يرد ذلك إلى الكتاب والسنة، وإذا تبين له الرجحان في مذهب آخر ذهب إليه، فهذا لا بأس به، والعلماء المحققون كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، هم من هذا النوع، هم محققون، ولهم مذهب معين، ولكنهم لا يخالفون الدليل إذا تبين لهم.

*****





٥١ - سئل الشيخ: هل حديث [كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَمْ يَبْدَأْ بِبِسْمِ اللهِ[١٤٩] .. إلى آخر الحديث][١٥٠] حديث صحيح، لأنه يكثر في مؤلفات العلماء؟

فأجاب بقوله: هذا الحديث اختلف العلماء في صحته، فمن أهل العلم من صححه واعتمده كالنووي، ومنهم من ضعفه، ولكن تَلَقِّي العلماء له بالقبول، وَوَضْعِهِم ذلك الحديث في كتبهم يدل على أن له أصلاً، فالذي ينبغي للإنسان التسمية على كل الأمور المهمة، أو البداية بحمد الله عز وجل.

*****

٥٢ - سئل الشيخ غفر الله له: أيهما أفضل مخالطة الناس بعد العشاء لتعليمهم وإرشادهم ونصحهم بحيث لا يمكن قيام الليل، أو اعتزالهم حتى يتم قيام الليل؟

فأجاب قائلاً: طلب العلم أفضل من قيام الليل، لأن طلب العلم كما قال الإمام أحمد: لا يعدله شيء لمن صحت نيته، قالوا: كيف ذلك؟ قال:

---

(١٤٩) ضعيف. رواه أبو داود [٤٨٤٠]، وابن ماجة [١٨٩٤]، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» [٤٩٤]، وأحمد (٢/ ٣٥٩)، وابن أبي شيبة (٩/ ١١٦)، وابن حبان (١، ٢ احسان)، والدارقطني (١/ ٢٢٩)، والبيهقي (٣/ ٢٠٨-٢٠٩)، والخطيب في «جامع أخلاق الراوي» [١٢١٠]، وفي «الفقيه» [٩٣٢]، وغيرهم من طريق قرة بن عبد الرحمن عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً.

قلت: وسنده ضعيف، وللحديث طريق آخر أشد ضعفاً، وقد بين هذه العلل الألباني في «الإرواء» [١، ٢]، فراجعه غير مأمور.

(١٥٠) في بعض الروايات [.. بحمد الله فهو أجزم]، وفي بعضها [... فهو أمحق]، وفي بعضها [... فهو أبتر].



ينوي به رفع الجهل عن نفسه وعن غيره، فإذا كان الإنسان يسهر في أول الليل في طلب العلم ابتغاءً لوجه الله، سواء كان يَدْرسُه أو يُدَرِّسُهُ أو يُعَلِّمُه، ثم يقوم الليل، فهو أفضل، لكن إذا تزامن الأمران، فطلب العلم الشرعي أفضل وأولى، ولهذا أمر النبي ﷺ أبا هريرة إن يوتر قبل أن ينام، قال العلماء: وسبب ذلك أن أبا هريرة كان يحفظ أحاديث الرسول أول الليل، وينام آخر الليل، فأرشده النبي ﷺ إلى أن يوتر قبل أن ينام[١٥١].

*****

٥٣ – سئل الشيخ غفر الله له: ماذا يجب عليَّ تجاه أحد الأساتذة عندما يخطئ، وخصوصاً في المواد الدينية، وأنا متأكد من الجواب الصحيح؟

فأجاب بقوله: هذا سؤال مهم حيث نجد أن بعض الأساتذة لا يريد لأحد أن يُخَطِّئَه مهما ارتكب من الخطأ، وهذا ليس بصحيح، فكل إنسان مُعَرَّضٌ للخطأ، والإنسان إذا أخطأ ونُبه، فهذا من نعمة الله عليه حتى لا يغتر الناس بخطئه، ولكن ينبغي للطالب أن يكون عنده شيء من اللباقة، لا يقوم أمام الطلبة يرد على هذا المدرس، فهذا يخالف الأدب، ولكن يكون ذلك بعد انتهاء الدرس، فإن اقتنع المدرس، فعليه أن يعيد ذلك أمام الطلبة في الدرس المقبل، وإن لم يقتنع فعلى الطالب

---

(١٥١) متفق عليه. رواه البخاري [١١٧٨]، [١٩٨١]، ومسلم [٧٢١]، وأبو داود [١٤٣٢]، والترمذي [٤٥٥]، والنسائي (٣/٢٢٩)، والدارمي [١٤٥٤]، وأحمد (٢/٢٢٩، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٦٥، ٢٧١)، وفي أكثر من موضع آخر)، وابن خزيمة [٢١٢٣]، وعبد الرزاق [٤٨٥٠، ٤٨٥١]، وغيرهم كثير من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه [أوصاني خليلي بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام].



أن يقوم أمام الطلبة في الدرس المقبل ليقول: يا أستاذ إنك قلت: كذا وكذا، وهذا ليس بصحيح.

*****

٥٤ - وسئل الشيخ جزاه الله خيراً: هل يجوز إلقاء التحية على مدرس غير مسلم في الفصل أو خارجه؟

فأجاب قائلاً: ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: [لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام](١٥٢)، وكان اليهود يَمُرُّون على النبي ﷺ، ويقولون: السام عليكم، والسام معناه: الموت، فأمر النبي ﷺ أن نقول: [وعليكم](١٥٣)، فأنت لا تبدأه بالسلام، فإذا سلم وبدأ، فَرُدَّ عليه: وعليكم، إلا أن ابن القيم رحمه الله ذكر في أحكام أهل الذمة: أن الكافر إذا علمنا أنه قال: السلام عليكم، فلنا أن نقول: عليكم السلام(١٥٤).

*****

(١٥٢) صحيح. رواه مسلم [٢١٦٧]، والبخاري في «الأدب المفرد» [١١٠٣، ١١١١]، وأبو داود [٥٢٠٥]، والترمذي [١٦٠٢، ٢٧٠٠]، وأحمد (٢/٢٦٣، ٢٦٦، ٣٤٦، ٤٤٤، ٤٥٩، ٥٢٥)، والطحاوي في «المشكل» (٢/٣٩٧)، والطيالسي [٢٤٢٤]، وغيرهم عن أبي هريرة ﷺ، وتمامه [وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه].

(١٥٣) متفق عليه. رواه البخاري [٦٠٢٤]، ومسلم [٢١٦٣]، وأبو داود [٥٢٠٦]، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» [٣٧٩، ٣٨٠]، والبيهقي (٩/٢٠٣)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢/٢٧٠)، وغيرهم من حديث ابن عمر ﷺ، وللحديث شاهد من حديث عائشة ﷺ.

(١٥٤) قلت: وهذا خلاف الأولى، والأصل الرد بما جاء في السنة، والله أعلم.



٥٥ - وسئل فضيلة الشيخ: أمامي مجال لدخول كلية علمية، فهل أدخلها لنفع المسلمين، أم أسلك المجال في كلية الشريعة، أفيدوني جزاكم الله خيراً؟

فأجاب بقوله: الذي أرى أن أفضل الكليات في الجامعات هي الكليات الدينية، وأما المواد الأخرى فربما يقوم بها رجل آخر، لاسيما من كانت له رغبة في دراسة العلوم الدينية، وما دام عندك رغبة في دخول كلية الشريعة فإن ذلك أفضل.

*****

٥٦ - سئل فضيلة الشيخ رحمه الله: ما سبب توقف العالِمُ عن الفتوى؟

فأجاب بقوله: توقف العالم عن الفتوى إذا كان أهلاً للفتوى وعنده علم، قد يكون لتعارض الأدلة عنده، وقد يكون لظنه أن هذا المستفتي متلاعب، لأن بعض المستفتين لا يستفتي للحق، إنما يريد التلاعب، والنظر فيما عند هذا العالم، والعالم الثاني، والعالم الثالث وهكذا، فيتوقف العالم أو يعرض عن أجابة هذا السائل الذي يعلم أو يغلب على ظنه أنه متلاعب، لينظر ماذا عند الناس، أويريد أن يضرب أقوال الناس بعضها ببعض، وهذا أشد، فيذهب ويقول: قال العالم الفلاني: كذا، وقال العالم الفلاني: كذا، فهذا من أسباب توقف المفتي.

*****

٥٧ - سئل فضيلة الشيخ رحمه الله تعالى: هناك من الناس من يفتي بغير علم، ما حكم ذلك؟

فأجاب بقوله: هذا العمل من أخطر الأمور وأعظمها إثماً، وقد قرن الله سبحانه وتعالى القول عليه بلا علم بالشرك به، فقال تعالى: ﴿قُلْ



﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[155]، وهذا يشمل القول على الله في ذاته أو صفاته أو أفعاله أو شرائعه،، فلا يحل لأحد أن يفتي بشيء حتى يعلم أن هذا هو شرع الله عز وجل، وحتى تكون عنده أدلة وملكة يعرف بها ما دلت عليه النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وحينئذ يفتي.

والمفتي معبر عن الله عز وجل، ومبلغ عن رسول الله ﷺ، فإذا قال قولاً وهو لا يعلم أو لا يغلب على ظنه – بعد النظر والاجتهاد والتأمل في الأدلة – فإنه يكون قد قال على الله ورسوله ﷺ قولاً بلا علم، فيتأهب للعقوبة، فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾[156].

*****

٥٨ – سئل الشيخ رحمه الله: هل هناك دعاء لحفظ القرآن وما طريقة حفظه؟

فأجاب قائلاً: لا أعرف في ذلك دعاءً يُحْفَظ به القرآن الكريم إلا حديثاً، رُوِيَّ أن النبي ﷺ علَّمَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي صحته نظر[157]، قال عنه ابن كثير رحمه الله تعالى: إنه من البَيِّنِ غَرَابَتَهُ، بل نكارته.

---

(١٥٥) سورة الأعراف: آية رقم:٣٣

(١٥٦) سورة العنكبوت: آية رقم:٦٨

(١٥٧) ضعيف جداً منكر، لا يصح بحال. أخرجه الترمذي [٣٥٧٠]، والحاكم (١/٣١٦، ٣١٧)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» [٥٧٩]، والشجري في «الأمالي» (١/١١٣-١١٤)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/١٣٨-١٣٩)، وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح. أهـ.



وقال السيد محمد رشيد رضا - في التعليق عليه -: بل أسلوبه أسلوب الموضوعات، لا أسلوب أفصح البشر - محمد ﷺ، وعلي -، ولا أسلوب عصرهما. أهـ.

وقال الذهبي: هذا حديث منكر شاذ، ولكن الطريق إلى حفظه هو أن يواظب الإنسان على حفظه، وللناس في حفظه طريقان:

أحدهما: أن يحفظه آية آية، أو آيتين آيتين، أو ثلاثاً ثلاثاً، حسب طول الآيات وقصرها.

الثاني: أن يحفظه صفحة صفحة.

والناس يختلفون، منهم من يفضل أن يحفظه صفحة صفحة، يرددها حتى يحفظها، ومنهم من يفضل أن يحفظ الآية، ثم يرددها حتى يحفظها، ثم يحفظ آية أخرى كذلك وهكذا حتى يتم.

ثم إنه أيضاً ينبغي سواء حفظ بالطريقة الأولى أوالثانية ألا يتجاوز شيئاً حتى يكون قد أتقنه، لئلا يبني على غير أساس، وينبغي أن يستعيد ما حفظه كل يوم خصوصاً في الصباح، فإذا عرف أنه قد أجاد ما حفظه أخذ درساً جديداً.

*****

٥٩ - سئل الشيخ: أريد أن أتعلم العلم الشرعي، وأبدأ في التعلم، ولا أعرف كيف أبدأ، فبماذا تنصحوني في ذلك؟

فأجاب: خير منهج لطالب العلم أن يبدأ الطالب بفهم كلام الله عز وجل من كتب التفسير الموثوق بهَا كتفسير ابن كثير والبغوي، ثم يفهم ما صَحَّ عن النبي ﷺ من السنة من الكتب الحديثية الموثوقة كبلوغ المرام، والمنتقى، وأصول كتب الحديث الملتزمة بالصحيح



كصحيحي البخاري ومسلم، ثم بكتب العقيدة السليمة مثل العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ثم بكتب الفقه المختصرة ليتفقه بِهَا على المذهب الذي يراه أقرب إلى الكتاب والسنة، وحين يترقى في العلم يقرأ الكتب المطولة، ليزداد بِهَا علماً.

*****

٦٠ - سئل الشيخ رحمه الله تعالى هل يجوز للمرء أن يترك عمله ويتفرغ لطلب العلم، فيكون عالة على أبيه وأخيه؟

فأجاب بقوله: لا شك أن طلب العلم من أفضل الأعمال، بل هو من الجهاد في سبيل الله، ولاسيما في وقتنا هذا حين بدأت البدع تظهر في المجتمع الإسلامي، وتنتشر، وتكثر، وبدأ الجهل الكثير ممن يتطلع إلى الإفتاء بغير علم، وبدأ الجدل من كثير من الناس، فهذه ثلاثة أمور كلها تحتم على الشباب أن يحرص على طلب العلم.

أولاً: بدع بدأت تبزغ نجومها.

ثانياً: أناس يتطلعون إلى الإفتاء بغير علم.

ثالثاً: جدل كثير في مسائل قد تكون واضحة لأهل العلم، لكن يأتي من يجادل فيها بغير علم.

فمن أجل ذلك فنحن في ضرورة إلى أهل علم عندهم رسوخ، وسعة اطلاع، وعندهم أيضاً فقه في دين الله، وعندهم حكمة في توجيه عباد الله، لأن كثيراً من الناس الآن يحصلون على علم نظري في مسألة من المسائل، ولا يهمهم النظر إلى إصلاح الخلق إلى تربيتهم، وأنهم إذا أفتوا بكذا وكذا صار وسيلة إلى شر أكبر، لا يعلم مداه إلا الله.

وهاهم الصحابة ﷺ أحياناً يلزمون بأشياء، قد تكون النصوص دالة





على عدم الإلزام بهَا من أجل تربية الخلق.

عمر بن الخطاب ﷺ ألزم الناس بإمضاء الطلاق الثلاث، كان الطلاق الثلاث في عهد الرسول ﷺ، وعهد أبي بكر، وسنتين من خلافة عمر، كان الطلاق الثلاث – أي في مجلس واحد – حرام، لأنه تَعَدَى حدود الله عز وجل، قال عمر ﷺ: «أَرَى النَّاسَ قَدْ تَتَابَعُوا فِي أَمْرٍ كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ أَنَاة، فَلَوْ أَمْضَيْنَاهُ عَلَيهِمْ، فَأَمْضَاهُ عَلَيهِمْ»(١٥٨)، وجعل الطلاق الثلاث ثلاثاً لا واحداً، بعد أن مضى عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر، وسنتان من خلافة عمر ﷺ، ألزم الناس بالطلاق الثلاث، مع أن الإنسان لو راجع زوجته بعد هذا الطلاق لكان رجوعه صحيحاً في العهدين السابقين لعهد عمر وسنتين من خلافته، لكن رأى أن المصلحة تقتضي إمضاء الطلاق الثلاث، ومنع الإنسان من الرجوع إلى زوجته.

أيضاً عقوبة الخمر في عهد النبي ﷺ يؤتى بالرجل الشارب، فيضرب بطرف الثوب أو بالجريد أو النعال نحواً من أربعين جلدة، وفي عهد أبي بكر يجلد أربعين، وفي عهد عمر يجلد أربعين، لكنه لما كثر الشرب جمع الصحابة واستشارهم، فقال عبد الرحمن بن عوف: أخف الحدود ثمانون، فجعل عمر عقوبة شارب الخمر ثمانين جلدة(١٥٩)، كل هذا من أجل إصلاح الخلق، فينبغي للمسلم أو المفتي والعالم في مثل هذه الأمور أن يراعي أحوال الناس وما يصلحهم.

---

(١٥٨) صحيح. رواه مسلم [١٤٧٢]، وأحمد (١/ ٣١٤)، وأبو عوانة [٤٥٣٤]، والدارقطني (٤/ ٤٦)، وعبد الرزاق في «مصنفه» [١١٣٣٦]، وغيرهم من قول عمر ﷺ.

(١٥٩) متفق عليه. رواه البخاري [٦٧٧٣]، ومسلم [١٧٠٦]، وأبو داود [٤٤٧٩]، والترمذي [١٤٤٣]، وأحمد (٣/ ٢٤٧)، والدارمي [٢٣١١]، والبيهقي (٨/ ٣١٩)، وغيرهم.





٦١ - وسئل الشيخ رحمه الله تعالى: طالب العلم المبتدئ هل يبدأ في طلب العلم بالبحث عن الأدلة، أم يقلد في ذلك أئمة أحد المذاهب، ما توجيه سماحتكم؟

فأجاب قائلاً: الطالب المبتدئ في العلم يجب عليه البحث عن الدليل بقدر إمكانه، لأنه المطلوب الوصول إلى الدليل، ولأجل أن يحصل له التمرن على طلب الأدلة وكيفية الاستدلال، فيكون سائراً إلى الله على بصيرة وبرهان، ولا يجوز له التقليد إلا لضرورة،، كما لو بحث فلم يستطع الوصول إلى نتيجة، أو حدثت له حادثة تتطلب الفورية، فلم يتمكن من معرفة الحكم بالدليل قبل فوات الحاجة إليها، فله حينئذ أن يقلد بنية أنه متى تبين له الدليل رجع إليه، وإذا اختلف عليه المفتون، فقيل: يُخير، وقيل: يأخذ بالأيسر، لأنه الموافق لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾[160]، وقيل: يأخذ بالأشد، لأنه أحوط، وغيره مشتبه، وقد قال النبي ﷺ: [مَنْ اتَّقَى الشُّبُهَات فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لدينه وَعِرْضِه][161]، والأرجح أن يأخذ بما يغلب على ظنه أنه أقرب إلى الصواب، لكونه قائله أعلم وأورع، والله أعلم.

*****

---

(١٦٠) سورة البقرة: آية رقم: ١٨٥

(١٦١) متفق عليه. رواه مسلم [١٥٩٩]، وأبو داود [٣٣٢٩]، والنسائي (٧/ ٢٤١ -٢٤٢)، والترمذي [١٢٠٥]، وابن ماجة [٣٩٨٤]، والدارمي (٢/ ١٦١)، وابن الجارود [٥٥٥]، وأحمد (٤/ ٢٦٩، ٢٧٠)، والحميدي [٩١٨]، وأبو الشيخ في «الأمثال» [٢٦٠]، وغيرهم كثير من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وطرفه [الحلال بين والحرام بين، وبين ذلك مشتبهات..]



٦٢ - وسئل فضيلته: ما هي الكتب التي تنصح بها، ونرجو توجيه نصيحة للطلاب جزاكم الله خيراً؟

فأجاب بقوله: من أحسن ما يطالعه الطلاب من الكتب، كتب التفسير الموثوقة كتفسير ابن كثير والشيخ عبد الرحمن السعدي، وكتب الحديث كفتح الباري شرح صحيح البخاري، وسبل السلام شرح بلوغ المرام، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، ورياض الصالحين.

ننصح أبناءنا الطلبة بالحرص على العلم النافع، والعمل الصالح، والأخلاق الحسنة، وكسب الوقت فيما فيه خيرهم وصلاحهم في دينهم ودنياهم، وأن يمرنوا أنفسهم على فعل الجميل، والصبر على الأمور التي فيها مصلحتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

*****

٦٣ - وسئل رحمه الله تعالى: بماذا تنصح من بدأ في طلب العلم على كبر سنه؟ وإن لم يتيسر له شيخ يأخذ منه ويلازمه فهل ينفعه طلب العلم بلا شيخ؟

فأجاب: نسأل الله تعالى أن يعين من أكرمه الله بالاتجاه إلى طلب العلم، ولكن العلم في ذاته صعب يحتاج إلى جهد كبير، لأننا نعلم أنه كلما تقدمت السن من الإنسان زاد حجمه، وقَلَّ فهمه، فهذا الرجل الذي بدأ الآن في طلب العلم ينبغي له أن يختار عالماً يثق بعلمه ليطلب العلم عليه، لأن طلب العلم عن المشائخ أوفر وأقرب وأيسر، فهو أوفر لأن الشيخ عبارة عن موسوعة علمية، لاسيما الذي عنده علم نافع في النحو والتفسير والحديث والفقه وغيره، فبدلاً من أن يحتاج إلى قراءة عشرين كتاباً يتيسر تحصيلة من الشيخ، وهو لذلك يكون

أقصر زمناً، وهو أقرب للسلامة كذلك، لأنه ربما يعتمد على كتاب، ويكون نهج مؤلفه مخالفاً لنهج السلف، سواء في الاستدلال، أو في الأحكام، فننصح هذا الرجل الذي يريد طلب العلم على الكبر أن يلزم شيخاً موثوقاً، ويأخذ منه، لأن ذلك أوفر له، ولا ييأس، ولا يقول: بلغت من الكبر عتياً، لأنه بذلك يحرم نفسه من العلم.

وقد ذكر أن بعض أهل العلم دخل المسجد يوماً بعد صلاة الظهر فجلس، فقال به أحد الناس: قم فصل ركعتين، فقام فصلى ركعتين، وذات يوم دخل المسجد بعد صلاة العصر، فكبر ليصلي ركعتين، فقال له الرجل: لا تصل فهذا وقت نهي، فقال: لابد أن أطلب العلم، وبدأ في طلب العلم حتى صار إماماً، فكان هذا الجهل سبباً لعلمه، وإذا عَلِمَ الله منك حسن النية، ومَنَّ عليك بالتوفيق، فقد تجمع من العلم الشيء الكثير.

*****

٦٤ - سئل الشيخ: ما هي الكتب التي تنصح بها المبتدئ في طلب العلم وخاصة في العقيدة؟

فأجاب قائلاً: من أحسن ما يكون في العقيدة: كتاب العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، فهو زبدة مختصرة في عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي تحتاج إلى شرح، ويحتاج المبتدئ إلى من يشرحها له، وكتاب عقيدة السفاريني، وهي منظومة وفيها بعض الإطلاقات التي تخالف بظاهرها مذهب السلف، كقوله:

وليس ربنا بجوهر ولا عرض ولا جسم تعالى في العلى



فهذا القول يخالف ماكان عليه السلف، وإذا درس الطالب هذه العقيدة على شيخ ملم بالعقيدة، وبين له الإطلاقات المخالفة لعقيدة السلف فذلك مفيد.

وإن كان المبتدئ صغير فليبتدئ بحفظ عمدة الأحكام، وهو مختصر، وعامة أحاديثه في الصحيحين، فلا يحتاج إلى البحث عن صحتها، والسؤال عن مُخَرِّجِيهَا.

وفي المصطلح: من أجمع ما يكون نخبة الفكر لابن حجر رحمه الله، وهي عبارة عن ثلاث أو أربع صفحات يحفظها الإنسان، وتبقى في ذهنه، وينتفع بها بعد كبره.

وفي التفسير: تفسير ابن كثير وهو جيد مفيد مأمون، وتفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي أيضاً سهل وجيد ومأمون، فليبتدئ بهما، ثم بعد ذلك فليتوسع.

وفي الفقه: زاد المستقنع الذي عليه شرح الروض المربع، وهو كتاب مبارك مختصر وجامع، وقد أشار علينا به شيخنا عبد الرحمن السعدي مع أنه حفظ متن دليل الطالب، لكن قال لنا: احفظوا زاد المستقنع.

وفي النحو: يبدأ بالآجرومية، وهو كتاب مختصر مبسط يحفظه الطالب ويقرأه، وهو جيد، ثم بعد ذلك أشير بحفظ ألفية ابن مالك، لأنَّهَا خلاصة النحو، وهي مفيدة للطالب.

ومن أحسن ما رأيت في السيرة: كتاب زاد المعاد لابن القيم، لأنه يذكر سيرة النبي ﷺ في جميع أحواله مع استنباط أحكام كثيرة من الغزوات.



وفي أصول الفقه صعوبة: وقد أَلَّفْتُ فيه كتاباً مختصراً بعنوان «الأصول من علم الأصول» يفتح الباب للطالب.

وفي الفرائض: البرهانية وهو كتاب مختصر مفيد جامع لكل الفرائض، ومؤلفه محمد البرهاني.

*****

٦٥ - وسئل: ما هي نصيحتك لمن ينسى ما يقرأ ويتعلم؟

فأجاب بقوله: أهم شيء في حفظ العلم أن يعمل الإنسان بحفظه، لقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾(١٦٢)، وقال: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾(١٦٣)، فكلما عمل الإنسان بعلمه زاده الله حفظاً وفهماً لعموم قوله: ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾.

وقد روى عن الشافعي رحمه الله قوله(١٦٤):

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم نور ... ونور الله لا يؤتاه عاصي

ومن أسباب ذلك الإعراض عن الشواغل التي تأخذ الفكر عن العلم، لأن الإنسان بشر إذا تشتت همته ضعفت قدرته على تحصيل العلم.

وكذلك كثرة البحث مع الزملاء بغرض الوصول للحق، وليس للغلبة، ولا شك أن الإخلاص من جملة ما يحفظ به العلم.

*****

(١٦٢) سورة محمد: آية رقم:١٧

(١٦٣) سورة مريم: آية رقم:٧٦

(١٦٤) مر الإشارة إلى ذلك في صفحة (٥٢) وأن الصواب أنه تلقاه من علي بن خشرم.



٦٦ - سئل فضيلة الشيخ: انتشرت الفتوى حتى صار الصغير يفتي، فما تعليقكم غفر الله لكم؟

فأجاب قائلاً: كان السلف رحمهم الله يتدافعون الفتوى لعظم أمرها ومسئوليتها، وخوفاً من القول على الله بلا علم، لأن المفتي مخبر عن الله مبين لشرعه، فإن قال على الله بلاعلم، فقد وقع فيما هو صنو للشرك، واستمع إلى قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾(١٦٥)، فقرن الله سبحانه القول عليه بلا علم بالشرك، وقال سبحانه: ﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾(١٦٦)، فلا ينبغي أن يتسرع الإنسان في الفتوى، بل ينتظر ويتدبر ويراجع، فإن ضاق الوقت فيحول المسألة إلى من هو أعلم منه، ليسلم من القول على الله بلا علم، وإذا علم الله من نيته الإخلاص وإرادة الصلاح، فسوف يصل إلى المرتبة التي يريدها بفتواه، فمن اتقى الله فيسوفقه الله ويرفعه.

والذي يفتي بلا علم أضل من الجاهل، فالجاهل يقول: لا أدري، ويعرف قدر نفسه، ويلتزم الصدق، أما الذي يقارن نفسه بأعلام العلماء، بل ربما فضل نفسه عليهم، فَيَضِلُّ ويُضِلُّ ويُخْطِئُ في مسائل يعرفها أصغر طالب علم، فهذا شرُّه عظيم وخطره كبير.

*****

(١٦٥) سورة الأعراف: آية رقم:٣٣

(١٦٦) سورة الإسراء: آية رقم:٣٦

٦٧ - سئل فضيلة الشيخ: هل يجوز لطالب العلم أن يرجح بعض الآراء الفقهية على بعض، ثم يلزم بها غيره، وهل له أن يأخذ بالرأي المرجوح في بعض الأحوال وهو يعلم الراجح؟

فأجاب بقوله: إذا لم يتبين الحكم بياناً تاماً لطالب العلم، وظل عنده شك منه، فله أن يُلْزِمَ نَفْسَه به احتياطاً، ولا يُلْزِم غيره بذلك، لأنه ليس عنده دليل بَيِّن يكون حجة له أمام الله عز وجل حين يُحَرِّم أو يوجب على عباد الله ما لم يثبت شرعاً، وكثير ما يتردد المجتهد في بعض الأشياء، فيجب أن يطبقها على نفسه، ويتحمل ما يكون فيها من المشقة، ولكنه يخشى من إلزام عباد الله بِهَا.

ولذلك نقول: لا مانع أن يسلك الإنسان هذا المسلك، ولكنه لايترك إعادة النظر مرة بعد أخرى حتى يتبين الأمر، ويلزم الناس بمقتضى الدليل، ولا يكون مقصراً في طلب الدليل، فيكون مقصراً في بيان الشرع، ولا يجوز له العمل بالمرجوح، بل يتعين عليه أن يعمل بالراجح إذا تبين له أنه راجح.

*****

٦٨ - سئل الشيخ: يلاحظ التقصير في العمل بالعلم، فما نصيحة فضيلتكم؟

فأجاب بقوله: يجب على من علم شيئاً صحيحاً من الشريعة أن يبلغه للناس، لأن العمل بما علم الإنسان يستوجب حفظه بالعمل، ويزيده الله تعالى بالقرآن نوراً، فيكتسب من حفظه العلم بطريقة العمل به أن الله عز وجل يهبه نوراً زائداً على ما عنده، قال الله تعالى:

﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾(١٦٧)، ولهذا قيل: العلم يهتف بالعلم، فإن أجاب وإلا ارتحل.

السلف الصالح في طلب العلم إذا علموا مسألة عملوا بهَا، وكثيراً منهم لا يخفى عليه ما يقع من سرعة الامتثال والمبادرة للصحابة فيما عملوا، حتى النبي ﷺ حث النساء على الصدقة في يوم العيد، فجعل النساء يلقين ما على آذانهن من الحلي، يلقينه في ثوب بلال ﷺ ولم يقلن: إذا وصلن إلى البيت تصدقن، ولكن بادرن بذلك.

وكذلك الرجل الذي طرح النبي ﷺ خاتمه الذي كان من ذهب، وألقاه في الأرض، مارجع إليه بعد أن علم التحريم، حتى قيل له: خذ خاتمك، لتنتفع به، فقال: والله لا آخذ خاتماً طرحه النبي ﷺ، بل إن الرسول ﷺ عندما قال: اخرجوا إلى بني قريظة: [لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُم الْعَصْرَ إلا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ](١٦٨)، فخرجوا بعد أن كانوا مرهقين، حتى إن الصلاة أدركتهم في الطريق، فمنهم من صلى خوفاً من فوات الوقت، ومنهم من أَخَّرَ لقول النبي ﷺ: [لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُم الْعَصْرَ إلا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ].

---

(١٦٧) سورة التوبة: آية رقم: ١٢٤–١٢٥

(١٦٨) رواه البخاري [٩٤٦، ٤١١٩]، وابو عوانة [٦٧٢٢]، وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر ﷺ.

قلت: وقد رواه مسلم [١٧٧٠]، ولكن وقع عنده (الظهر بدلاً من (العصر) وقد أجاب العلماء عن ذلك فراجع «فتح الباري» (٧/ ٤٠٨–٤١٠)، و«شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٩٧–٩٨).



فانظر يا أخي طالب العلم إلى سرعة امتثال الصحابة له لما علموا من تعليم الرسول ﷺ، فهل إذا طبقنا هذا الأمر على ما هو الواقع الآن فهل نحن على هذا الأمر في هذا الوقت؟! أعتقد أن هذا يفوت كثيراً، وما أكثر ما علمنا أن الصلاة ركن من أركان الإسلام يكفر المرء بتركها، وما أكثر ما علمنا أن صلاة الجماعة، فرض على الأعيان ولابد منه، وما أكثر ما علمنا أشياء كثيرة هي من المحظورات، ومع ذلك نجد في طلبة العلم من ينتهك هذا المحظور، وكذلك من يترك هذا الواجب ولا يبالي به، فهذا فرق عظيم بين طلب العلم في الماضي، وطلبه في الحاضر.

*****

٦٩ - وسئل الشيخ: ما هي الطريقة الصحيحة في طلب العلم هل يكون بحفظ المتون في علوم الشريعة، أم فهمها نرجو التوضيح؟

فأجاب بقوله: على طالب العلم أن يبدأ العلم شيئاً فشيئاً، فعليك أن تبدأ في الأصول والقواعد والضوابط وما أشبه ذلك من المختصرات مع المتون، لأن المختصرات سُلَّم إلى المطولات، لكن لابد من معرفة الأصول والقواعد، **ومَنْ لَمْ يَعْرِفْ الأُصُول حُرِمَ الوُصُول**.

كثيراً من طلبة العلم تجده يحفظ مسائل كثيرة، لكن ما عنده أصل، لو تأتيه مسألة واحدة شاذة عما كان يحفظه، ما استطاع أن يعرف لها حلاً، لكن إذا عرف الضوابط والأصول، استطاع أن يحكم على كل مسألة جزئية من مسائله، ولهذا فأنا أحُثُّ إخواني على معرفة الأصول والضوابط والقواعد، لما فيها من الفائدة العظيمة، وهذا شيء جربناه، وشاهدناه مع غيرنا على أن الأصول هي المهم، ومنها حفظ



المختصرات، وقد أراد بعض الناس أن يمكروا بنا، قالوا لنا: إن الحفظ لا فائدة فيه، وإن المعنى هو الأصل، ولكن الحمد لله أنه أنقذنا من هذه الفكرة، وحَفظْنَا ما شاء الله أن نحفظ من متون النحو وأصول الفقه والتوحيد.

وعلى هذا فلا يستهان بالحفظ، فالحفظ هو الأصل، ولعل أحداً منكم الآن يذكر عبارات قرأها قبل يومين، فالحفظ مهم لطالب العلم حتى وإن كان فيه من الصعوبة، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن تكونوا ممن اهتدوا بطريقة سلفنا الصالح وأن يجعلنا من الهداة المهتدين، إنه جواد كريم.



٧٠ - سئل الشيخ: ما رأيكم بمن ترك الدعوة بحجة التفرغ لطلب العلم، وأنه لا يتمكن من الجمع بين الدعوة والعلم في بداية الطريق، لأنه يغلب على ظنه ترك العلم إذا اشتغل بالدعوة، ويرى أن يطلب العلم حتى إذا أخذ منه نصيباً، اتجه لدعوة الناس وتعليمهم وإرشادهم؟

فأجاب بقوله: لا شك أن الدعوة إلى الله تعالى مرتبة علية ومقام عظيم، لأنه مقام الرسل عليهم الصلاة والسلام، وقد قال الله تعالى: ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ﴾(١٦٩)، وأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن يقول: ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾(١٧٠).

---

(١٦٩) سورة فصلت: آية رقم:٣٣

(١٧٠) سورة يوسف: آية رقم:١٠٨



ومن المعلوم أنه لا يمكن الدعوة بغير علم، كما في قوله هنا: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، وكيف يدعوا الشخص إلى شيء لا يعلمه؟ ومن دعا إلى الله تعالى بغير علم، كان قائلاً على الله ما لا يعلم، فالعلم هو المرتبة الأولى للدعوة.

ويمكن الجمع بين العلم والدعوة في بداية الطريق ونهايته، فإن تعذر الجمع كان المبدء بالعلم، لأنه الأصل الذي ترتكز عليه الدعوة، قال البخاري رحمه الله في صحيحه في الباب العاشر من كتاب العلم: باب العلم قبل القول والعمل، واستدل بقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾(١٧١)، قال: فبدأ بالعلم.

ومن ظن أنه لا يمكن الجمع بين العلم والدعوة فقد أخطأ، فإن الإنسان يمكنه أن يتعلم، ويدعو أهله وجيرانه وأهل حارته، وأهل بلدته، وهو في طلب العلم.

والناس اليوم في حاجة، بل في ضرورة إلى طلب العلم الراسخ المتمكن في النفوس، المبني على الأصول الشرعية، وأما العلم السطحي الذي يعرف الإنسان به شيئاً من المسائل التي يتلقاها، كما يتلقاها العامة دون معرفة لأصولها وما بنيت عليه، فإنه علم قاصر جداً، لا يتمكن الإنسان به من الدفاع عن الحق وقت الضرورة وجدال المبطلين.

فالذي أنصح به شباب المسلمين أن يُكَرِّسوا جُهُودَهم لطلب العلم مع القيام بالدعوة إلى الله بقدر استطاعتهم، على وجه لا يصدهم عن

(١٧١) سورة محمد: آية رقم:١٩





طلب العلم، لأن طلب العلم جهاد في سبيل الله تعالى، ولهذا قال أهل العلم: إذا تفرغ شخص قادر على التكسب من أجل طلب العلم، فإنه يُعْطى من الزكاة، لأن ذلك من الجهاد في سبيل الله، بخلاف ما إذا تفرغ للعبادة، فإنه لا يعطى من الزكاة، لأنه قادر على التكسب.

*****

٧١ - سئل الشيخ رحمه الله تعالى: ما رأي فضيلتكم في تعلم التجويد والالتزام به، وهل صحيح ما يذكر عن فضيلتكم من الوقف بالتاء في نحو (الصلاة، الزكاة)؟

فأجاب قائلاً: لا أرى وجوب الالتزام بأحكام التجويد التي فصلت بكتب التجويد، وإنما أرى أنَّهَا من باب تحسين القراءة، وباب التحسين غير باب الإلزام، وقد ثبت في صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سئل كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: كانت مدّاً، قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ يمد ببسم الله، ويمد الرحمن، ويمد بالرحيم، والمد هنا طبيعي لا يحتاج إلى تعمده والنص عليه، هنا يدل على أنه فوق الطبيعي.

ولو قيل: بأن العلم بأحكام التجويد المفصلة في كتب التجويد واجب، للزم تأثيم أكثر المسلمين اليوم، ولقلنا لمن أراد التحدث باللغة الفصحى: طبق أحكام التجويد في نطقك بالحديث وكتب أهل العلم، وتعليمك، ومواعظك وليعلم أن القول بالوجوب يحتاج إلى دليل تُبَرأ به الذمة أمام الله عز وجل في إلزام عباده بما لا دليل على إلزامهم به من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ، أو إجماع المسلمين،





وقد ذكر شيخنا عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في جواب له : أن التجويد حسب القواعد المفصلة في كتب التجويد غير واجب .

وقد اطلعت على كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حول حكم التجويد، قال فيه [ص ٥٠ مجلد ١٦] من مجموع ابن قاسم للفتاوى : « ولا يجعل همته فيما حجب به أكثر من العلوم عن حقائق القرآن، إما بالوسوسة في خروج حروفه، وترقيقها، وتفخيمها، وإمالتها، والنطق بالمد الطويل والقصير والمتوسط، وغير ذلك، فإن هذا حائل للقلوب قاطع لها عن فهم مراد الرب من كلامه، وكذلك شغل النطق بـ ﴿ أأنذرتهم ﴾، وضم الميم من ﴿ عليهم ﴾، ووصلها بالواو، وكسر الهاء أوضمها ونحو ذلك، وكذلك مراعاة النغم وتحسين الصوت » أهـ.

وأمَّا ما سمعتم من أني أقف بالتاء في نحو [الصلاة، والزكاة] فغير صحيح، بل أقف في هذا وأمثاله على الهاء .

*****

٧٢ - سئل الشيخ : بعض الناس يكتبون حرف (ص) بين قوسين، ويقصدون به رمز لجملة (ﷺ) ، فهل يصح استعمال حرف (ص) رمزاً لكلمة (ﷺ) ؟

فأجاب بقوله : من آداب كتابة الحديث كما نص عليه العلماء المصطلح ألا يرمز إلى هذه الجملة بحرف (ص)، وكذلك لا يعبر عنها بالنعت مثل (صلعم)، ولا ريب أن الرمز أو النعت يفوت الإنسان أجر الصلاة على النبي ﷺ ، فإنه إذا كتبها، ثم قرأ الكتاب من بعده، وتلا القارئ هذه الجملة، صار للكاتب الأول نيل ثواب من قرأها، ولا يخفى علينا أن رسول الله ﷺ قال فيما ثبت عنه : « أَنَ مَنْ صَلَّى عَلَيه



ﷺ، مرة واحدة، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً](١٧٢)، فلا ينبغي للمؤمن أن يَحْرَم نفسه الثواب والأجر، لمجرد أن يسرع في إنهاء ما كتبه.

*****

٧٣ - سئل فضيلته: عندما يطرح سؤال شرعي يتسابق عامة الناس إذا كانوا في مجلس مثلاً بالفتيا في تلك المسألة وبغير علم غالباً، فما تعليقكم على هذه الظاهرة؟ وهل يعتبر هنا الأمر من التقديم بين يدي الله ورسوله؟

الجواب: من المعلوم أنه لا يجوز للإنسان أن يتكلم في دين الله بغير علم لأمر الله تعالى يقول: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾(١٧٣).

والواجب على الإنسان أن يكون ورعاً خائفاً من أن يقول على الله بغير علم، وليس هذا من الأمور الدنيوية التي للعقل فيها مجال على أنها وإن كانت من الأمور الدنيوية التي للعقل فيها مجال، فإن الإنسان ينبغي له أن يتأنَّى، وأن يتروى، وربما يكون الجواب الذي في نفسه يجيب به غيره فيكون هو كالحكم بين المجيبين، وتكون كلمته هي الأخيرة الفاصلة، وما أكثر ما يتكلم الناس بآرائهم - أعني غير المسائل الشرعية -، فإذا تأنى الإنسان وتأخر، ظهر له من الصواب من أجل

---

(١٧٢) صحيح. رواه مسلم[٣٨٤] واللفظ له، وأبو داود [٥٢٣]، والنسائي [٦٧٨]، وفي «عمل اليوم والليلة» [٤٥]، والترمذي [٣٦١٤]، وابن خزيمة [٤١٨]، وأحمد (٢/١٦٨)، والطحاوي (١/١٤٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» [٩٣ تحقيقي]، وغيرهم كثير من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص، وطرفه [إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول...]

(١٧٣) سورة الأعراف: آية رقم:٣٣



تعدد الآراء ما لم يكن على باله.

لهذا فإني أنصح كل إنسان أن يَتَأنَّى، وأن يكون هو الأخير في التكلم، ليكون كالحاكم بين هذه الآراء، ومن أجل أن يظهر له في الآراء المختلفة ما لم يظهر له قبل سماعها، هذا بالنسبة للأمور الدنيوية، أما الأمور الدينية، فلا يجوز أبداً أن يتكلم الإنسان إلا بعلم يعلمه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أو أقوال أهل العلم.

*****

٧٤ - وسئل أعلى الله درجته: عن كتاب بدائع الزهور؟

فأجاب قائلاً: هذا الكتاب رأيت فيه أشياء كثيرة غير صحيحة، ولا أرى أن يقتنيه الإنسان، ولا أن يجعله بين أيدي أهله، لما فيه من الأشياء المنكرة.

*****

٧٥ - وسئل أيضاً: عن كتاب تنبيه الغافلين؟

فأجاب بقوله: تنبيه الغافلين كتاب وعظ، وغالب كتب المواعظ يكون فيها الضعف وربما الموضوع، ويكون فيها حكايات غير صحيحة، يريد المؤلفون بِهَا أن يرققوا القلوب، وأن يبكوا العيون، ولكن هذا ليس بطريق سديد، لأن فيما جاء في كتاب الله وصَحَّ عن رسول الله ﷺ من المواعظ كفاية.

ولا ينبغي أن يوعظ الناس بأشياء غير صحيحة، سواء نسبت إلى الرسول ﷺ، أو نسبت إلى قوم صالحين، قد يكونوا أخطأوا فيما ذهبوا إليه من الأقوال والأعمال، والكتاب فيه أشياء لا بأس بها، ومع ذلك



فإنني لا أنصح بأن يقرأه إلا الشخص الذي عنده علم وفهم وتمييز بين الصحيح والضعيف والموضوع.

*****

٧٦ - وسئل: ما هي مكانة وفضل أهل العلم في الإسلام؟

فأجاب بقوله: مكانة أهل العلم أعظم مكانة، لأنهم ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولهذا يجب عليهم من بيان العلم والدعوة إلى الله ما لا يجب على غيرهم، وهم في الأرض كالنجوم في السماء، يهدون الخلق الضالين التائهين، ويُبينون لهم الحق، ويحذرونهم من الشر، ولذلك كانوا في الأرض كالغيث يصيب الأرض القاحلة، فتنبت بإذن الله.

ويجب على أهل العلم من العمل والأخلاق والآداب ما لا يجب على غيرهم، لأنهم أسوة وقدوة، فكانوا أَحَقَّ الناس وأولى الناس بالتزام الشرع في آدابه وأخلاقه.

*****

٧٧ - سئل فضيلة الشيخ: بعض الناس يعتقد أن دور علماء المسلمين مقصور على الأحكام الشرعية، وأنه لا دخل لهم في العلوم الأخرى كالسياسة والاقتصاد ونحوهما، فما رأيكم في هذا الاعتقاد؟

فأجاب بقوله: رأينا في هذا الاعتقاد أنه مبني على الجهل في حال العلماء، ولا ريب أن العلماء - علماء الشريعة -، عندهم علم في الاقتصاد وفي السياسة، وفي كل ما يحتاجون إليه في العلوم الشرعية، وإذا شئت أن تعرف ما قلته، فانظر إلى محمد رشيد رضا رحمه الله صاحب مجلة المنار في تفسيره وفي غيرها من كتبه، وانظر أيضاً إلى

من قبله من أهل العلم بالشرع من يكون مقدماً للأهم على المهم، فتجده في العلم الشرعي بلغ إلى نصيب كبير، وفي العلوم الأخرى يكون أقل من ذلك بناءً على قاعدة أن تبدأ بالأهم قبل المهم، لأن النبي ﷺ قال: [مَنْ يُرِدْ الله بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ][١٧٤].

*****

٧٨ - سئل الشيخ: متى يكون الخلاف في الدين معتبراً؟ وهل يكون الخلاف في كل مسألة أم له مواضع معينة؟ نرجو بيان ذلك؟

فأجاب بقوله: أولاً: اعلم أن خلاف علماء الأمة الإسلامية إذا كان صادراً عن اجتهاد، فإنه لا يضر من لم يوفق للصواب، لأن النبي ﷺ قال: [إذا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وإنْ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ][١٧٥]، ولكن من تبين له الحق وجب عليه اتباعه بكل حال، والاختلاف الذي يقع بين علماء الأمة الإسلامية لا يجوز أن يكون سبباً لاختلاف القلوب، لأن اختلاف القلوب يحصل فيه مفاسد عظيمة، كما قال تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾[١٧٦].

---

(١٧٤) متفق عليه. رواه البخاري [٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢]، ومسلم [١٣٧]، وغيرهما كثير. وقد مر تحقيقه في الحديث المتقدم برقم (١).

(١٧٥) متفق عليه. رواه البخاري [٧٣٥٢]، ومسلم [١٧١٦]، وابو داود [٣٥٧٤]، وابن ماجة [٢٣١٤]، وأحمد (٤/١٩٨، ٢٠٤)، والطيالسي [١٤٥١ منحة]، وابن حبان [٥٠٣٩]، والطحاوي في «المشكل» (١/٣٢٦)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/١١٨-١١٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١٠/١١٥)، وغيرهم من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(١٧٦) سورة الأنفال: آية رقم: ٤٦

والخلاف المعتبر بين العلماء والذي ينقل ويذكر، هو الخلاف الذي له حظ من النظر، أما خلاف العامة الذي لا يفهمون ولا يفقهون فلا عبرة به، ولهذا يجب على العامي أن يرجع إلى أهل العلم كما قال تعالى: ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾(١٧٧).

وأما قول السائل: هل يكون الخلاف في كل مسألة، فليس كذلك الخلاف، قد يكون في بعض المسائل التي يختلف فيها الاجتهاد، أو يكون بعض الناس أعلم من بعض في الاطلاع على نصوص الكتاب والسنة هي التي يكون فيها الخلاف، أما المسائل الأصلية فإنها يقل فيها الخلاف.

*****

٧٩ - سئل الشيخ: ما حكم الاجتهاد في الإسلام؟ وما شروط المجتهد؟

فأجاب بقوله: الاجتهاد في الإسلام هو: بذل الجهد لإدراك حكم شرعي من أدلته الشرعية، وهو واجب على من كان قادراً، لأن الله عز وجل يقول: ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾(١٧٨) والقادر على الاجتهاد يمكنه معرفة الحق بنفسه، ولكن لابد أن يكون ذا سعة في العلم، واطلاع على النصوص الشرعية، وعلى الأصول المرعية، وعلى أقوال أهل العلم، لئلا يقع فيما يخالف ذلك، فإن من طلبة العلم من لم يدركوا من العلوم إلا الشيء اليسير ثم ينصب نفسه مجتهداً، فتجده يعمل بأحاديث عامة لها ما يخصصها، أويعمل بأحاديث منسوخة لا يعلم ناسخها، أو يعمل بأحاديث أجمع العلماء على أنها

---

(١٧٧)،(١٧٨) سورة النحل: آية رقم:٤٣

على خلاف ظاهرها، ولايدري عن إجماع العلماء، ومثل هذا على خطر عظيم.

فالمجتهد لابد أن يكون عنده علم بالأدلة الشرعية، وعنده علم بالأصول التي إذا عرفها استطاع أن يستنبط الأحكام من أدلتها وعلم بما عليه العلماء، لئلا يخالف الإجماع وهو لايدري، فإذا كانت هذه الشروط في حَقِّه موجودة متوافرة، فإنه يجتهد، ويمكن أن يتجزأ الاجتهاد بأن يجتهد الإنسان في مسألة من مسائل العلم فيبحثها ويحققها، ويكون مجتهداً فيها، أو في باب من أبواب العلم كأبواب الطهارة مثلاً يبحثه ويحققه، ويكون مجتهداً فيه.

*****

٨٠ - سئل فضيلة الشيخ: هل يجب التقليد لمذهب معين أم لا؟

فأجاب قائلاً: نعم يجب التقليد لمذهب معين وجوباً لازماً، لكن هذا المذهب المعين الذي يجب تقليده مذهب الرسول ﷺ، لأن الذي ذهب إليه الرسول ﷺ فإنه واجب الاتباع، وهو الذي به سعادة الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١٧٩)، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(١٨٠)، فهذا هو المذهب الواجب الاتباع بإجماع أهل العلم، وأما غير هذا المذهب فإن اتباعه صائغ إذا لم يتبين الدليل من خلافه، فإن تبين الدليل بخلافه فاتباعه محرم.

---

(١٧٩) سورة آل عمران: آية رقم: ٣١

(١٨٠) سورة آل عمران: آية رقم: ١٣٢

حتىٰ قال شيخ الإسلام: من قال: إن أحداً من الناس يجب طاعته في كل ما قال، فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، لأن في ذلك طاعة غير رسول الله ﷺ، وصدق رحمه الله لا أحد من الناس يجب أن يؤخذ بقوله مطلقاً إلا النبي ﷺ، فإنه يجب الأخذ بقوله، وقد قال ﷺ: [اقْتَدُوا باللذيْنَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْر وعُمَر](١٨١)، وقال: [إنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْر وعُمَر يَرْشُدُوا](١٨٢).

*****

٨١ - سئل الشيخ: من الملاحظ في الصحوة الإسلامية الاتجاه إلى العلم ولله الحمد والمنة، وخصوصاً علم السنة النبوية - على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم - ومن الملاحظات:

أ - التعرض للصحيحين [البخاري، ومسلم] نقداً، تضعيفاً وتصحيحاً من قبل بعض طلبة العلم الذين لم ترسخ أقدامهم في هذا العلم، علماً بأن هذين الكتابين من أصول السنة والجماعة، وقد تلقتهما الأمة بالقبول؟

ب - رواج مذهب الظاهرية عند غالبية الشباب، والإعرض عن كتب فقهاء الأمة؟

---

(١٨١) صحيح. رواه الترمذي [٣٦٦٣]، وابن ماجة [٩٧]، وأحمد (٥/٣٨٢،٣٨٥،٤٠٢)، وفي «الفضائل» [٤٧٨]، والحميدي [٤٤٩]، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/١١)، والحاكم (٣/٧٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/١٠٩)، والطحاوي في «المشكل» (٢/٨٣-٨٤)، وغيرهم كثير من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(١٨٢) صحيح. رواه مسلم [٦٨١،٢٨٧٣]، وأبو القاسم في «الجعديات» [٣١٩٤]، والدارقطني في «السنن» (١/٣٨٦)، وأبو نعيم في «مستخرجه على مسلم» [١٥٣٣]، والبيهقي في «الاسماء والصفات» [٣٥٥]، وغيرهم عن أبي قتادة رضي الله عنه.



ت - انشغال بعض طلبة العلم الشريف به عن العلوم الضرورية لطلبة العلم الشرعي مثل القرآن الكريم واللغة العربية والفقه والفرائض ... الخ؟

ث - شيوع ظاهرة التعالم، والتصدر للتدريس، والفتيا من قبل بعض طلبة العلم الذين لا يعرف لهم شيوخ، ولا قدم ثابتة في العلم، وإنما هي القراءة ومطالعة الكتب؟

فأجاب رحمه الله تعالى:

أ - لا شك أن هذه الصحوة صَاحَبَهَا ولله الحمد حب اتباع السنة والحرص عليها، ولكن كما ذكرت صار ينتهج هذا النهج قوم لم يبلغوا ما بلغ أهل العلم ممن قبلهم في التحري والدِّقة، وربط الشريعة بعضها بعض، وتقييد مطلقها، وتخصيص عامها، والرجوع إلى القواعد العامة المعروفة بالشريعة، فصاروا يلتقطون من كل وجه، حتى في الأحاديث الضعيفة التي لا يعمل بِهَا عند أهل العلم لشذوذها ومخالفتها لما في الكتب المعتمدة بين الأمة، تجدهم يتلقفونها، ويحتدون فيها وفي العلم بها، وفي الإنكار على من خالفها، وكذلك أيضاً تجدهم قد بلغ ببعض العجب إلى أن صاروا يعترضون على الصحيحين، أو أحدهما من الناحية الحديثية، ويعترضون على الأئمة من الناحية الفقهية، الأئمة الذي أجمعت الأمة على إمامتهم وحسن نيتهم وعلمهم، فتجد هؤلاء الذين لم يبلغوا ما بلغه من سبقهم يتعرضون لهؤلاء الأئمة، ويَحُطُّونَ مِنْ قَدْرِهم، وهذه وصمة عظيمة لهذه الصحوة، والواجب على الإنسان أن يتريث، وأن يتعقل، وأن يعرف لذوي الحق حقهم، ولذوي



الفضل فضلهم، وإنما يعرف الفضل من الناس أهله، نسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق.

ب – هذا أيضاً من البلاء، ولعل في جوابي السابق ما يدل عليه، لأن مذهب الظاهرية كما هو معروف مذهب يأخذ بالظاهر، ولا يرجع إلى القواعد العامة النافعة، ولو أننا ذهبنا نتتبع من أقوالهم ما يتبين به فساد منهجهم، أو بعض منهجهم لوجدنا الكثير، ولكننا لا نحب أن نتتبع عورات الناس.

ت – لا شك أن الأولى بطالب العلم أن يبدأ أولاً بكتاب الله عز وجل، فإن الصحابة ﷺ كانوا لا يتعلمون عشر آيات حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، ثم بالسنة النبوية، ولا يقتصرون على معرفة الأسانيد والرجال والعلل، إنما يحرصون على مسألة فقه هذه السنة، لأن النبي ﷺ يقول: [رُبَّ مُبَلَّغٍ أوعَى مِنْ سَامِعٍ](١٨٣)، ويقول: [رُبَّ حَامِلِ فَقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيه](١٨٤)، والناس الآن في ضرورة إلى معرفة الأسانيد وصحتها، وفي ضرورة أيضاً إلى الفقه في هذه السنن الواردة عن النبي ﷺ، وتطبيقها على القواعد والأصول الشرعية، حتى لا يضل الإنسان ويضل غيره.

---

(١٨٣) متفق عليه. رواه البخاري [٦٧]، [١٧٤١]، وفي «خلق آفعال العباد» [٣٠٤، ٣٠٥]، ومسلم [١٦٧٨]، وابن ماجة [٢٣٢، ٢٣٣ مختصراً]، وأحمد (٥/ ٣٧، ٣٩، ٤٩)، والبيهقي (٥/ ١٤٠)، وغيرهم من طريق محمد ين سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه مرفوعاً.

(١٨٤) صحيح. رواه الترمذي [٢٦٥٦]، وأبو داود [٣٦٦٠]، والدارمي (١/ ٦٥، ٦٦)، وأحمد (٥/ ١٨٣)، وفي «الزهد» (ص ٣٣)، وابن حبان [٧٢، ٧٣]، والحاكم في «المدخل» [٨٤، ٨٥]، وغيرهم من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

ث - يجب أن يعلم الإنسان المفتي، أنه سفير بين الله وبين خلقه، ووارث لرسول الله ﷺ، فلابد أن يكون عنده علم راسخ، يستطيع به أن يفتي عباد الله، ولا يجوز للإنسان أن يتصدر للفتوى والتدريس وليس معه علم، لأن الرسول ﷺ أخبر: [إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَاد ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاء ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً ، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوساً جُهَّالاً فَسُئِلُوا ، فَأَفْتَوا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا] (١٨٥) والحمد لله، الإنسان الذي يريد الخير، ولكنه يأتي حتى يدركه وينشره، فإنه إن فسح له الأجل حتى أدرك ما أراد فهذا هو مطلوبه، وإن لم يفسح له في الأجل، وقضى الله عليه الموت، فإنه كالذي يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم يدركه الموت، فقد وقع أجره على الله.

وكم من إنسان تَعَجَّل في التدريس والفتيا فندم، لأنه تبين له أن ما كان يقرره في تدريسه أو يفتي به في فتواه كان خطأ، والكلمة إذا خرجت من فم صاحبها ملكته، وإذا كانت عنده ملكها.

فليحذر الأخوة الذين هم في ريعان طلب العلم من التعجل، وليتأنوا حتى تكون فتواهم مبنية على أسس سليمة، وليس العلم كالمال يتطلب الإنسان فيه الزبائن ليدرك من يبيع، بل يدرك من يشتري منه، بل العلم إرث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فيجب

(١٨٥) متفق عليه. رواه البخاري [١٠٠]، ومسلم [٢٦٧٣]، والترمذي [٢٦٥٢]، والنسائي في «الكبرى» (٣/٤٥٥)، وابن ماجة [٥٢]، والدارمي [٢٣٩]، وأحمد (٢/١٦٢، ١٩٠)، وابن حبان [٤٥٧١]، والقضاعي في «مسند الشهاب» [١١٠٣-١١٠٧]، وغيرهم من حديث عبد الله ابن عمرو ﷺ.

على الإنسان أن يكون مستشعراً حين الفتوى شيئين:

الأولى: أنه يقول عن الله عز وجل وعن شريعة الله.

الثاني: أنه يقول عن رسول الله ﷺ، لأن العلماء ورثة الأنبياء.

*****

٨٢ - وسئل غفر الله له عن أقسام الناس في طلب علم الكتاب والسنة الصحيحة؟

الجواب: انقسم الناس في طلب علم الكتاب والسنة إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: من تجده معرضاً عن الكتاب والسنة، مُكبَّاً على الكتب الفقهية المذهبية، يعمل بما فيها مطلقاً، ولا يرجع إلا إلى ما قاله فلان وفلان من أصحاب الكتب المذهبية.

القسم الثاني: من أَكَبَّ على علوم القرآن مثل علم التجويد أو ما يتصل بمعناه أو إعرابه وبلاغته، وأما بالنسبة للسنة وعلم الحديث فهو قليل البضاعة فيها، وهذا قصور كبير بلا شك.

القسم الثالث: من تجده مُكباً على علم الحديث، وعلم تحقيق الأسانيد، وما فيها من علل، وما يتعلق بالحديث من حيث القبول والرَدِّ، ولكنه في علوم القرآن ضعيف جداً، فلو سألته عن تفسير أوضح آية في كتاب الله، فلا يعرف تفسيرها، وكذلك في علوم التوحيد والعقيدة لو سئل لم يعرف، وهذا قصور كبير بلا شك.

القسم الرابع: من كان حريصاً على الجمع بين الكتاب والسنة الصحيحة، وما كان عليه سلف الأمة مما يتعلق بعلم الكتاب

والسنة، ومع ذلك ليس مُعْرِضاً عما قاله أهل العلم في كتبهم، بل هو يقيم لهم وزناً، ويستعين به على فهم الكتاب وسنة رسوله ﷺ ، لأن العلماء رحمهم الله بعلمهم وضعوا قواعد وضوابط وأصول ينتفع بهَا طالب العلم، حتى المفسر في تفسير القرآن، وحتى طالب السنة في معرفة السنة أو في شرح معانيها، فيكون مركزاً على الكتاب والسنة، ومستعيناً بما قاله أهل العلم في كتبهم، وهذا هو خير الأقسام.

ولننظر هل نحن طبقنا سير العلم على هذه الطريقة الأخيرة، أو أننا من القسم الأول أو الثاني أو الثالث، فإذا كان غير القسم الأخير، فإنه يجب أن نصحح طريقنا، لأن الله يقول في كتابه: ﴿يا أيُّها الَّذين آمنُوا أطيعُوا اللَّهَ وأَطيعُوا الرَّسُولَ وأُولي الأَمْرِ منكُمْ﴾[١٨٦]، وأُولِي الأمر: يشمل العلماء ويشمل الأمراء﴿فإن تنازعتُم في شيءٍ فرُدُّوهُ إلى اللَّهِ والرَّسُولِ...﴾[١٨٧] ونحن دائماً لاسيما إذا رجعنا إلى المأخوذ عن الصحابة والتابعين، نجدهم دائماً يتحاكمون إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ ، ومع ذلك فإني لا أقول: إنه يجب أن تهدر أقوال العلماء، بل أقوال العلماء لها قيمتها ووزنها واعتبارها، ويستعان بها على فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

*****

(١٨٦) سورة النساء: آية رقم: ٥٩

(١٨٧) سورة النساء: آية رقم: ٥٩

٨٣ – سئل غفر الله له: ما قول فضيلتكم في بعض الطلاب الذين يدرسون من أجل الوظيفة والراتب، وكذلك ما يفعله البعض من استئجار من يكتب له البحوث، أو يعد لهم الرسائل، أو يحقق بعض الكتب فيحصلون به على شهادات علمية؟

فأجاب بقوله: يجب على طلبة العلم إخلاص النية لله عز وجل، وأن يعتقد أنه ما قرأ حرفاً، ولا كلمة، ولا أتَمَّ صفحة في العلم الشرعي إلا وهو يقربه إلى الله عز وجل، ولكن كيف يمكن أن ينوي التقرب إلى الله بطلب العلم؟

الجـــواب: يمكن ذلك لأن الله أمر به، والله إذا أمر بشيء، ففعله الإنسان امتثالاً لأمر الله، فتلك عبادة الله، لأن عبادة الله هي امتثال أمره، واجتناب نهيه، وطلب مرضاته، واتقاء عقوبته.

ومن إخلاص النية في طلب العلم أن ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره من الأمة، وعلامة ذلك أن الرجل تجده بعد طلب العلم متأثراً بما طلب، متغيراً في سلوكه ومنهاجه، وتجده حريصاً على نفع غيره، وهذا يدل على أن نيته في طلب العلم رفع الجهل عنه وعن غيره، فيكون قدوة، صالحاً مصلحاً، وهذا ما كان عليه السلف الصالح، أما ما عليه الخلف اليوم فيختلف كثيراً عن ذلك، فتجد الأعداد الكبيرة من الطلاب في الجامعات والمعاهد، منهم من نيته لا تنفعه في الدنيا والآخرة، بل تضره فهو ينوي أن يَصِلَ إلى الشهادة لكي يتوصل بهَا إلى الدنيا فقط، وقد جاء التحذير من الرسول ﷺ فقال: [مَنْ تَعَلَّم عِلْمَاً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهَ الله عزَّ وجلَّ، لا يَتَعَلَّمَهُ إلاَّ

ليُصيبَ به عَرَضاً من الدُّنيا، لَمْ يَجِدْ عُرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيامَةِ أي: – ريحها –] (١٨٨).

وهذا خطر عظيم، فعلم شرعي تجعله وسيلةً إلى عرض الدنيا، هذا قلب للحقائق، والطالب إذا أخلص النية جاءته الدنيا تبعاً، ولن يفوته شيء، وسيخرج هو ومن يريد الشهادة على حد سواء.

وإن مما يؤسف له – كما ذكر السائل – أن بعض الطلاب يستأجرون من يعد لهم بحوثاً أو رسائل، ليحصلون على شهادات علمية، أو من يُحَقِّقُ بعض الكتب، فيقول لشخص: حَضِّر لي تَرَاجِمَ هؤلاء، وراجع البحث الفلاني، ثُمَّ يُقَدِّمَهُ رسالة ينال بِهَا درجة، يستوجب بِهَا أن يكون في عداد المعلمين أو ما أشبه ذلك، فهذا في الحقيقة مخالف لمقصود الجامعة، ومخالف للواقع، وأرى أنه نوع من الخيانة، لأنه لابد أن يكون المقصود من الرسالة هو الدراسة والعلم قبل كل شيء، فإذا كان المقصود من ذلك الشهادة فقط، فإنه لو سئل بعد أيام عن الموضوع الذي حصل على الشهادة فيه لم يجب.

لهذا أحذر إخواني الذين يحققون الكتب، أو الذين يحضرون رسائل على هذا النحو من العاقبة الوخيمة، وأقول: إنه لا بأس من الاستعانة بالغير، ولكن ليس على وجه أن تكون الرسالة كلها من صنع غيره، وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح، إنه سميع مجيب.

*****

(١٨٨) صحيح. رواه أبو داود [٣٦٦٤]، وابن ماجة [٢٥٢]، وغيرهم، وقد سبق تخريجه برقم (٢١).

٨٤ – سئل الشيخ: هل العلوم كالطب والهندسة من التفقه في دين الله؟

فأجاب بقوله: ليست هذه العلوم من التفقه في دين الله، لأن الإنسان لا يدرس فيها الكتاب، ولا السنة، لكنها من الأمور التي يحتاجها المسلمون، ولهذا قال بعض أهل العلم: أن تعلم الصناعات والطب والهندسة والجيولوجيا وما أشبه ذلك من فروض الكفايات، لا لأنها من العلوم الشرعية، ولكن لأنها لا تتم مصالح الأمة إلا بِهَا، ولهذا أنبه الأخوان الذين يدرسون مثل هذه العلوم أن يكون قصدهم بتعلم هذه العلوم نفع إخوانهم المسلمون، ورفع أمتهم الإسلامية.

الأمة الإسلامية الآن ملايين، لو أنها استغلت مثل هذه العلوم فيما ينفع المسلمين لكان في ذلك خير كثير، ولا ما احتجنا إلى الكفار في تحصيل كمالياتنا، بل وفي تحصيل ضرورياتنا أحياناً، فهذه العلوم إذا قصد بِهَا الإنسان القيام بمصالح العباد صارت مما يقرب إلى الله، لا لذاتها ولكن لما قصد فيها، أما أنها فقه في الدين فليست فقه في الدين، لأن الفقه في الدين هو الفقه في أحكام الله تعالى الشرعية والقدرية، والفقه في ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته.

*****

٨٥ – سئل الشيخ رحمه الله بما يكون الإخلاص في طلب العلم؟

فأجاب بقوله: الإخلاص في طلب العلم يكون بأمور:

الأمر الأول: أن تنوي بذلك امتثال أمر الله، لأن الله أمر بذلك، فقال: ﴿فاعلَمْ أنَّهُ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ واستغفر لذنبكَ﴾(١٨٩)، وحثَّ سبحانه وتعالى

(١٨٩) سورة محمد: آية رقم:١٩



على العلم، والحثُّ على الشيء يستلزم محبته، والرضا به، والأمر به.

الأمر الثاني: أن تنوي بذلك حفظ شريعة الله، لأن حفظ شريعة الله يكون بالتعلم، والحفظ في الصدر، ويكون كذلك بالكتابة.

الأمر الثالث: أن تنوي حماية الشريعة والدفاع عنها، لأنه لولا العلماء ما حُمِيَت الشرعية، ولا دافع عنها أحد، ولهذا تجد مثلاً شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم تصدوا لأهل البدع، وبينوا بطلان بدعهم، نرى أنهم حصلوا على خير كثير.

الأمر الرابع: أنت تنوي بذلك اتباع شريعة محمد ﷺ، لأنك لا يمكن أن تتبع شريعته حتى تعلم هذه الشريعة.

الأمر الخامس: أن تنوي بذلك رفع الجهل عن نفسك وعن غيرك.

*****

٨٦ – سئل الشيخ رحمه الله تعالى: يقول بعض الناس: إن إخلاص النية في عصرنا الحاضر صعب، أو قد يكون مستحيلاً، لأن الذين يطلبون العلم – ولاسيما الطلب النظامي – يطلبون العلم لنيل الشهادة فحسب؟

فأجاب: نقول إذا كنت تطلب العلم لنيل الشهادة، فإن كنت تريد من هذه الشهادة أن ترتقي مرتقى دنيوي، فالنية فاسدة، أما إذا كنت تريد أن ترتقي إلى مرتقى تنفع الناس به، لأنك تعرف اليوم أنه لا يُمَكَّنُ الإنسان من ارتقاء المناصب العالية الموجه للأمة إلا إذا كان معه شهادة، فأنا أقصد بهذه الشهادة أن أنال ما أنفع الناس به، فهذه نية طيبة لا تنافي الإخلاص.





٨٧ – وسئل الشيخ: ما نصيحة فضيلتكم حول العمل بالعلم؟

فأجاب بقوله: لابد من العمل بالعلم، لأن ثمرة العلم العمل، لأنه إذا لم يعمل بعلمه، صار من أول مَنْ تُسَعَّرُ بهم النار يوم القيامة

وَعَالِمٌ بِعِلْمِهِ لَمْ يَعْمَلْ مُعَذَّبٌ مِنْ قَبْلِ عُبَّادِ الوَثَنِ

فإذا لم يعمل بعلم أورث الفشل في العلم، وعدم البركة، ونسيان العلم، لقول الله تعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظًا مما ذكروا به﴾[190]، وهذا النسيان يشمل: النسيان الذهني، والنسيان العملي قد يكون بمعنى ينسونه ذهنياً، أو ينسونه يتروكنه، لأن النسيان في اللغة العربية يطلق بمعنى الترك، أما إذا عمل الإنسان بعلمه، فإن الله تعالى يزيده هدى، قال تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾[191] ويزيده تقوى، ولهذا قال: ﴿وآتاهم تقواهم﴾[192]، إذا عمل بعلمه وَرَّثهُ الله علم ما لم يعلم، ولهذا قال بعض السلف: العِلْمُ يَهْتِفُ بالعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ حَلَّ، وإلا إرْتَحَل.

*****

٨٨ – سئل الشيخ رحمه الله تعالى: ما الأمور التي يجب توافرها فيمن يتلقى عنه العلم؟

فأجاب بقوله: لابد أن يطلب العلم على شيخ متقن وذي أمانة، ولأن الإتقان قوة، والقوة لابد فيها من أمانة: ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾[193] ربما يكون العالم عنده إتقان وسعة علم وقدرة على التفريع

(١٩٠) سورة المائدة: آية رقم:١٣

(١٩١)، (١٩٢) سورة محمد: آية رقم:١٧

(١٩٣) سورة القصص: آية رقم:٢٦



والتقسيم، ولكن ليس عنده أمانة، فربما أضَلَّك من حيث لا تشعر، كذلك لا تأخذ العلم بالتحصيل الذاتي، أي: أن تقرأ الكتب فقط دون أن يكون لك شيخ معتمد، ولهذا قيل: «مَنْ دَلِيلُهُ كِتَابُهُ كان خطؤه أَكْثَرَ مِنْ صَوَابِهِ»، فالأصل أن مَن اعتمد على التحصيل الذاتي وعلى مراجعة الكتب، أن يضل، لأنه يجد بحراً لا ساحل له، ويجد عمقاً لا يستطيع التخلص فيه، أما من أخذ من عالم شيخ فإنه يستفيد فوائد عظيمة:

الفائدة الأولى: قصر المدة

الفائد الثانية: قلة التكلفة.

الفائدة الثالثة: أن ذلك أحرى بالصواب.

لأن هذا الشيخ قد علم وتعلم، ورجح، وفهم، فيعطيك الشيء ناضجاً، لكنه يُمَرِّنُكَ على المطالعة، والمراجعة إذا كان عنده شيء من الأمانة، أما من اعتمد على الكتب فلابد أن يكرس جهوده ليلاً ونهاراً، ثم إذا طالع الكتب التي يقارن فيها بين أقوال العلماء، فسيقت أدلة هؤلاء وسيقت أدلة هؤلاء، من يَدُلُّهُ على أن هذا أصوب، يبقى متحيراً، ولهذا نرى أن ابن القيم حينما يناقش قولين لأهل العلم سواء في زاد المعاد أو أعلام الموقعين، إذا ساق أدلة القول الأول وعلله تقول: هذا هو القول الصواب ولا يجوز العدول عنه بأي حال من الأحوال، ثم ينقض ويأتي بالقول المقابل، ويذكر أدلته وعلله فتقول: هذا هو القول الصواب، فيحصل عندك من الإشكال والتردد، فلابد أن تكون قراءتك على شيخ متقن أمين.

٨٩ - وسئل الشيخ بعض المبتدئين يبدءون في القراءة من كتاب المحلى لابن حزم بحجة التمرن على المناظرة، وحينما تنصحهم بأن هذا سابق لأوانه، فيقولون: يزيد التمرن، فهل هذا صحيح؟

فأجاب بقوله: مناظرة ابن حزم رحمه الله مناظرة صعبة يُشَدِّد عَلَى خصمه، ويحصل منه أحياناً سب لمخالفه، فهو رحمه الله كان شديداً جداً، وأخشى أن يكون طالب العلم الصغير إذا تعود على مثل ما كان عليه ابن حزم أخشى عليه من المماراة، فلو أنه سلك مسلكاً سهلاً لكان أحسن، وإذاحصل على قدر كبير من العلم إن شاء الله وعرف كيف يستفيد من ابن حزم فليطالع في كتابه، لذلك لا أنصح بمطالعته للطالب المبتدئ، لكن التمرن على المجادلة لإثبات الحق أمر لابد منه، فكثير من الناس عنده علم واسع، لكنه عند المجادلة لا يستطيع إثبات الحق

*****

٩٠ - سئل الشيخ رحمه الله تعالى: إذا أراد طالب العلم الفقه، فهل له الاستغناء عن أصول الفقه؟

فأجاب بقوله: إذا أراد طالب العلم أن يكون عالماً في الفقه فلابد أن يجمع بين الفقه وأصول الفقه ليكون متبحراً متخصصاً فيه، وإلا فيمكن أن تعرف الفقه بدون علم الأصول، ولكن لا يمكن أن تعرف أصول الفقه وتكون فقيه بدون علم الفقه، أي: أنه يمكن أن يستغني الفقيه عن أصول الفقه، ولا يمكن أن يستغنى الأصولي عن الفقه إذا كان يريد الفقه، ولهذا اختلف علماء الأصول هل الأولى لطالب العلم

أن يبدأ بأصول الفقه حتى يبني الفقه عليها، أو بالفقه لدعاء الحاجة عليه، حيث إن الإنسان يحتاج إليه في عمله، في عبادته ومعاملاته قبل أن يتقن أصول الفقه، الثاني هو الأولى، وهو المتبع غالباً.

*****

٩١ - وسئل فضيلة الشيخ: بعض طلبة العلم يأتي إلى مسألة من مسائل العلم فيبحثها ويحققها بأدلتها ومناقشتها مع العلماء، فإذا حضر مجلس عالم يشار إليه بالبنان، قال: ما تقول أحسن الله إليك في كذا، وكذا، قال: هذا حرام مثلا، قال: كيف؟ بم تجيب عن قوله ﷺ، كذا؟ عن قول فلان كذا؟ ثم أتى بأدلة لا يعرفها العالم، لأن العالم ليس محيطاً بكل شيء حتى يظهر نفسه أنه أعلم من هذا العالم فما رأي فضيلتكم؟

فأجاب: هذه المسألة تقع كثيراً، يأتي الإنسان يكون باحث المسألة بحثاً دقيقاً جيداً، ثم يباغت العلماء بمثل هذا، وعلى الإنسان أن يكون سؤاله لطلب العلم ومعرفة الحق، لا ليظهر علمه وضعف علم غيره، والحاصل أن الإنسان يجب أن يكون متأدباً مع من هو أكبر منه، وإذا حصل خطأ ممن هو أكبر، فالخطأ يجب أن يبين بحال لبقة، أو ينتظر حتى يخرج مع هذا العالم ويكلمه بأدب، والعالم الذي يتقي الله إذا بان له الحق فإنه سوف يرجع إليه، وسوف يبين للناس أنه رجع عن قوله.

*****

٩٢ – وسئل الشيخ: ما توجيهكم حول استغلال الوقت وحفظه من الضياع؟

فأجاب قائلا: ينبغي لطالب العلم أن يحفظ وقته عن الضياع، وضياع الوقت يكون على وجوه:

الوجه الأول: أن يدع المذاكرة ومراجعة ما قرأ.

الوجه الثاني: أن يجلس إلى أصدقائه ويتحدث بحديث لغو ليس فيه فائدة.

الوجه الثالث: وهو أضرها على طالب العلم ألا يكون له هم إلا تتبع أقوال الناس وما قيل وما قال، وما حصل وما يحصل في أمر ليس معنياً به، وهذا لا شك أنه من ضعف الإسلام، لأن النبي ﷺ قال: [مِنْ حُسنِ إسْلامِ المرءِ تَركهُ ما لاَ يَعْنِيه][194] والاشتغال بالقيل والقال وكثرة السؤال مضيعة للوقت، وهو في الحقيقة مرض، إذا دب في الإنسان نسأل الله العافية صار أكبر همه، وربما يعادي من لا يستحق العداء، أو يوالي من لا يستحق الولاء، من أجل اهتمامه بهذه الأمور التي تشغل عن طلب العلم، بحجة أن هذا من باب الانتصار للحق، وليس كذلك، بل هذا من إشغال النفس بما لا يعني الإنسان، أما إذا جاءك الخبر بدون أن تتلقفه وبدون أن تطلبه، فكل إنسان يتلقى الأخبار، لكن لا ينشغل بها، ولا تكون أكبر همه، لأن هذا يشغل طالب العلم، ويفسد عليه أمره، ويفتح في الأمة باب الحزبية، فتتفرق الأمة.

---

(١٩٤) [illegible]. وقد سبق تخريجه برقم (١٠١).

٩٣ – سئل الشيخ: هل يجوز لطالب العلم إذا كان في مجلس عامة أن يقول لهم: مَنْ عنْدَهُ مسألة أو مشكلة فَلْيَطْرَحها حتى أجيب عليها وتحصل الفائدة؟

فأجاب بقوله: يجوز عرض العالم على المتعلم وعامة الناس أن يسألوا عما بدا لهم، ولا يعد ذلك إعجاباً من العالم بنفسه، لأنه قد يقول قائل: لماذا يقول اسأل عما بدا لك، هذا تعظيم لنفسه، وكبر منه؟ نقول: ليس هذا المراد بل المراد نشر العلم، والإنسان لا يعلم عما في قلب أخيه حتى يحدثه به، لذلك لا يقال: هذا الفعل خطأ، ما دام الإنسان ليس قصده الإعجاب بالنفس، وإنما قصده بث العلم، فلا حرج في ذلك.

*****

٩٤ – وسئل هل تعتبر أشرطة التسجيل طريقة من طرق العلم؟ وما هي الطريقة المثلى للاستفادة منها؟

فأجاب بقوله: أما كون هذه الأشرطة وسيلة من وسائل تحصيل العلم فهذا لا يشك فيه أحد، ولانجحد نعم الله علينا في هذه الأشرطة التي استفدنا كثيراً من العلم بهَا، لأنها توصل إلينا أقوال العلماء في أي مكان كنا.

ونحن في بيوتنا قد يكون بيننا وبين هذا العالم مفاوز، ويسهل علينا أن نسمع كلامه من خلال هذا الشريط، وهذه من نعم الله عز وجل علينا، وهي في الحقيقة حجة لنا وعلينا، فإن العلم انتشر انتشاراً واسعاً بواسطة هذه الأشرطة.

وأما كيف يستفاد منها؟

فهذا يرجع إلى حال الإنسان نفسه، فمن الناس من يستطيع أن



يستفيد منها، وهويقود السيارة، ومنهم من يستمع إليه أثناء تناوله لطعام الغداء، أو العشاء، أو القهوة، المهم أن كيفية الاستفادة منها ترجع إلى كل شخص بنفسه، ولا يمكن أن نقول فيها ضابطاً عاماً.

*****

٩٥ – سئل الشيخ رحمه الله تعالى: أيهما أفضل: قيام الليل أو طلب العلم؟

فأجاب بقوله: طلب العلم أفضل من قيام الليل، لأن طلب العلم كما قال الإمام أحمد: «لا يعدله شيء لمن صَحَّتْ نيَّتُه، ينوي به رفع الجهل عن نفسه وعن غيره»، فإذا كان الإنسان يسهر في أول الليل لطلب العلم ابتغاء وجه الله، سواء كان يدرسه أو يعلمه الناس، فإنه خير من قيام الليل، وإن أمكنه أن يجمع بين الأمرين فهو أولى، لكن إذا تزاحم الأمران فطلب العلم الشرعي أفضل وأولى، ولهذا أمر النبي ﷺ أبا هريرة: [أن يُوتِرَ قَبْلَ أنْ يَنَامَ](١٩٥)، قال العلماء: وسبب ذلك أن أبا هريرة كان يحفظ أحاديث النبي ﷺ أول الليل، وينام آخر الليل فأرشده النبي ﷺ إلى أن يُوتِرَ قَبْل أنْ يَنَامَ.

*****

٩٦ – سئل فضيلة الشيخ: وهل من توجيه إلى طلبة العلم حتى يكونوا دعاة؟ حيث أنهم يحتجون بطلب العلم وأنه يشغلهم عن الدعوة؟

فأجاب بقوله: الدعوة التي تكون دون طلب العلم لا خير فيها، بمعنى: أنها تفوِّت خيراً كثيراً، والواجب على طالب العلم أن يطلب العلم مع الدعوة إلى الله، ما المانع طالب العلم إذا رأى شخصاً مُعْرِضَاً

(١٩٥) متفق عليه. وقد سبق تخريجه برقم (١٥١).



بالمسجد الذي يطلب فيه العلم، أن يدعوه إلى الله عز وجل؟ ما المانع إذا خرج إلى السوق ليقضي حوائجه، أن يدعو إلى الله عز وجل في السوق إذا رأى مُعْرِضاً عن دين الله؟ ما المانع إذا كان بالمدرسة، ورأى من الطلبة من هو معرض أن يدعوه إلى الله عز وجل ويأخذ بيده؟

لكن المشكلة أن الإنسان إذا رأى مخالفاً له بمعصية أو ترك أمر كرهه، واشمأز منه، وأبعد عنه، ويئس من إصلاحه، والله سبحانه وتعالى بَيَّنَ لنا أن نصبر، وأن نحتسب، قال الله لنبيه: ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾(196).

فالإنسان يجب عليه أن يصبر ويحتسب، ولو رأى في نفسه شيئاً أو على نفسه شيئاً من الغضاضة، فليجعل ذلك في ذات الله عز وجل، إن النبي ﷺ لما أدميت أصبعه في الجهاد، قال:

هَلْ أَنْتِ إِلاَّ أُصْبَعٌ دَمَيْتِ ... وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ(197)

*****

٩٧ - سئل فضيلة الشيخ رحمه الله تعالى: إذا اجتهد العالم في مسألة من المسائل ولم يصب الحكم الصحيح فبم يحكم عليه؟

فأجاب قائلاً: العالم إذا اجتهد في مسألة من المسائل قد يصيب وقد يخطئ، لما ثبت من حديث بريدة رضي الله عنه: [وإذا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنَزِّلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلا تُنَزِّلْهُم على حُكمِ الله، ولكن أَنزِلهم

---

(١٩٦) سورة الأحقاف: آية رقم: ٣٥

(١٩٧) متفق عليه. رواه البخاري [٢٨٠٢]، ومسلم [١٧٩٦]، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» [٥٥٩]، والترمذي [٣٣٤٥]، وأحمد (٤/ ٣١٢، ٣١٣)، وابن حبان [٦٥٧٧]، والطيالسي [٩٣٧]، وأبو يعلى [١٥٣٣]، وغيرهم عن جندب البجلي رضي الله عنه.

على حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لا](١٩٨) رواه مسلم، وقال النبي ﷺ : [إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وإن أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ](١٩٩) متفق عليه، وعليه فهل نقول: **إن المجتهد مصيب ولو أخطأ؟**

الجواب: قيل: كل مجتهد مصيب، وقيل ليس كل مجتهد مصيباً، وقيل: كل مجتهد مصيب في الفروع دون الأصول، حذراً من أن نصوب أهل البدع في باب الأصول.

والصحيح أن كل مجتهد مصيب من حيث اجتهاده، أما من حيث موافقته للحق فإنه يخطئ ويصيب، ويدل قوله ﷺ : [فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ ..... واجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ](٢٠٠) فهذا واضح في تقسيم المجتهدين إلى: مخطئ ومصيب، وظاهر الحديث والنصوص أنه شامل للفروع والأصول، حيث دَلَّتْ تلك النصوص على أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، لكن الخطأ المخالف لإجماع السلف، خطأ ولو كان من المجتهدين، لأنه لا يمكن أن يكون مصيباً والسلف غير مصيبين، سواء في علم الأصول أو الفروع، على أن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم أنكرا تقسيم الدين إلى أصول وفروع، وقالا: إن هذا التقسيم مُحْدَث بعد عصر الصحابة، ولهذا نجد القائلين بهذا التقسيم يلحقون شيئاً من

(١٩٨) صحيح. جزء من حديث طويل رواه مسلم [١٧٣١]، وأبو داود [٢٦١٢]، وابن ماجة [٢٨٥٨]، والترمذي [١٦١٧]، وأحمد (٣/٣٥٨)، وأبو عوانة [١٦١٧]، والدارمي [٢٤٤٢]، وغيرهم من حديث بريدة رضي الله عنه.

(١٩٩) متفق عليه. وقد سبق تخريجه برقم (١٧٥).

(٢٠٠) متفق عليه. وقد سبق تخريجه برقم (١٧٥).



أكبر أصول الدين بالفروع مثل الصلاة، وهي ركن من أركان الإسلام، ويخرجون أشياء في العقيدة، ولكن فرع من فروعها، ونحن نقول: إن أردتم بالأصول ما كان عقيدة فكل الدين أصول، لأن العبادات المالية أو البدنية لا يمكن أن تتعبد لله بهَا إلا أن تعتقد أنها مشروعة، فهذه عقيدة سابقة على العمل، ولو لم تَعتقد ذلك لم يصح تعبدك لله بهَا.

والصحيح: أن باب الاجتهاد مفتوح فيما سمي بالأصول أو الفروع، لكن ماخرج عن منهج السلف فليس بمقبول مطلقاً.

*****

٩٨ - سئل الشيخ رحمه الله: عن من يقول بعدم الاجتهاد وخلو هذا العصر من المجتهدين؟

فأجاب بقوله: الصحيح أن باب الاجتهاد باق بدليل السنة، كما في حديث عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: [إذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَان، وإنْ أَخَطَأ فَلَهُ أَجْرٌ واحد] (٢٠١) لذلك قول من يقول: بعدم الاجتهاد وخلو هذا العصر من المجتهدين، قول ضعيف، ويترتب عليه الإعراض عن الكتاب والسنة إلى آراء الرجال، وهذا خطأ، بل الواجب على من تمكن من أخذ الحكم من الكتاب والسنة أن يأخذ منهما، لكن كثرة السنن وتفرقها لا ينبغي للإنسان أن يحكم بشيء بمجرد أن يسمع حديثاً في هذا الحكم حتى يثبت، لأن هذا الحكم قد يكون منسوخاً أو مقيداً، وأنت تظنه مطلقاً، أو عاماً وأنت تظنه خاصاً وهكذا.

---

(٢٠١) متفق عليه. وقد سبق تخريجه برقم (١٧٥).

وأما أن نقول: لا تنظر في القرآن والسنة، لأنك لست أهلاً للاجتهاد، فهذا غير صحيح، ثم إنه على قولنا أن باب الاجتهاد مفتوح، لا يجوز أبداً أن تحتقر آراء العلماء السابقين، أو أن تُنَزِّل من قدرهم، لأن أولئك تعبوا واجتهدوا، وليسوا بمعصومين، فكونك تقدح فيهم، أو تأخذ المسائل التي يلقونها على أنها نكت تعرضها أمام الناس ليسخروا بهم، فهذا أيضاً لا يجوز، وإذا كانت غيبة الإنسان العادي محرمة، فكيف بغيبة أهل العلم الذين أفنوا أعمارهم في استخراج المسائل من أدلتها، ثم يأتي في آخر الزمان من يقول: إن هؤلاء لا يعرفون، وهؤلاء يفرضون المحال، ويقولون: كذا وكذا، مع أن أهل العلم فيما يفرضونه من المسائل النادرة قد لا يقصدون الوقوع، ولكن يقصدون تمرين الطالب على تطبيق المسائل على قواعدها وأصولها.

*****

٩٩ - سئل الشيخ غفر الله له: ما قولكم فيما يحصل من البعض من قدح في الحافظين النووي وابن حجر، وأنهما من أهل البدع؟ وهل الخطأ من العلماء في العقيدة - ولو كان عن اجتهاد وتأويل - يلحق صاحبه بالطوائف المبتدعة؟ وهل هناك فرق بين الخطأ في الأمور العلمية والعملية؟

فأجاب بقوله: إن الشيخين الحافظين (النووي، وابن حجر) لهما قدم صدق ونفع كبير في الأمة الإسلامية، ولئن وقع منهما خطأ في تأويل بعض نصوص الصفات، إنه لمغمور بما لهما من الفضائل والمنافع الجمَّة، ولا نظن أن ما وقع منهما إلا صادر عن اجتهاد وتأويل سائغ

- ولو في رأيهما -، وأرجو الله تعالى أن يكون من الخطأ المغفور، وأن يكون ما قدماه من الخير والنفع من السعي المشكور، وأن يصدق عليهما قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[202]، والذي نرى أنهما من أهل السنة والجماعة، ويشهد لذلك خدمتهما لسنة رسول الله ﷺ، وحرصهما على تنقيتها مما ينسب إليها من الشوائب، وعلى تحقيق ما دلت عليه من أحكام، ولكنهما خالفا في آيات الصفات وأحاديثها أو بعض ذلك عن جادة أهل السنة، عن اجتهاد أخطئا فيه، فنرجوا الله تعالى أن يعاملهما بعفوه.

* وأما الخطأ في العقيدة فإن كان خطئاً مخالفاً لطريق السلف، فهو ضلال بلا شك، ولكن لا يحكم على صاحبه بالضلال حتي تقوم عليه الحجة، فإذا قامت عليه الحجة، وأصر على خطئه وضلاله، كان مبتدعاً فيما خالف فيه الحق، وإن كان سلفياً فيما سواه فلا يوصف بأنه مبتدع على وجه الإطلاق، ولا بأنه سلفي على وجه الإطلاق، بل يوصف بأنه سلفي فيما وافق السلف، مبتدع فيما خالفهم، كما قال أهل السنة في الفاسق: إنه مؤمن بما معه من الإيمان، فاسق بما معه من العصيان، فلا يعطي الوصف المطلق، ولا ينفي عنه مطلق الوصف، وهذا هوالعدل الذي أمر الله به، إلا أن يصل المبتدع إلى حد يخرجه من الملة، فإنه لا كرامة له في هذه الحال.

* وأما الفرق بين الخطأ في الأمور العلمية والعملية، فلا أعلم أصلاً للتفريق بين الخطأ في الأمور العلمية والعملية، لكن لما كان السلف

(٢٠٢) سورة هود: آية رقم: ١١٤

مجمعين فيما نعلم على الإيمان في الأمور العلمية الحيوية والخلاف فيها إنما هو في فروع من أصولها لا في أصولها، كان المخالف فيها أقل عدداً وأعظم لوماً، وقد اختلف السلف في شيء من فروع أصولها كاختلافهم، هل رأى النبي ﷺ ربه في اليقظة، واختلافهم في اسم الملكين اللذين يسألان الميت في قبره، واختلافهم في الذي يوضع في الميزان أهو الأعمال أم صحائف الأعمال أم العامل؟ واختلافهم هل يكون عذاب القبر على البدن وحده دون الروح؟ واختلافهم هل يسأل الأطفال وغير المكلفين في قبورهم؟ واختلافهم هل الأمم السابقة يسألون في قبورهم كما تسأل هذه الأمة؟ واختلافهم في صفة الصراط المنصوب على جهنم، واختلافهم هل النار تفنى أو مؤبدة؟ وأشياء أخرى، وإن كان الحق مع الجمهور في هذه المسائل، والخلاف فيها ضعيف.

وكذلك يكون في الأمور العملية خلاف يكون قوياً تارة وضعيفاً تارة.

وبهذا تعرف أهمية الدعاء المأثور: [**اللهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوات والأرْضِ عَالِمَ الغَيْبِ والشَهَادَةِ، أنت تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادكَ فيما كَانُوا فيه يَخْتَلفُون، اهْدِني لَمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الحَقِ بإذْنِكَ، إنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**] (٢٠٣).

*****

(٢٠٣) صحيح. رواه مسلم [٧٧٠]، والنسائي [١٦٢٥]، وابن ماجة [١٣٥٧]، وأبو داود [٧٦٧]، والترمذي [٣٤٢٠]، وأحمد (٦ / ١٥٦)، وابن حبان [٢٦٠٠]، والبيهقي (٣ / ٥)، والبغوي في « شرح السنة » [٩٥٢] وقد كان يقوله ﷺ عند افتتاحه للصلاة إذا قام إليها.

١٠٠ – سئل الشيخ رحمه الله عما يحصل من اختلاف الفتيا من عالم لآخر في موضوع واحد، ما مرد ذلك؟ وما موقف متلقي الفتيا؟

فأجاب رحمه الله تعالى: مرد ذلك إلى شيئين:

الأول: العلم، فقد يكون أحد المفتين ليس عنده من العلم ما عند المفتي الآخر، فيكون المفتي الآخر أوسع اطلاعاً منه، يَطَّلعُ على ما لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيه الآخر.

والثاني: الفهم، فإن الناس يختلفون في الفهم اختلافاً كثيراً، قد يكونون في العلم سواء، ولكن يختلفون في الفهم، فيعطي الله تعالى هذا فهماً واسعاً ثاقباً، يفهم مما علم أكثر مما فهمه الآخر، وحينئذ يكون الأكثر علماً والأقوى فهماً أقرب إلى الصواب من الآخر، أما بالنسبة للمستفتي فإنه إذا اختلف عليه عالمان مفتيان فإنه يتبع من يرى أنه أقرب إلى الصواب، إمَّا لعلمه، وإمَّا لوَرَعِه ودينه كما أنه لو كان الإنسان مريضاً، واختلف عليه طبيبان فإنه سوف يأخذ بقول من يرى أنه أقرب إلى الصواب، فإن تساوى عنده الأمران، ولم يرجح أحد المفتين على الآخر، فإنه يخير إن شاء أخذ بهذا، وإن شاء أخذ بهذا، وما اطمأنت إليه نفسه أكثر فليأخذ به.

*****

١٠١ – سئل الشيخ: ما قولكم فيمن يتخذ من أخطاء العلماء طريقا للقدح فيهم ورميهم بالبهتان؟ وما النصيحة التي توجهها لطلبة العلم في ذلك؟

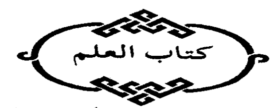
فأجاب بقوله: العلماء – بلاشك – يخطئون ويصيبون، وليس أحد منهم معصوماً، ولا ينبغي لنا، بل ولا يجوز أن نتخذ من



خطئهم سلماً للقدح فيهم، فإن هذا طبيعة البشر كلهم أن يُخْطِئُوا إذا لم يُوَفَّقُوا للصَّواب، ولكن علينا إذا سمعنا عن عالم أو عن داعية من الدعاة أو عن إمام من أئمة المساجد إذا سمعنا خطأ أن نتصل به حتى يتبين لنا، لأنه قد يحصل في ذلك خطأ في النقل عنه، أو خطأ في الفهم لما يقول، أو سوء قصد في تشويه سمعة الذي نقل عنه هذا الشيء، وعلى كل حال فمن سمع منكم عن عالم، أو عن داعية، أو عن إمام مسجد، أو أي إنسان له ولاية، مَنْ سَمِع منه ما لا ينبغي أن يكون، فعليه أن يتصل به وأن يسأله: هل وقع ذلك منه أم لم يقع، ثم إذا كان قد وقع فليبين له ما يرى أنه خطأ، فإما أن يكون قد أخطأ فيرجع عن خطئه، وإما أن يكون هو المصيب، فيبين وجه قوله حتي تزول الفوضى التي قد نراها أحياناً، ولاسيما بين الشباب.

وإن الواجب على الشباب وعلى غيرهم إذا سمعوا مثل ذلك أن يكفوا ألسنتهم، وأن يسعوا بالنصح والاتصال بمن نقل عنه ما نقل حتى يتبين الأمر، أما الكلام في المجالس – ولا سيما في مجالس العامة – أن يقال: ما تقول في فلان؟ ما تقول في فلان الآخر الذي يتكلم ضد الآخرين، فهذا أمر لا ينبغي بثه إطلاقاً، لأنه يثير الفتنة والفوضى، فيجب حفظ اللسان، قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ :[ألاَ أُخْبِرَكَ بِمَلاك ذَلكَ كُله؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، فَأَخَذَ بِلِسَان نَفْسِه، وقَالَ: كُفَّ عَلَيكَ هَذَا، قُلْتُ: يا رسول الله إنا لمؤاخذون بما نتكلم؟! قال: ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يا معاذ، وهَلْ يَكَبُّ النَّاس في النَّار على





وُجُوهِهِم أو قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إلا حَصَائِد أَلْسِنَتِهِمْ][٢٠٤].

وأنصح طلبة العلم وغيرهم أن يتقوا الله، وألا يجعلوا أعراض العلماء والأمراء مطية يركبونها كيفما شئتم، فإنه إذا كانت الغيبة في عامة الناس من كبائر الذنوب، فهي في العلماء والأمراء أشد وأشد، حمانا الله وإياكم عما يغضبه، وحمانا عما فيه العدوان على إخواننا، إنه جواد كريم.

*****

١٠٢ - سئل الشيخ غفر الله له: ما توجيهكم حول ما يحصل من البعض من التفرق والتحزب؟

فأجاب بقوله: لا شك أن التحزب والتفرق في دين الله منهي عنه محذر منه، لقوله تعالى: ﴿ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢٠٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[٢٠٦].

فلا يجوز للأمة الإسلامية أن يتفرقوا أحزاباً، لكل طائفة منهج مغاير لمنهج الأخرى، بل الواجب اجتماعهم على دين الله على منهج واحد، وهو هَدْي النبي ﷺ وخلفائه الراشدين والصحابة المرضيين، لقول

---

(٢٠٤) صحيح لغيره. رواه الترمذي [٢٦١٦]، وابن ماجة [٣٩٧٣]، وعبد الرزاق (١١/١٩٤)، وعبد بن حميد [١١٢ تحقيقي]، وغيرهم من طرق عن أبي وائل عن معاذ بن جبل مرفوعاً.

قلت: وللحديث طرق أخرى عن معاذ بن جبل. ذكرتها بفضل الله في تحقيقي للمصدر الأخير.

(٢٠٥) سورة آل عمران: آية رقم: ١٠٥

(٢٠٦) سورة الانعام: آية رقم: ١٥٩





النبي ﷺ : [عَلَيْكُمْ بِسُنَّتي وسُنَّة الخُلَفَاء الرَّاشِدين المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذ، وإيَّاكُمْ ومُحْدَثَات الأُمُور، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٍ] (٢٠٧).

وليس من هدي النبي ﷺ وخلفائه الراشدين أن تتفرق الأمة أحزاباً، لكل حزب أمير ومنهج، وأمير الأمة الإسلامية واحد، وأمير كل واحد من قبل الأمير العام.

وإنما أمر النبي ﷺ باتخاذ أمير في السفر، لأن المسافرين نازحون عن المدن والقرى التي فيها أمراء من قبل الأمير العام، وربما تحصل مشاكل

---

(٢٠٧) صحيح ثابت. وهو جزء من حديث العرباض بن سارية المشهور.

رواه أبو داود [٤٦٠٧]، والترمذي [٢٦٧٦]، وابن ماجة [٤٢، ٤٣، ٤٤]، والدارمي (١/٤٣-٤٤)، وأحمد (٤/١٢٦، ١٢٧)، وابن حبان [٥ احسان]، وفي «الثقات» (١/٤)، والقاسم (١/٩٥-٩٦، ٩٧)، والطبري في «تفسيره» (١٠/٢١٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» [١٧، ٢٧، ٣١-٣٤، ٤٨، ٥٤، ٥٦، ٥٧]، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/٢٢٠-٢٢١)، (١٠/١١٤-١١٥)، وفي «مستخرجه على مسلم» [١، ٢، ٣، ٤، ٥]، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/١١٤)، وفي «دلائل النبوة» (٦/٥٤١)، وفي «الشعب» (٦/٦٧)، والطبراني في «الكبير» (١٨/٦١٨ .. ٦٢٤)، وفي «الأوسط» [٦٦]، وفي «مسند الشاميين» [٤٣٧، ٤٣٨، ٦٩٧، ٧٨٦، ١١٨٠، ١٣٧٩]، والبغوي [١٠٢]، والمروزي في «السنة» [٦٩، ٧٠، ٧١]، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/٦٩)، واللالكائي [٨٠، ٨١]، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» [٥١، ٦٩]، والخطيب في «الفقيه» [٤٦٥]، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» [٢٣٠٣، ٢٣٠٤، ٢٣٠٥، ٢٣١١]، وغيرهم من طرق عن العرباض بن سارية رضي الله عنه.

قلت: وهو حديث صحيح ثابت، تتابع الأئمة على تصحيحه وقبوله، وقد أطلت النفس في تحقيقه وبيان طرقه في كتابي «القول المبين في الرد على مضعف أحاديث رياض الصالحين» وهو المدعو حسان عبد المنان، فقد أورد على هذا الحديث بعض الشبه السقيمة، وقد رددنا عليه في المصدر المذكور والحمد لله وحده.





لا تقبل التأخير إلى وصول هذه المدن والقرى، أو مشاكل صغيرة لا تحتمل الرفع إلى أمراء المدن والقرى، كالنزول في مكان، والنزوح عنه، وتسريح الرواحل وحبسها، ونحو ذلك، فكان من الحكمة أن يُؤمِر المسافرون أحدهم لمثل هذه الحالات.

ونصيحتي للأمة أن يتفقوا على دين الله ولا يتفرقوا فيه، وإذا رأوا من شخص أو طائفة خروجاً عن ذلك نصحوه، وبينوا له الحق، وحذروه عن المخالفة، وبينوا له أن الاجماع على الحق أقرب إلى السداد والفلاح من التفرق، وإذا كان الخلاف عن اجتهاد سائغ، فإن الواجب ألاَّ تتفرق القلوب، وتختلف من أجل ذلك، فإن الصحابة الكرام ﷺ حصل بينهم خلاف في الاجتهاد في عهد نبيهم ﷺ وبعده، ولم يحصل بينهم اختلاف في القلوب أو تفرق ، فليكن لنا فيهم أسوة، فإن آخر هذه الأمة لن يصلح إلا بما صلح به أولها، وفقنا الله إلى ما يحبه ويرضاه.

*****

١٠٣ – سئل الشيخ رحمه الله تعالى: ما الواجب على العامي ومن ليس له قدرة على طلب العلم؟

فأجاب بقوله: يجب على من لا علم عنده ولا قدرة له على الاجتهاد أن يسأل أهل العلم، لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢٠٨]، ولم يأمر الله تعالى بسؤالهم إلا من أجل الأخذ بقولهم، وهذا هو التقليد، لكن الممنوع في التقليد أن يلتزم مذهباً معيناً، يأخذ به على كل حال، ويعتقد أن ذلك طريقه إلى الله عز وجل فيأخذ

---

(٢٠٨) سورة الأنبياء: آية رقم:٧



به، وإن خالف الدليل.

وأما من له قدرة على الاجتهاد، كطالب العلم الذي أخذ بحظ وافر من العلم، فله أن يجتهد في الأدلة، ويأخذ بما يرى أنه الصواب أو الأقرب للصواب.

وأما العامي وطالب العلم المتبدئ، فيجتهد في تقليد من يرى أنه أقرب إلى الحق، لغزارة علمه، وقوة دينه وورعه.

*****

١٠٤ سئل الشيخ غفر الله له: **من الأصول التي يرجع إليها طالب العلم الشرعي أقوال الصحابة ﷺ فهل هي حجة يعمل بها؟**

فأجاب بقوله: قول الصحابي أقرب إلى الصواب من غيره بلا ريب، وقوله حجة بشرطين:

أحدهما: أن لا يخالف نص كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ.

والثاني: أن لا يخالفه صحابي آخر.

فإن خالف الكتاب أوالسنة فالحجة في الكتاب أو السنة، ويكون قوله من الخطأ المغفور، وإن خالف قول صحابي آخر طلب الترجيح بينهما، فمن كان قوله أرجح، فهو أحق أن يتبع، وطرق الترجيح تعرف إما من حال الصحابي، أو من قرب قوله إلى القواعد العامة في الشريعة، أو نحو ذلك، ولكن هل هذا الحكم عام لجميع الصحابة أو خاص بالخلفاء الراشدين، أو بأبي بكر وعمر ﷺ؟

أما أبو بكر وعمر ﷺ فلا ريب أن قولهما حجة بالشرطين السابقين، وقولهما أرجح من غيرهما إذا خالفهما، وقول أبي بكر

أرجح من قول عمر رضي الله عنهما، وقد روى الترمذي من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: [اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أبِي بَكْرٍ وعُمَرَ][209]، وفي صحيح مسلم من حديث أبي قتادة رضي الله عنه في قصة نومهم عن الصلاة، قال النبي ﷺ: [فَإنْ يُطِيعُوا أبَا بَكْرٍ وعُمَرَ يَرْشُدُوا][210]، وفي صحيح البخاري في باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ أن عمر بن الخطاب قال: [هُمَا المرءَانِ يُقْتَدَى بِهِمَا][211]، يعني رسول الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه.

وأما بقية الخلفاء الراشدين، ففي السنن والمسند من حديث العرباض ابن سارية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: [فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ][212]، وأولى الناس بالوصف هذا الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم فيكون قولهم حجة.

وأما بقية الصحابة، فمن كان معروفاً بالعلم وطول الصحبة فقوله حجة، ومن لم يكن ذلك فمحل نظر، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في أول كتابه «إعلام الموقعين»: أن فتاوى الإمام مبنية على خمسة أصول، منها: فتاوى الصحابة رضي الله عنهم، والعلماء مختلفون فيها، لكن الغالب أو اللازم أن يكون هناك دليل يرجح قوله أو يخالفه، فيعمل بذلك الدليل.

---

(٢٠٩) صحيح. رواه مسلم [٢٨٧٣،٦٨١]، وغيره، وقد سبق تخريجه برقم (١٨١).

(٢١٠) صحيح. سبق تخريجه برقم (١٨٢).

(٢١١) صحيح. رواه البخاري [٧٢٧٦]، وأحمد (٣/ ٤١٠)، وابن أبي شيبة (٦/ ٤٦٦)، والبيهقي في «الكبرى» (٥/ ١٥٩).

(٢١٢) صحيح. سبق تخريجه برقم (٢٠٧) فراجعه غير مأمور.



رسالة

من محمد الصالح العثيمين إلى أخيه المكرم ....:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

جواباً لكتابكم ذي الرقم... والتاريخ ٢٤- ٢٥/٩/١٤٠٩هـ

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وأسأل الله تعالى أن يحبك كما أحببتني فيه، وأن يجعلنا جميعاً من دعاة الحق وأنصاره، ويوفقنا للصواب في الاعتقاد والقول والعمل.

ثم إن كتابكم المذكور تضمن ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: إذا تبين لكم رجحان قول كنت تفتون أو تحكمون بخلافه، فهل يجوز لكم الرجوع فيما أفتيتم به أو حكمتم؟

المسألة الثانية: إذا تبين لكم رجحان قول كنت تفتون أو تحكمون بخلافه، فهل يجوز لكم مستقبلاً أن تفتوا أو تحكموا بما تبين لكم رجحانه؟

المسألة الثالثة: هل يجوز للإنسان في مسائل الخلاف أن يفتي لشخص بأحد القولين ولشخص آخر بالقول الثاني؟

والجواب: على هذه المسألة العظيمة - بعون الله وتوفيقه - أن نقول مستمدين من الله تعالى الهداية والصواب:

أما المسألة الأولى: فمتى تبين للإنسان ضعف ما كان عليه من الرأي وأن الصواب في غيره، وجب عليه الرجوع عن رأيه الأول، إلى ما يراه صواباً، بمقتضى الدليل الصحيح، وقد دَلَّ على وجوب الرجوع كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وقول الخلفاء الراشدين، وإجماع





المسلمين، وعمل الأئمة.

أما كتاب الله تعالى فمن أدلته قوله تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحُكْمُهُ إلى الله﴾(٢١٣) فمتى كان الحكم في مسائل الخلاف إلى الله وجب الرجوع فيها إلى ما دَلَّ عليه كتاب الله، وقال تعالى ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾(٢١٤)، وقال تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾(٢١٥)، ومن سبيل المؤمنين الرجوع إلى ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وأما السنة فمن أدلتها قوله ﷺ: [إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرى اخْتِلافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسُنةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي](٢١٦)، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وأما أقوال الخلفاء الراشدين فمن أشهرها قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المشركة وهي زوج وأم وإخوة لأم وإخوة أشقاء، حيث منع الأخوة الأشقاء من الميراث لكونهم عصبة، وقد استغرقت الفروض التركة، ثم قضى بعد ذلك بتشريكهم مع الأخوة لأم، فقال له رجل: قد قضيت في هذا عام الأول بغير هذا، فقال: وكيف قضيت، قال: جعلته للإخوة للأم، ولم تجعل للإخوة من الأب والأم

---

(٢١٣) سورة الشورى: آية رقم: ١٠

(٢١٤) سورة النساء: آية رقم: ٥٩

(٢١٥) سورة النساء: آية رقم: ١١٥

(٢١٦) جزء من حديث العرباض بن سارية. وسبق تخريجه برقم (٢٠٧).



شيئاً، قال عمر: ذلك على ما قضينا، وهذا على ما نقتضي. أخرجه ابن أبي شيبة (١١ / ٢٥٣)، وقال ﷺ في كتابه لأبي موسى في القضاء: لا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك، فَهُدِيت فيه لِرُشْدِكَ أن تراجع فيه الحق، فإن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل.

وأما الإجماع فقال الشافعي رحمه الله: أجمع المسلمون على أن الحق من اسْتَبَانَتْ له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس.

وأما عمل الأئمة فها هوالإمام أحمد يقول القول ويقول بخلافه، فتارة يصرح بالرجوع كما صرح بالرجوع، عن القول بوقوع طلاق السكران، وتارة يصرح أصحابه برجوعه عنه، كما صرح الخلال برجوع الإمام عن قوله: فيمن ابتدأ مسح خفيه مقيماً ثم سافر أنه يتم مسح مقيم إلى القول: بأنه يتم مسح مسافر، وتارة لا يُصَرِح ولا يُصَرَح عنه برجوع، فيكون له في المسألة قولان.

والمهم أنه متى تبين للإنسان ضعف رأيه الأول، وجب عليه الرجوع عنه، ولكن لا يسوغ له نقض حكمه الأول، ولا يلزمه إخبار المستفتي بالرجوع، لأن كلاً من الرأيين الأول والثاني صادر عن اجتهاد، والاجتهاد لا ينقض بمثله وظهور خطأ اجتهاده الأول لا يمنع احتمال خطئه في الثاني، فقد يكون الاجتهاد الأول هو الصواب في الواقع وإن ظهر له خلافه، لأن الإنسان غير معصوم في اجتهاده لا الثاني ولا الأول.



وأما **المسألة الثانية**: فجوابها يعلم من جواب المسألة الأولى، وهو أنه يجب على الإنسان الرجوع إلى ما تبين له أنه الصواب، وإن كان يفتي أو يحكم بخلافه سابقاً.

وأما **المسألة الثالثة**: فإن كان في المسألة نص كان الناس فيها سواء، ولا يفرق فيها بين شخص وآخر، وأما المسألة الاجتهادية فإنها مبنية على الاجتهاد، وإن كان الاجتهاد فيها في الحكم، فكذلك في محله، ولهذا لما رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أن الناس كثر شربهم الخمر زادهم في عقوبتها، ولما رآهم تتابعوا في الطلاق الثلاث أمضاه عليهم، ولهذا ما يؤيده من كلام الله تعالى، وما جاءت به السنة، ففي كتاب الله تعالى يقول جل ذكره: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾(٢١٧)، فعاملهم الله بما تقتضيه حالهم، وحرَّمَ عليهم هذه الطيبات ببغيهم وظلمهم ﴿**فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ**﴾(٢١٨).

وفي السنة جاء قتل شارب الخمر في الرابعة إذا تكررت عقوبته ثلاثاً ولم يقلع، مع أن عقوبة شارب الخمر في الأصل لا تبلغ القتل.

فإذا كانت حال المستفتي أو المحكوم عليه تقتضي أن يعامل معاملة خاصة عمل بمقتضاها ما لَم يخالف النص، وكذلك إذا كان الأمر قد

---

(٢١٧) سورة الأنعام: آية رقم: ١٤٦

(٢١٨) سورة النساء: آية رقم: ١٦٠





وقع وكان في إفتائه بأحد القولين مشقة، وأفتى بالقول الثاني فلا حرج، مثل أن يطوف في الحج أو العمرة بغير وضوء، ويشق عليه إعادة الطواف لكونه نزح عن مكة أو لغير ذلك، فيفتي بصحة الطواف بناء على القول بعدم اشتراط الوضوء فيه، وكان شيخنا عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله يفعل ذلك أحياناً ويقول لي: هناك فرق بين من فَعَل ومن سيفعل، وبين ما وقع وما لم يقع.

وفي مقدمات (المجموع) للنووي رحمه الله (١ /٨٨) ط المكتبة العالمية، قال الصمري: إذا رأى المفتي المصلحة أن يفتي العامي بما فيه تغليظ، وهو مما لا يعتقد ظاهره، وله فيه تأويل جاز ذلك زجراً له، كما رُويَ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سُئِلَ عن توبة القاتل فقال: لا توبة له، وسأله آخر فقال له: له توبة، ثم قال: أما الأول فرأيت في عينه إرادة القتل فمنعته، وأما الثاني مستكيناً قد قتل فلم أقنطه.

وهذا الذي ذكرناه لا يكون مطرداً في كل صورة، فلو أراد قاضي أو مفت أن يأخذ ميراث الإخوة مع الجد بقول من يرى توريثهم إذا رأى أنَّهم فقراء وأن التركة كثيرة، ويقول من لا يرى توريثهم إذا كان المال قليلاً، وهم أغنياء لم يكن ذلك سائغاً، لأن في هذا إسقاط حق الغير لمصلحة الآخرين بلا موجب شرعي.

هذا والله أسأل أن يلهمنا جميعاً الصواب في القول والعمل والاعتقاد.





الفصل الثالث : فوائد

الفائدة الأولى

١ – لابد لطالب العلم من مراعاة عدة أمور عند طلبه لأي علم من العلوم:

أولاً: حفظ متن مختصر فيه، فمثلاً إذا كنت تطلب النحو فاحفظ مختصراً فيه، إن كنت مبتدئ فلا أرى أحسن من متن الآجرومية، لأنه واضح وجامع وحاصر وفيه بركة، ثم متن ألفية ابن مالك، لأنَّها خلاصة علم النحو كما قال هو نفسه:

احص من الكفاية الخلاصة ‏ ‏ ‏ ‏ كما اقتضى غنى بلا خصاصة

وفي الفقه: احفظ زاد المستقنع، لأن هذا الكتاب مخدوم بالشروح والحواشي والتدريس، وإن كان بعض المتون الأخرى أحسن منه من وجه، لكن هو أحسن منها من وجه آخر، من حيث كثرة المسائل الموجودة فيه، ومن حيث أنه مخدوم.

وفي الحديث: متن عمدة الأحكام، وإن ترقيت فبلوغ المرام، وإن كنت تقول: إما هذا أو هذا، فبلوغ المرام أحسن، لأنه أكثر جمعاً للأحاديث، ولأن الحافظ ابن حجر رحمه الله بين درجة الحديث.

وفي التوحيد: من أحسن ما قرأنا كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، في الأسماء والصفات من أحسن ما ألف فيما قرأت العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، فهو كتاب جامع مبارك مفيد – وهلم جرا –، خُذْ من كل فن تطلبه كتاباً مختصراً فيه واحفظه.



ثانيا: ضبطه وشرحه على شيخ متقن، وتحقيق ألفاظه، وما كان زائداً أو ناقصاً.

ثالثاً: عدم الاشتغال بالمطولات، وهذه الفقرة مهمة لطالب العلم، لابد أن يتقن المختصرات أولاً، حتى ترسخ العلوم في ذهنه، ثم يفيض إلى المطولات، لكن بعض الطلبة قد يغرب فيطالع المطولات، ثم إذا جلس مجلساً قال: قال صاحب المغني، قال صاحب المجموع، قال صاحب الإنصاف، قال صاحب الحاوي، ليظهر أنه واسع الاطلاع، وهذا خطأ، نحن نقول: ابدأ بالمختصرات حتى ترسخ العلوم في ذهنك، ثم إذا مَنَّ الله عليك، فاشتغل بالمطولات، وقياس ذلك بالأمر المحسوس أن ينزل من لم يتعلم السباحة إلى بحر عميق، فإنه لا يستطيع أن يتخلص فضلاً عن أن يتقن.

رابعاً: لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب، فهذا من باب الضجر، وهذه آفة عظيمة تقطع على الطالب طلبه، وتضيع عليه أوقاته، كل يوم له كتاب، هذا خطأ، إذا قررت الكتاب الفلاني فاستمر، لا تقول: أقرأ كتاباً أو فصلاً من هذا الكتاب ثم أنتقل للآخر، فإن هذا مضيعة للوقت.

خامساً: اقتناص الفوائد والضوابط العلمية، الفوائد التي لا تكاد تطرأ على الذهن، أو التي يندر ذكرها والتعرض لَهَا، أو التي تكون مستجدة تحتاج إلى بيان الحكم فيها، هذه اقْتَنصْهَا، قيدها بالكتابة، لا تقول: هذا أمر معلوم عندي ولا حاجة أن أقيدها، فإنك سرعان ما تنسى، وكم من فائدة تمر بالإنسان فيقول: هذه



سهلة ما تحتاج إلى قيد، ثم بعد فترة وجيزة يتذكرها ولا يجدها، لذلك احرص على اقتناص الفوائد التي يندر وقوعها، أو يتجدد وقوعها، وأحسن ما رأيت في مثل هذه كتاب «بدائع الفوائد» للعلامة ابن القيم، فيه بدائع العلوم ما لا تكاد تجده في كتاب آخر، فهو جامع في كل فن، كلما طرأ على باله مسألة أو سمع فائدة قيد ذلك، ولِهَذا تجد فيه من علم العقائد، والفقه، والحديث، والتفسير، والنحو، والبلاغة.

أيضاً احرص على الاهتمام بالضوابط، ومن الضوابط ما يذكره العلماء تعليلاً للأحكام، فإنَّ كل التعليلات للأحكام الفقهية تعتبر ضوابط، لأنها تُبْنَى عليها الأحكام، فهذه احتفظ بِهَا، وسمعت أن بعض الإخوان الآن يَتَتَبَّعُ هذه الضوابط في الروض المربع ويحررها، وقلت من الأحسن أن يقوم طائفة بِهَذا، تتتبع الروض المربع من أوله إلى آخره كل ما ذكر علة يقيدها، لأن كل علة يبني عليها مسائل كثيرة، إذ أن العلم له ضابط، ضابط يدخل تحته جزئيات كثيرة، فمثلاً: إذا شك في طهارة ماء أو بنجاسته فإنه يبني على اليقين، هذه على كل حال تعتبر حكماً وتعتبر ضابطاً، أيضاً يعلل بأن الأصل بقاء ما كان على ما كان، فإذا شك في طهارة طاهر فهو طاهر، أو في طهارة نجس فهو نجس، لأن الأصل بقاء ما كان على ما كان، وهذا لو أن الإنسان كلما مر عليه مثل هذه التعليلات حررها وضبطها، ثم حاول في المستقبل أن يبني عليها مسائل جزئية لكان في هذا فائدة كبيرة له ولغيره.





سادساً: جمع النفس للطلب، فلا يشتتها يميناً ويساراً، اجمع النفس على الطلب ما دمت مقتنعاً بأن هذا منهجك وسبيلك، وأيضاً اجمع نفسك على الترقي فيه لا تبقى ساكناً، فَكِّر فيما وصل إليه علمك من المسائل والدلائل حتى تَتَرقَّى شيئاً فشيئاً، واسْتَعِنْ بمن تثق به من زملائك وإخوانك فيما إذا احتاجت المسألة إلى استعانة، ولا تستحي أن تقول: يا فلان ساعدني على تحقيق هذه المسألة بمراجعة الكتب، الحياء لا ينال العلم به أحد، فلا ينال العلم مستحيي ولا مستكبر.

الفائدة الثانية

مما ينبغي لطالب العلم مراعاة تلقي العلم عن الأشياخ، لأنه يستفيد بذلك فوائد عدة:

١ - **اختصار الطريق**، فبدلاً من أن يذهب يقلب في بطون الكتب، وينظر ما هو القول الراجح، وما سبب رجحانه، وماهو القول الضعيف، وما سبب ضعفه، بدلاً من ذلك يمد إليه المعلم ذلك بطريق سهل يقول: اختلف أهل العلم في كذا على قولين أو ثلاثة، والراجح كذا، والدليل كذا، وهذا لا شك نافع لطالب العلم.

٢ - **السرعة في الإدراك**، فطالب العلم إذا كان يقرأ على عالم، فإنه يدرك بسرعة أكثر ما لو ذهب يقرأ الكتب، لأنه إذا قرأ في الكتب تمر عليه العبارات المُشْكَلَة والغامضة، فيحتاج إلى التدبر، وتكرار العبارة مما يأخذ منه الوقت والجهد، وربما فهمها على وجه خطأ، وعمل بهَا.

٣ - **الربط بين طلاب العلم والعلماء الربانيين**، لذلك القراءة على العلماء أجدى وأفضل من قراءة الإنسان لنفسه.



الفائدة الثالثة

إذا دعت الحاجة للسؤال فليحسن طالب العلم السؤال، أمَّا إذا لم تدعو الحاجة فلا يسأل، لأنه لا ينبغي للإنسان أن يسأل إلا إذا احتاج هو، أو ظن أن غيره يحتاج إلى السؤال، قد يكون مثلاً في درس، وهو فاهم الدرس، ولكن فيه مسائل صعبة تحتاج إلى بيانهَا لبقية الطلبة، فيسأل من أجل حاجة غيره، والسائل لحاجة غيره كالمعلم، لأن النبي ﷺ لما جاء جبريل وسأله عن الإيمان، والإحسان، والإسلام، والساعة، وأشراطها، قال: [هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمكُم دِينَكُمْ][219]، فإذا كان الباعث على السؤال حاجة السائل فسؤاله وجيه، أو حاجة غيره وسأل ليعلم غيره فهذا أيضاً طيب، أما إذا سأل ليقول الناس: ما شاء الله فلان عنده حرص على العلم، كثير السؤال، فهذا غلط، وعلى العكس من ذلك يقول: لا أسأل حياءً، فالثاني مُفَرِّطٌ والأول مُفْرِطٌ، وخير الأمور الوسط.

كذلك ينبغي أن يكون عند طالب العلم حسن الاستماع، وصحة

---

(٢١٩) متفق عليه عن أبي هريرة ﷺ. أخرجه البخاري [٥٠، ٤٤٩٩]، وفي «خلق أفعال العباد» [٣٧]، ومسلم [٩، ١٠]، وأبو داود [٤٦٨٦]، وابن ماجة [٦٤]، وأحمد (٢/ ٤٢٦)، وإسحاق ابن راهويه [١٦٥، ١٦٦، ١٦٧]، وغيرهم من حديثه ﷺ مرفوعاً، وله شاهد من حديث عمر بن الخطاب ﷺ رواه البخاري في «خلق أفعال العباد» [٣٧]، ومسلم [٨]، والنسائي في [٤٩٨٨]، وأبو داود [٤٦٩٥، ٤٦٩٦]، والترمذي [٣٨٣٨]، وابن ماجة [٦٣]، وأحمد (١/ ٥٢)، وابن حبان [١٦٨]، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٤٥)، والآجري في «الشريعة» [٢٠٤، ٢٠٥]، والطيالسي [٢١]، وأبو خزيمة [٢٥٠٤]، وغيرهم عنه ﷺ.

قلت: وفي الباب عن أنس بن مالك وجرير البجلي وابن عباس وأبي عامر الأشعري ﷺ.

الفهم للجواب، فبعض الطلبة إذا سأل وأجيب، تجده يستحي أن يقول: ما فهمت، والذي ينبغي لطالب العلم أنه يقول: ما فهمت لكن بأدب.

الفائدة الرابعة

الحفظ ينقسم إلى قسمين: قسم غريزي يهبه الله تعالى لمن يشاء، فتجد الإنسان تمر عليه المسألة والبحث فيحفظه، ولاينساه، وقسم آخر كسبي، بمعنى أن يُمَرِّنَ الإنسان نفسه على الحفظ، ويتذكر ما حفظ، فإذا عَوَّدَ نفسه تذكر ما حفظ، وسهل عليه حفظه.

الفائدة الخامسة

المجادلة والمناظرة نوعان:

١ – **مجادلة مُماراة**: يُمَارِي بذلك السفهاء، ويجاري العلماء، ويريد أن ينتصر قوله، فهذه مذمومة.

٢ – **مجادلة لإثبات الحق** وإن كان عليه، فهذه محمودة مأمور بِهَا، وعلامة ذلك – أي: المجادلة الحقة – أن الإنسان إذا بان له الحق اقتنع وأعلن الرجوع، أما المجادل الذي يريد الانتصار لنفسه، فتجده لو بان الحق، وظاهرها الحق مع خصمه، يورد إيرادات يقول: لو قال قائل، ثم إذا أجيب، قال: لو قال قائل نعم إذا أجيب، قال: لو قال قائل، ثم تكون سلسلة لا منتهى لَهَا، ومثل هذا عليه خطر ألا يقبل قلبه الحق، لا بالنسبة للمجادلة مع الآخر، ولكن في خلوته، ربما يورد الشيطان عليه هذه الإيرادات، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ



يعمهون ﴾(٢٢٠)، وقال الله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾(٢٢١)، فعليك يا أخي بقبول الحق سواء مع مجادلة غيرك أو مع نفسك، متى تبين فقل: سمعنا وأطعنا، ولهذا تجد الصحابة يقبلون ما حكم به الرسول ﷺ، أو ما أخبر به دون أن يوردوا عليه الاعتراضات.

فالحاصل أن المجادلة إذا كان المقصود بهَا إثبات الحق وإبطال الباطل فهي خير، وتعودها وتَعَلُّمُهَا لاسيما في وقتنا هذا، فإنه كثر فيه الجدال والمراء، حتى أن الشيء يكون ثابتاً وظاهراً في القرآن والسنة، ثم يورد عليه إشكالات، وبعض الناس يتحرج من المجادلة حتى وإن كان حقاً استدلالاً بحديث: [وأَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ في رَبَضِ الجَنَّة، لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وإِنْ كَانَ مُحِقّاً](٢٢٢)، فيترك هذا الفعل، قلنا: من ترك المراء في دين الله فليس بمحق إطلاقاً، لأن هذا هزيمة للحق، لكن قد يكون محقاً إذا كان تخاصمه هو وصاحبه في شيء ليس له علاقة بالدين، مثلاً قال: رأيت فلاناً في السوق، ويقول الآخر: بل رأيته في المسجد، ويحصل بينهما جدال وخصام، فهذه هي المجادلة المذكورة في الحديث، أما من ترك المجادلة في نصرة الحق، فليس بمحق إطلاقاً، فلا يدخل في الحديث.

---

(٢٢٠) سورة الأنعام: آية رقم: ١١٠

(٢٢١) سورة المائدة: آية رقم: ٤٩

(٢٢٢) حسن لغيره. رواه أبو داود [٤٨٠٠] عن أبي أمامة ﷺ، ولكن في سنده ضعف، ولكن للحديث شاهد من حديث أنس بن مالك مرفوعاً. رواه الترمذي [١٩٩٣]، وابن ماجة [٥١]، ولكن في سنده ضعف كذلك، وله شاهد ثالث من حديث مالك بن أوس ﷺ، وفيه مقال.

قلت: ولكن هذا الحديث أحد أمثلة مرتبة الحديث [الحسن بشواهده]، وقد حسنه لذلك الألباني في «الصحيحة» [٢٧٣] فراجعه غير مأمور.



الفائدة السادسة

من الأمور التي ينبغي لطالب العلم أن يهتم بهَا المذاكرة، والمذاكرة نوعان:

١ – **مذاكرة مع النفس**: بأن تجلس مثلاً جلسة وحدك، ثم تعرض مسألة من المسائل، أو تكون مسألة قد مَرَّتْ عليك، ثم تأخذ في محاولة ترجيح ما قيل في هذه المسألة بعضها على بعض – أي: ترجيح بعض الأقوال على بعض – في هذه المسألة، وهذه سهلة على الإنسان، وتساعد على مسألة المناظرة السابقة.

٢ – **مذاكرة مع الغير**: فهي أيضاً واضحة، يختار من إخوانه الطلبة من يكون عوناً له على طلب العلم، مفيداً له، فيجلس معه ويتذاكرون، يقرأ مثلاً ما حفظاه، كل واحد يقرأ على الآخر قليلاً، أو يتذاكرون في مسألة من المسائل بالمراجعة، أو بالمفاهمة إن قدرا على ذلك، فإن هذا مما ينمي العلم ويزيده، لكن إياك والشغب والصلف، لأن هذا لا يفيد.

الفائدة السابعة

كراهية التزكية والمدح والتكبر على الخلق:

وهذه يبتلي بهَا بعض الناس فيزكي نفسه، ويرى أن ما قاله هو الصواب، وأن غيره إذا خالفه فهو مخطئ، وما أشبه ذلك، كذلك حب المدح تجده يسأل عما يقال عنه، فإذا وجد أنَّهم مدحوه انتفخ وزاد انتفاضه، حتى يعجز جلده عن تحمل بدنه، كذلك التكَبُّر على الخلق، بعض الناس – والعياذ بالله – إذا أتاه الله علماً تَكبَّرَ، الغَنَيُّ بالمال ربما



يتَكَبَّر، ولهذا جعل النبي ﷺ العَائِلُ المُسْتَكَبِّرُ منَ الذينَ لا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ يَومَ القيامَةِ، ولا يُزَكِّيهِمْ، ولا يَنْظُرُ إلَيْهِم، ولَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ[٢٢٣]، لأنه ليس عنده ما يوجب الكبرياء، ولكن العالم لا ينبغي أن يكون كالغني كلما ازداد علماً ازداد تكبُّراً، بل ينبغي العكس، كلما ازداد علماً ازداد تواضعاً، لأن من العلوم التي يقرأها أخلاق النبي ﷺ، وأخلاقه كلها تواضع للحق وتواضع للخلق، لكن على كل حال إذا تعارض التواضع للحق مع التواضع للخلق أيهما يقدم؟

يقدم التواضع للحق، فمثلاً لو كان هناك إنسان يسب الحق، ويفرح بمعاداة من يعمل به، فهنا لا تتواضع له، تواضع للحق، وجادل هذا الرجل حتى وإن أهانك، أو تكلم فيك، فلا تهتم به، فلا بُدَّ من نصرة الحق.

الفائدة الثامنة

زكاة العلم تكون بأمور:

الأمر الأول: نشر العلم: نشر العلم من زكاته، فكما يَتَصَدَّقُ الإنسان بشيء من ماله، فهذا العالم يتصدق بشيء من علمه، وصَدَقَةُ العِلْمِ أبقى دوماً، وأقَلُّ كُلْفَةً ومؤنة، أبقى دوماً، لأنه ربما كلمة من عالم تُسمَعُ، ينتفع بِهَا أجيال من الناس، وما زلنا الآن ننتفع بأحاديث أبي هريرة ﷺ، ولم ننتفع بدرهم واحد من الخلفاء الذين كانوا في

---

(٢٢٣) فقد قال رسول الله ﷺ: [ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر]. رواه مسلم [١٠٧]، والنسائي في «الكبرى» (٤/ ٢٦٩/ ٧١٣٨)، وأحمد (٢/ ٤٨٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٦١/ ١٦٤١٨)، وفي «شعب الإيمان» (٤/ ٣٦٠/ ٥٤٠٥)، وأبو يعلى [٦١٩٧]، وغيرهم عن أبي هريرة ﷺ.





عهده، وكذلك العلماء ننتفع بكتبهم، ومعهم زكاة وأي زكاة، وهذه الزكاة لا تُنْقِصُ العِلْمَ بل تزيده، تزيد بكثرة الإنفاق منه.

الأمر الثاني: العمل به، لأن العمل به دعوة إليه بلا شك، وكثير من الناس يتأسون بالعالم، بأخلاقه وأعماله أكثر مما يتأسون بأقواله، وهذا لا شك زكاة.

الأمر الثالث: الصدع بالحق: وهذا من جملة نشر العلم، ولكن النشر قد يكون في حال السلامة، وحال الأمن على النفس، وقد يكون في حال الخوف على النفس، فيكون صدَّاعاً بالحق.

الأمر الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: لا شك أن هذا من زكاة العلم، لأن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عارف للمعروف وعارف للمنكر، ثم قائم بما يجب عليه من هذه المعرفة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفائدة التاسعة

موقف طالب العلم مِنْ وهْمِ وخطأ العلماء، هذا الموقف له جهتان:

الأولى: تصحيح الخطأ، وهذا أمر واجب، يجب على من عثر على وَهْم إنسان – ولو كان من أكبر العلماء – أن ينبه على هذا الوهم وعلى هذا الخطأ، لأن بيان الحق أمر واجب، وبالسكوت يمكن أن يضيع الحق لاحترام من قال بالباطل، لأن احترام الحق أولى بالمراعاة.

لكن هل يصرح بقائل الوهم أو الخطأ؟ أو يقول: توَهَّمَ بعض الناس فقال: كذا وكذا؟

الجـــواب: ينظر لما تقتضيه المصلحة، قد يكون من المصلحة ألا





يصرح، كما لو كان يتكلم عن عالم مشهور في عصره، موثوق عند الناس، محبوب إليهم، يقول: قال فلان: كذا وكذا، وهذا خطأ، فإن العامة لا يقبلون كلامه، بل يسخرون منه، ولا يقبلون الحق، ففي هذه الحال ينبغي أن يقول: من الخطأ أن يقول القائل: كذا وكذا، ولا يقول فلان، وقد يكون هذا الرجل الذي توهم متبوعاً، يتبعه شرذمة من الناس، وليس له قدر في المجتمع، فحينئذ يُصَرِّحُ لئلا يَغْتَرَّ الناس به، فيقول: قال فلان: كذا وكذا، وهو خطأ.

الثانية: أن يقصد بذلك بيان معايبه، لا بيان الحق من الباطل، وهذه تقع من إنسان حاسد — والعياذ بالله — يتمنى أن يجد قولاً ضعيفاً أو خطأ لشخص ما فينشره بين الناس، ولهذا نجد أهل البدع يتكلمون في شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وينظرون إلى أقرب شيء يمكن أن يُقْدَح به، فينشرونه ويعيبونه، مثلاً يقولون: خالفت الإجماع في أن الطلاق الثلاث واحدة، فيقولون: هذا شاذ، ومن شَذَّ في النار، وأمثال هذا كثير.

المهم أن يكون قصدك من البيان إظهار الحق، ومَن كان قصده الحق وُفِّقَ لقبوله، أما من كان قصده أن يظهر عيوب الناس، **فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوْف بَيْته**، فإذا أعثرت على وهم عالم، حاول أن تدفع اللوم عنه، وأن تذب عنه، لاسيما إذا كان من العلماء المشهور لهم بالعدالة والخير ونصح الأمة.



الفائدة العاشرة

في المقصود ببركة العلم:

قبل بيان المقصود بالبركة في العلم لابد أن نعرف البركة، فهي كما يقول العلماء: «الخَيْرُ الكثيرُ الثَّابِتُ» ويعيدون ذلك إلى اشتقاق هذه الكلمة، فإنَّهَا من البركة وهي مجمع الماء، والبركة التي هي مجمع الماء هي شيء واسع، ماؤه كثير ثابت، فالبركة هي الخيرات الكثيرة الثابتة، من كل شيء، من المال، ومن الولد، ومن العلم، وكل شيء أعطاه الله عز وجل لك، تسأل الله سبحانه البركة فيه، لأن الله عز وجل إذا لم يبارك لك فيما أعطاك، حرمت خيراً كثيراً.

ما أكثرالناس الذين عندهم المال الكثير، وهم في عداد الفقراء، لماذا؟! لأنهم لا ينتفعون بمالهم، تجد عندهم من الأموال مالا يحصى، لكن يقصر على أهله في النفقة وعلى نفسه، ولا ينتفع بماله، والغالب أن من كانت هذه حاله وبخل بما يجب عليه أن يسلط الله على أمواله آفات تذهبها، فكثير من الناس عنده أولاد لكن أولاده لم ينفعوه، عندهم عقوق واستكبار على الأب، حتى إنه – أي: الولد – يجلس إلى صديقه الساعات الطويلة يتحدث إليه، ويأنس به، ويفضي إليه أسراره، لكنه إذا جلس عند أبيه فإذا هو كالطير المحبوس في القفص – والعياذ بالله – لا يأنس بأبيه، ولايتحدث إليه، ولا يفضي إليه بشيء من أسراره، ويستثقل حتى رؤية والده، فهؤلاء لم يبارك لهم في أولادهم.

أما البركة في العلم فتجد بعض الناس قد أعطاه الله علماً كثيراً،



لكنه بمنْزلة الأمي، فلا يظهر أثر العلم عليه في عبادته، ولا في أخلاقه، ولا في سلوكه، ولا في معاملته مع الناس، بل قد يُكسبه العلم استكباراً على عباد الله، وعلواً عليهم واحتقاراً لهم، وما عَلِمَ هذا أن الذي مَنَّ عليه بالعلم هو الله، وأن الله لو شاء لكان مثل هؤلاء الجهال، تجده قد أعطاه الله علماً، ولكن لم ينتفع الناس بعلمه، لا بتدريس، ولابتوجيه، ولا بتاليف، بل هو منحصر على نفسه، لم يبارك الله له في العلم، وهذا بلا شك حرمان عظيم، مع أن العلم من أبرك ما يعطيه الله العبد، لأن العلم إذا علمته غيرك، ونشرته بين الأمة، أُجِرْت على ذلك من عدة وجوه:

أولاً: أن في نشرك العلم نشراً لدين الله عز وجل فتكون من المجاهدين، فالمجاهد في سبيل الله يفتح البلاد بلداً بلداً حتي ينشر فيها الدين، وأنت تفتح القلوب بالعلم حتى تنتشر شريعة الله عز وجل.

ثانياً: من بركة نشر العلم وتَعْليمه أن فيه حفظاً لشريعة الله وحماية لها، لأنه لولا العلم لم تحفظ الشريعة، فالشريعة لا تحفظ إلا برجالها رجال العلم، ولا يمكن حماية الشريعة إلا برجال العلم، فإذا نشرت العلم، وانتفع الناس بعلمك، حصل في هذا حماية لشريعة الله، وحفظ لها.

ثالثاً: فيه أنك تحسن إلى هذا الذي عَلَّمْتَهُ، لأنك تُبَصِّرُهُ بدين الله عز وجل، فإذا عَبَدَ الله على بصيرة، كان لك من الأجر مثل أجره، لأنك أنت الذي دللته على الخير، والدَّالُّ على الخير كفاعل الخير، فالعلم في نشره خير وبركة لناشره، ولمن نُشِرَ إليْه.





رابعاً: إن في نشر العلم وتعليمه زيادة له، عِلْمُ العالم يزيد إذا عَلَّم الناس، لأنه استذكار لما حفظ، وانفتاح لما لم يحفظ، وما أكثر ما يستفيد العالم من طلبة العلم، فطلابه الذين عنده أحياناً يأتون له بمعان ليست له على بال، ويستفيد منهم وهو يعلمهم، وهذا شيء مشاهد.

ولهذا ينبغي للمعلم إذا استفاد من الطالب، وفتح له الطالب شيئاً من أبواب العلم ينبغي له أن يشجع الطالب، وأن يشكره على ذلك، خلافاً لما يظنه بعض الناس أن الطالب إذا فتح عليه، وبَيَّنَ له شيئاً كان خفيّاً عليه، تضايق المعلم، يقول: هذا صبي يُعَلِّم شيخاً فيتضايق، ويتحاشى بعد ذلك أن يتناقش معه، خوفاً من أن يطلعه على أمر قد خفي عليه، وهذا من قصور علمه، بل من قصور عقله، لأنه إذا مَنَّ الله عليك بطلبة يُذَكِّرُونَكَ ما نسيت، ويفتحون عليك ما جهلت، فهذا من نعمة الله عليك، فهذا من فوائد نشر العلم أنه يزيد إذا عَلَّمتَ العلم، كما قال القائل: مقارناً بين المال والعلم، يقول في العلم:

يَزِيدُ بكثْرَةِ الإِنْفَاقِ منْهُ　　　وَيَنْقُصُ إنْ بهِ كَفَّاً شَدَدْتُ

إذا اشتددت به كفّاً، وأمسكته نقص، أي: تنساه ولكن إذا نشرته يزداد.

وينبغي للإنسان عند نشر العلم أن يكون حكيماً في التعليم، بحيث يلقي على الطلبة المسائل التي تحتملها عقولهم، فلا يأتي إليهم بالمعضلات، بل يُرَبِيهم بالعلم شيئاً فشيئاً.





ولهذا قال بعضهم في تعريف العالم الرباني: العالم الرباني هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، ونحن نعلم جميعاً أن البناء ليس يؤتى به جميعاً حتى يوضع على الأرض فيصبح قصراً مشيداً، بل يبنى لبنة لبنة، حتى يكتمل البناء، فينبغي للمعلم أن يراعي أذهان الطلبة، بحيث يلقي إليهم ما يمكن لعقولهم أن تدركه، ولهذا يؤمر الناس أن يحدثوا الناس بما يعرفون، قال ابن مسعود ﷺ: [إِنَّكَ لَنْ تُحَدِّثَ قَوْماً حَدِيثاً لا تَبْلُغُه عُقُولُهُمْ إلا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً] (٢٢٤).

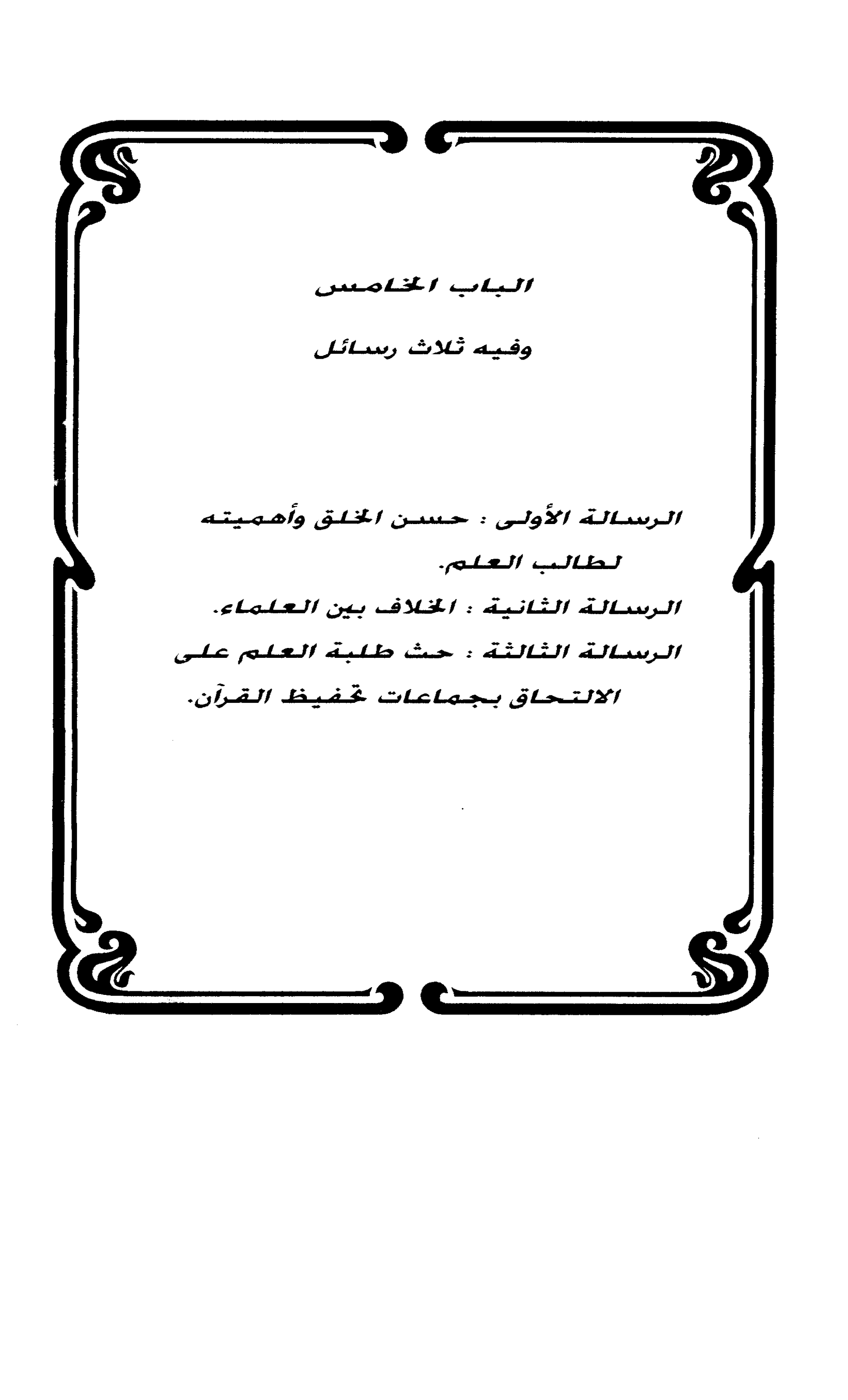
كذلك أيضاً ينبغي للمعلم أن يعتني بالأصول والقواعد، لأن الأصول والقواعد هي التي يبنى عليها العلم، وقد قال العلماء:

من حُرِمَ الأُصول حُرِمَ الوُصُول، أي: لا يصل إلى الغاية إذا حرم الأصول، فينبغي أن يلقي على الطلبة القواعد والأصول التي تتفرع عليها المسائل الجزئية، لأن الذي يتعلم على المسائل الجزئية لا يستطيع أن يهتدي إذا أتته معضلة، فيعرف حكمها، لأنه ليس عنده أصل.

---

(٢٢٤) صحيح موقوف. رواه مسلم [٥]، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» [٥٧٧]، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» [٨٨٨]، [٨٩٢]، والخطيب في «جامع أخلاق الراوي» [١٣٢١] عن عبد الله بن مسعود موقوفاً عليه.





الباب الخامس

وفيه ثلاث رسائل

الرسالة الأولى : حسن الخلق وأهميته لطالب العلم.

الرسالة الثانية : الخلاف بين العلماء.

الرسالة الثالثة : حث طلبة العلم على الالتحاق بجماعات تحفيظ القرآن.





الرسالة الأولى

حسن الخُلُق وأهميته لطالب العلم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله تعالى بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، بعثه الله تعالى بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فبلغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، ووَفَّقَ الله من شاء من عباده فاستجاب لدعوته، واهتدى بهَديه، وخَذَلَ الله بحكمته من شاء من عباده فاستكبر عن طاعته، وكَذَّبَ خبره، وعَانَدَ أمْره، فباء بالخسران والضلال البعيد.

أيها الأخوة: يطيب لي أن أتحدث إليكم عن حسن الخُلُق الحسن، والخُلُق كما يقول أهل العلم: هو صورة الإنسان الباطنة، لأن للإنسان صورتين: صورة ظاهرة، وهي خلقته التي جعل الله البدن عليها، وكما نعلم جميعاً أن هذه الصورة الظاهرة منها ما هو جميل حسن، ومنها ما هو قبيح سيء، ومنها ما بين ذلك، وصورة باطنة، منها صورة حسنة، ومنها صورة سيئة، ومنها ما بين ذلك، وهذا ما يعبر عنه بالخلق.

فالخلق إذن هو: الصورة الباطنة التي طبع الإنسان عليها، وكما يكون الخلق طبيعة، فإنه يكون كسباً، بمعنى: أن الإنسان كما يكون مطبوعاً على الخلق الحسن الجميل، قد يحصل على الخلق عن طريق الكسب والمرونة، ولذلك قال النبي ﷺ للأشج بن قيس:



[إنَّ فيكَ لَخُلُقَيْنِ يُحبُّهُمَا اللهُ: الحلْمُ والأنَاةُ]، قال يا رسول الله: أهُمَا خُلُقان تَخَلَّقْتُ بهِمَا أم جَبَلني اللهُ عَلَيْهِمَا، قال: [بَلْ جَبَلَكَ اللهُ عَلَيْهمَا][225].

فهذا دليل على أن الأخلاق الفاضلة تكون طَبْعاً وتكون تَطَبُّعاً، ولكن الطبع بلا شك أحسن من التطبع، لأن الخلق إذا كان طبيعياً صار سجية للإنسان وطبيعة له، لا يحتاج في ممارسته إلى تَكَلُّفٍ، ولا يحتاج في ممارسته إلى تَصَنُّعٍ، ولكن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء، ومن حرم هذا – أي: من حرم الخلق على سبيل الطبع – فإنه يمكنه أن يناله على سبيل التَطَبُّعِ، وذلك بالمرونة والممارسة كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وكثير من الناس يذهب فهمه إلى إن حُسْنَ الخُلُقِ لا يكون إلا في معاملة الخالق، دون معاملة الخَلْقِ، ولكن هذا الفهم قاصر، فإن حُسْنَ الخُلُقِ كما يكون في معاملة الخَلْقِ، يكون في معاملة الخالق، فموضوع حُسْنُ الخُلُقِ إذاً معاملة الخالق جل وعلا، ومعاملة الخَلْقِ أيضاً.

فما هو حُسْنُ الخُلُقِ في معاملة الخالق؟

حُسْنُ الخُلُقِ في معاملة الخالق يجمع ثلاثة أمور:

١ – تلقي أخبار الله تعالى بالتصديق.

٢ – وتلقي أحكامه بالتنفيذ والتطبيق.

٣ – وتلقي أقداره بالصبر والرضا.

فهذه ثلاثة أشياء عليها مدار حسن الخلق مع الله عز وجل.

---

(٢٢٥) صحيح. رواه مسلم [١٧]، والبخاري في «الأدب المفرد» [٥٨٦]، وأبو داود [٥٢٢٥]، والترمذي [٢٠١١]، وأحمد (٣/ ٢٢)، وابن حبان [١٥٤١]، والبيهقي في «الكبرى» (١٠٤/ ١٠)، (١٠/ ١٩٤)، وفي «شعب الإيمان» (٦/ ١٤١)، وغيرهم بهذا اللفظ.

وقد ورد كذلك بلفظ [الحلم والحياء]. رواه مسلم وغيره.





أولاً: تلقي أخباره بالتصديق:

بحيث لا يقع عند الإنسان شك أو تردد في تصديق خبر الله تعالى، لأن خبر الله سبحانه وتعالى صادر عن علم، وهو أصدق القائلين، كما قال تعالى عن نفسه: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (٢٢٦).

ولازم تصديق أخبار الله أن يكون الإنسان واثقاً بها، مدافعاً عنها، مجاهداً بها، بحيث لا يدخله شك أو تشكيك في أخبار الله سبحانه وتعالى وأخبار رسوله ﷺ وإذا تَخَلَّقَ بهذا الخُلُق، أمكنه أن يدفع كل شبهة يوردها المغرضون على أخبار رسوله ﷺ سواء أكانوا من المسلمين الذين ابتدعوا في دين الله ما ليس منه، أم كانوا من غير المسلمين الذين يلقون الشبهة في قلوب المسلمين، ولنضرب لذلك مثلاً: ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: [**إذَا وَقَعَ الذُّبَابُ في شَرَابِ أَحَدِكُمْ، فَلْيَغْمِسهُ ثُمَ لِيَنْزِعَهُ، فَإنَّ في إحْدَى جَنَاحَيْه داءً، والأُخْرى شِفَاءً**] (٢٢٧).

---

(٢٢٦) سورة النساء: آية رقم:٨٧

(٢٢٧) صحيح. رواه البخاري [٣٣٢٠]، وأبو داود [٣٨٤٤]، وابن ماجة [٣٥٠٥]، وأحمد (٢/٢٦٣، ٣٥٥، ٣٨٨، ٣٩٨)، (٣/٢٢٩، ٢٤٦)، وابن حبان [١٢٤٣، ٥٢٢٦]، وابن خزيمة [١٠٥]، والدارمي (٢/٩٩)، والبيهقي في «الكبرى» (١/٢٥٢)، والبغوي في «شرح السنة» (١١/٢٥٩-٢٦٠)، وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قلت: وفي الباب عن أبي سعيد الخدري. رواه النسائي (٧/١٧٨-١٧٩)، وفي «الكبرى» (٣/٨٨)، وابن ماجة [٣٥٠٤]، وأحمد (٣/٢٤-٦٧)، والطيالسي [٢١٨٨]، وابن حبان [١٣٥٥]، وعبد بن حميد [٨٨٤ تحقيقي]، وأبو يعلى [٩٨٦]، والطحاوي (٤/٢٨٢)، والبيهقي في «الكبرى» (١/٢٥٣)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١/٣٣٧)، والبغوي في «شرح السنة» (١١/٢٦١)، وغيرهم من حديثه رضي الله عنه.





هذا خبر رسول الله ﷺ، وهو ﷺ في أمور الغيب لا ينطق عن الهوى إلا بما أوحى الله إليه، لأنه بشر والبشر لا يعلم الغيب، بل قد قال الله له: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ (٢٢٨)، هذا الخبر يجب علينا أن نقابله بحُسْنِ خُلُقٍ، وحُسْنُ الخُلُقِ نحو هذا الخبر أن نتلقى هذا الخبر بالقبول، وأن نجزم بأن ما قال النبي ﷺ في هذا الحديث فهو حق وصدق، وإن اعترض عليه من يعترض، ونعلم علم اليقين أن ما خالف ما صَحَّ عن رسول الله ﷺ فإنه باطل، لأن الله تعالى يقول ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ (٢٢٩).

ومثال آخر من أخبار يوم القيامة: أخبر النبي ﷺ: [أَنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو من الخَلائقِ يَوْمَ القِيامَةِ بقَدْرِ ميل] (٢٣٠). سواء كان ميل المكْحَلَة أو ميل المسافة، فهذه المسافة بين الشمس ورؤس الخلائق قليلة، ومع هذا فإن الناس لا يحترقون بحَرِّهَا، مع أن الشمس لو تدنوا الآن في الدنيا مقدار أنملة لاحترقت الدنيا، فقد يقول قائل: كيف تدنوا من رؤس الخلائق يوم القيامة بهذه المسافة، ثم يبقى الناس لحظة؟ فما هو حُسْنُ الخُلُقِ نحو هذا الحديث؟ حُسْنُ الخُلُقِ نحو هذا الحديث أن نقبله،

---

(٢٢٨) سورة الأنعام: آية رقم: ٥٠

(٢٢٩) سورة يونس: آية رقم: ٣٢

(٢٣٠) صحيح. رواه مسلم [٢٨٦٤]، والترمذي [٢٤٢٣]، وأحمد (٦/٣-٤)، وابن حبان [٧٣٣٠]، والطبراني في «الكبير» (٢٠/٢٥٥)، وفي «مسند الشاميين» [٥٧٣]، وغيرهم من حديث المقداد بن الأسود ﷺ.



ونُصَدِّقَ به، وأن لا يكون في صدورنا حرج منه، ولا ضيق، ولا تردد، وأن نعلم أن ما أخبر به الرسول ﷺ في هذا فهو حق، ولا يمكن أن نقيس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا لوجود الفارق العظيم، فإذا كان كذلك فإن المؤمن يقبل مثل هذا الخبر بانشراح وطمأنينة، ويتسع فهمه له، هذا في الأخبار.

ثانياً: تَلَقِّي أحكامه بالتنفيذ والتطبيق:

إن حسن الخلق في معاملة الله بالنسبة للأحكام أن يتلقاها الإنسان بالقبول والتنفيذ والتطبيق، فلا يَرُدَّ شيئاً من أحكام الله، فإذا ردَّ شيئاً من أحكام الله، فهذا سوء خلق مع الله، سواء رَدَّها منكراً حكمها، أو ردَّها مستكبراً عن العمل بها، أو ردَّها متهاوناً بالعمل بها، فإن ذلك مناف لحسن الخلق مع الله عز وجل.

ولنضرب لذلك مثلاً: الصوم لا شك أنه شاق على الإنسان، لأن الإنسان يترك المألوف من طعام وشراب ونكاح، وهذا أمر شاق، ولكن المؤمن حَسنَ الخُلُقِ مع ربه عز وجل يقبل هذا التكليف، يقبل هذا التشرف وهذه النعمة من الله عز وجل يقبلها بانشراح صدر وطمأنينة، وتتسع لها نفسه، فتجده يصوم الأيام الحارة الطويلة، وهو بذلك راضٍ منشرح الصدر، لأنه يحسن الخلق مع ربه، لكن سيء الخلق مع الله يقابل هذه العبادة بالضجر والكراهية، ولولا أنه يخشى من أمر لا تحمده عقباه لكان لا يلتزم بالصيام.

ومثال آخر في الصلاة: الصلاة لا شك أنها ثقيلة على بعض الناس، وهي ثقيلة على المنافقين كما قال النبي ﷺ: [أَثْقَلُ الصَّلاةِ عَلَى



المُنَافِقين صلاةُ العِشاء وصلاةُ الفجر][231] لكن الصلاة بالنسبة للمؤمن قرة عينه وراحة نفسه ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (45) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[232] فهي على هؤلاء غير كبيرة، بل إنها سهلة يسيرة، ولهذا قال النبي ﷺ: [جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلاةِ][233].

فَحُسْنُ الخُلُقِ مع الله عز وجل بالنسبة للصلاة أن تؤديها وقلبك منشرح مطمئن، وعيناك قريرتان، تفرح إذا كنت متلبساً بهَا، وتنتظرها إذا فات وقتها، فإذا صليت الفجر كنت في شوق إلى صلاة الظهر، وإذا صليت الظهر كنت في شوق إلى صلاة العصر، وإذا صليت العصر كنت في شوق إلى صلاة المغرب، وإذا صليت المغرب كنت في شوق إلى صلاة العشاء، وإذا صليت العشاء كنت في شوق إلى صلاة الفجر، وهكذا دائماً قلبك معلق بهَذه الصلوات.

هذا لا شك أنه من حسن الخلق مع الله.

ونضرب مثالاً ثالثاً في المعاملات:

في المعاملات حرم الله علينا الربا، حرمه تحريماً صريحاً في القرآن:

---

(231) متفق عليه. رواه البخاري [657]، ومسلم [651]، وابن ماجة [797]، وأحمد (2/424، 466، 472)، والدارمي [1273]، وابن حبان [2098]، والبيهقي في «الكبرى» (3/55)، وفي «الشعب» (3/55)، وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

(232) سورة البقرة: آية رقم: 45-46

(233) صحيح لغيره. رواه النسائي [3879، 3940]، وفي «الكبرى» [8887، 8888]، وأحمد (3/128)، والعقيلي [666]، والبيهقي في «الكبرى» (7/78)، وغيرهم من حديث أنس بن مالك، وله شواهد أخرى، وقد صححه الألباني في «الصحيحة» [1809].



﴿ وأحلَّ اللهُ البَيْعَ وحَرَّمَ الرِّبا ﴾(٢٣٤).

وقال فيه: ﴿ فمن جاءهُ موعظةٌ من ربِّه فانتهى فلهُ ما سلف وأمرُهُ إلى الله ومن عاد فأُولئك أصحابُ النَّار هُمْ فيها خالدُون ﴾(٢٣٥) فَتَوَعَّدَ من عاد إلى الرِّبا بعد أن جاءته الموعظة وعلم الحكم توعده بالخلود في النار – والعياذ بالله –.

المؤمن يقبل هذا الحكم بانشراح ورضا وتسليم، وأما غير المؤمن، فإنه لايقبله، ويضيق صدره به، ويَتَحَيَّلُ عليه بأنواع الحِيَل، لأننا نعلم أن في الرِّبا كسباً متيقناً، وليس فيه مخاطرة، لكنه في الحقيقة كسب لشخص وظلم لآخر، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وإن تُبتُم فلكُمْ رُءُوسُ أموالكُمْ لا تظلمُون ولا تُظلَمُون ﴾(٢٣٦).

أما الأمر الثالث: من موضوع حسن الخلق مع الله، فهو **الرضا والصبر** على المقدور، وكلنا يعلم أن أقدار الله عز وجل التي ينفذها في خلقه بعضها ملائم، وبعضها غير ملائم.

هل المرض يلائم الإنسان؟ أبداً، الإنسان يحب أن يكون صحيحاً، وهل الفقر يلائم الإنسان؟ لا، فالإنسان يحب أن يكون غنياً.

وهل الجهل يلائم الإنسان؟ لا، فالإنسان يحب أن يكون عالماً.

لكن أقدار الله عز وجل بحكمته تتنوع منها ما يلائم الإنسان، ويستريح له بمقتضى طبيعته، ومنها ما لا يكون كذلك.

فما هو حسن الخلق مع الله عز وجل نحو أقدار الله؟

حسن الخلق مع الله نحو أقداره أن ترضى بما قدره الله لك، وأن

---

(٢٣٤)،(٢٣٥) سورة البقرة: آية رقم:٢٧٥

(٢٣٦) سورة البقرة: آية رقم:٢٧٩



تطمئن إليه، وأن تعلم أن الله سبحانه وتعالى ما قَدَّرَهُ لك إلا لحكمة وغاية محمودة، يستحق عليها الحمد والشكر، وعلى هذا فإن حسن الخلق مع الله نحو أقداره: هو أن الإنسان يرضى ويستسلم ويطمئن، ولهذا امتدح الله تعالى الصابرين: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(٢٣٧)، وقال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾(٢٣٨).

ونوجز ما سبق:

نقول: إن حسن الخلق كما يكون في معاملة الخلق، يكون في معاملة الخالق، وأن حسن الخلق في معاملة الخالق هو تلقي أخباره بالتصديق، وتلقي أحكامه بالقبول والتطبيق، وتلقي أقداره بالصبر والرضا، هذا حسن الخلق مع الله.

أما حسن الخلق مع المخلوق فَعَرَّفَه بعضهم، ويذكر عن الحسن البصري: أنه: «كَفُّ الأذَى، وبَذْلُ النَّدَى، وطَلاقَةُ الوجه».

ثلاثة أمور:

١ – كف الأذى.

٢ – بذل الندى.

٣ – طلاقة الوجه.

الأول: كف الأذى

ما معنى كَفُّ الأَذَى؟

معنى كَفُّ الأذى: أن الإنسان يَكُفُّ أذاه عن غيره، سواء كان هذا الأذى يتعلق بالمال، أو يتعلق بالنفس، أو يتعلق بالعرض، فمن لم

---

(٢٣٧) سورة البقرة: آية رقم: ١٥٦

(٢٣٨) سورة البقرة: آية رقم: ١٥٥



يَكفُّ أذاه عن الخلق فليس حسن الخلق، بل هو سيء الخلق.

وقد أعلن الرسول ﷺ في أعظم مجمع اجتمع به في أمته، قال: [إنَّ دمَاءَكُمْ، وأَمْوَالَكُمْ، وأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، في شَهْرِكُمْ هَذَا، في بَلَدِكُمْ هَذَا] (٢٣٩).

إذا كان رجل يعتدي على الناس بالخيانة، أو يعتدي على الناس بالضرب والجِنَايَة، أو يعتدي على الناس في العِرْض، أو بالسَّبِّ والغيبة، فهذا ليس بحسن الخلق مع الناس، لأنه لم يَكُفَّ أذاه عنهم، ويعظم إثم ذلك كلما كان مُوجهاً إلى من له حق عليك أكبر، فالإساءة إلى الوالدين مثلاً أعظم من الإساءة إلى غيرهما، والإساءة إلى الأقارب أعظم من الإساءة إلى الأباعد، والإساءة إلى الجيران أعظم من الإساءة إلى من ليسوا جيراناً لك، ولهذا قال النبي ﷺ: [والله لا يُؤْمِنُ والله لا يُؤْمِنُ والله لا يُؤْمِنُ، قيل: مَنْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: الذي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ] (٢٤٠)، وفي رواية لمسلم: [لا يَدْخُل الجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ] (٢٤١) والبوائق هي: الشرور.

---

(٢٣٩) وهو جزء من حديث جابر في صفة حج النبي ﷺ. رواه مسلم [١٢١٨]، وأبو داود [١٠٥]، والنسائي (٥/١٤٣-١٤٤)، وابن ماجة [٣٠٧٤]، والدارمي [١٨٥٠-١٨٥١]، والبيهقي (٥/٧-٩)، وغيرهم، وللحديث شاهد عن أبي بكرة رضي الله عنه رواه البخاري وغيره.

(٢٤٠) صحيح. رواه البخاري [٦٠١٦]، وأحمد (٦/٣٨٥)، والطيالسي [١٣٤٠]، والطبراني في «الكبير» (٢٢/١٨٨)، وغيرهم من طرق عن أبي شريح رضي الله عنه.

(٢٤١) صحيح. رواه مسلم [٤٦]، والبخاري في «الأدب المفرد» [١٢١]، وأبو يعلى [٦٤٩٠]، والقضاعي في «مسند الشهاب» [٨٧٥]، والبغوي في «شرح السنة» (١٣/٧٢/٣٤٨٩)، وغيرهم من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه.





الثاني : بذل الندى

النَّدَى : هو الكرم والجود، يعني أن تبذل الكرم والجود، والكرم ليس كما يظنه بعض الناس هو أن تبذل المال، بل الكرم يكون في بذل النفس، وفي بذل الجاه، وفي بذل المال، إذا رأينا شخصاً يقضي حوائج الناس، يساعدهم، يتوجه في شئونهم إلى من لا يستطيعون الوصول إليه، ينشر علمه بين الناس، يبذل ماله بين الناس، فَنَصفَهُ بحُسْنِ الخُلُق، لأنه بذل النَّدَى، ولهذا قال النبي ﷺ : «اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ، وأتبع السَيِّئة الحَسَنَة تَمْحُها، وخَالق النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ» (٢٤٢).

ومعنى ذلك أنك إذا ظُلمتَ أو أُسيءَ إليك، فإنك تعفو وتصفح، وقد امتدح الله العافين عن الناس، فقال في أهل الجنة : ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٤٣)، وقال الله تعالى : ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (٢٤٤)، وقال تعالى : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ (٢٤٥)، وقال تعالى : ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (٢٤٦)، وكل إنسان يتصل بالناس فلابد أن يجد من الناس شيئاً من الإساءة،

---

(٢٤٢) حسن لغيره . رواه الترمذي [١٩٨٧]، وأحمد (٥/٢٢٨)، ووكيع في «الزهد» [٩٤]، وأبو نعيم (٤/٣٧٦)، وهناد في «الزهد» [١٠٧٣]، وابن أبي شيبة (٨/٣٢٨-٣٢٩)، وغيرهم من حديث معاذ رضي الله عنه .

قلت : وفي سنده ضعف، ولكن للحديث شواهد تقويه. راجع «الصحيحة» [١٣٧٣].

(٢٤٣) سورة آل عمران : آية رقم: ١٣٤

(٢٤٤) سورة البقرة : آية رقم: ٢٣٧

(٢٤٥) سورة النور : آية رقم: ٢٢

(٢٤٦) سورة الشورى : آية رقم: ٤٠





فموقفه من هذه الإساءة أن يعفو ويصفح، وليعلم علم اليقين أنه بعفوه وصفحه ومجازاته بالحسنى، سوف تنقلب العداوة بينه وبين أخيه إلى ولاية وصداقة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(٢٤٧)، فما هو الأحسن، السيئة أم الحسنة؟! الحسنة، وتأملوا أيها العارفون باللغة العربية كيف جاءت النتيجة بـ (إذا) الفجائية، تدل على الحدث الفوري في نتيجتها ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾، ولكن هل كل أحد يوفق إلى ذلك؟ قال: لا ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٢٤٨).

وها هنا مسألة: هل نفهم من هذا أن العفو عن الجاني مطلقاً محمود ومأمور به؟

قد نفهم من هذا الكلام أن العفو مطلقاً محمود ومأمور به، ولكن ليكون معلوماً لديكم أن العفو إنما يحمد، إذا كان العفو أحمد، فإن كان العفو أحمد فالعفو أفضل، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾(٢٤٩) فجعل العفو مقروناً بالإصلاح، عفى وأصلح.

هل يمكن أن يكون العفو غير إصلاح؟

الجواب: نعم، قد يكون هذا اجترأ عليك، وجنى عليك، وهو رجل شرير معروف الشرِّ والفساد، فلو عفوت عنه لتمادى في شره وفساده،

---

(٢٤٧) سورة فصلت: آية رقم: ٣٤

(٢٤٨) سورة فصلت: آية رقم: ٣٥

(٢٤٩) سورة الشورى: آية رقم: ٤٠





فما هو الأفضل حينئذ، أن تعفو أو تأخذ بالجريمة؟ الأفضل أن نأخذ بالجريمة، لأن في ذلك إصلاحاً.

قال شيخ الإسلام: الإصلاح واجب والعفو مندوب، فإذا كان في العفو فوات الإصلاح، فمعنى ذلك أننا قدمنا مندوباً على واجب، وهذا لا تأتي به الشريعة، وصدق رحمه الله.

وإنني بهَذه المناسبة أوَدُّ أن أنبه على مسألة يفعلها كثير من الناس بقَصْد الإحسان، وهي أن تقع حادثة من شخص، فيهلك بسببها شخص آخر، فيأتي أولياء المقتول فيسقطون الدِّيَة عن هذا الجاني الذي فعل الحادث، فهل إسقاطهم محمود، يعتبر من حسن الخلق، أو في ذلك تفصيل؟

في ذلك تفصيل، لابد أن نتأمل ونفكر في حال هذا الجاني الذي وقع منه الحدث، هل هو من الناس المعروفين بالتهور وعدم المبالاة؟ هل هو من الطراز الذي يقول: أنا لا أبالي أن أصدم شخصاً، لأن ديته في الدرج - والعياذ بالله -؟ أما أنه رجل حصلت منه الجناية مع كمال التحفظ وكمال الاتزان، ولكن الله تعالى قد جعل كل شيء بمقدار؟

فالجواب: إن كان من الطراز الثاني فالعفو بحقه أولى، ولكن قبل العفو حتى في الطراز الثاني يجب أن نلاحظ هل على الميت دين؟

إذا كان عليه دين، فإنه لا يمكن أن نعفو، ولو عفونا فإن عفونا لا يعتبر، وهذه مسألة ربما يغفل عنها كثير من الناس، لماذا نقول: إنه قبل العفو يجب أن نلاحظ هل على الميت دين أم لا؟ لماذا نقول ذلك؟ لأن الورثة يتلقون الاستحقاق لهذه الدِّيَة من أين؟ من الميت الذي أصيب





بالحادث، ولا يرد استحقاقهم إلا بعد الدين، ولهذا لما ذكر الله الميراث قال: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا﴾[٢٥٠] هذه مسألة تخفى على كثير من الناس، وعلى هذا فنقول: إذا حصلت حادثة على شخص ما، فإنه قبل أن يقدم على العفو، ننظر في حال الجاني أولاً، هل هو من المتهورين أم لا؟ وفي حال المجني عليه هل عليه دين أم لا؟

والحاصل: أن من حُسْنِ الخُلُقِ العفو عن الناس، وهو من بذل النَّدى، لأن بذل النَّدَى: إما إعفاء، وإما إسقاط، والعفو من الإسقاط.

الثالث: طلاقة الوجه

بأن يكون الإنسان طليق الوجه، وضد طليق الوجه عبوس الوجه، ولهذا قال النبي ﷺ: [لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شيئاً، ولَوْ أن تَلْقَى أخَاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ][٢٥١].

طلاقة الوجه تدخل السرور على من قابلك، وعلى من اتجه لك، وتَجْلِبُ المَوَدَّةَ والمحبة، وتوجب انشراح القلب، بل توجب انشراح الصدر منك وممن يقابلك – وجرب تجد – لكن إذا كنت عبوساً، فإن الناس ينفرون منك، ولا ينشرحون بالجلوس إليك، ولا بالتحدث معك، وربما تصاب بمرض خطير يسمى بالضغط، فإن انشراح الصدر وطلاقة الوجه من أكبر العقاقير المانعة من هذا الداء داء الضغط، ولهذا فإن الأطباء ينصحون من ابتلي بهَذا الداء بأن يبتعد عما يثيره

---

(٢٥٠) سورة النساء: آية رقم: ١١

(٢٥١) صحيح. رواه مسلم [٢٦٢٦]، وأحمد (٥/ ١٧٣)، وابن حبان [٥٢٤]، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ١٨٨)، وفي «شعب الإيمان» (٣/ ٢٢٠، ٢٥٢)، (٦/ ٢٥١) وغيرهم، كلهم من طرق عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر مرفوعاً به.





ويغضبه، لأن ذلك يزيد في مرضه، فطلاقة الوجه تقضي على هذا المرض، لأن الإنسان يكون منشرح الصدر، محبوباً إلى الخلق.

هذه الأصول الثلاثة التي يدور عليها حُسن الخُلُق في معاملة الخلق، ومما ينبغي أن يعرف من حسن الخلق حسن المعاشرة، بأن يكون الإنسان مع من يعاشره من أصدقاء وأقارب وأهل يكون حَسْن العشرة معهم، لا يضيق بهم، ولا يضيق عليهم، بل يدخل السرور عليهم بقدر ما يمكنه في حدود شريعة الله، وهذا القيد لابد منه في حدود شريعة الله، لأن من الناس من لا يُسرُّ إلا بمعصية الله والعياذ بالله، هذا لا نوافق عليه، لكن إدخال السرور على من يتصل بك من أهل وأصدقاء وأقارب هذا من حسن الخلق، ولهذا قال النبي ﷺ: [إنَّ خَيْرَكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِه، وأَنَا خَيْرُكُم لأَهْلِه] (٢٥٢).

وكثير من الناس مع الأسف الشديد يحسن الخلق مع الناس، ولكنه

---

(٢٥٢) صحيح. رواه الترمذي [٣٨٩٥]، والدارمي (٢/ ٨٢)، وابن حبان [١٣١٢]، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٣٨)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ٤٦٨)، وغيرهم من حديث عائشة رضي الله عنها.

وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنه. رواه ابن ماجة [١٩٧٧]، وابن حبان [١٣١٥]، والحاكم (٤/ ١٧٣).

وله شاهد آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه. رواه الترمذي [١١٦٢]، وأحمد (٢/ ٢٥٠، ٤٧٢)، وهناد في «الزهد» [١٢٥٢]، والحاكم (٣/ ٣١١)، وابن حبان [١٣١١]، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٤٨)، وفي «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٩٤)، والبزار (٢/ ١٨٤)، والخطيب في «تاريخه» (٧/ ٢٧٦-٢٧٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» [١٢٤٤].

وله شاهد آخر عن أبي كبشة رضي الله عنه. أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢ /رقم ٨٥٤)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ١٦٠)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٧٠٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» [١٢٤٥].





لا يحسن الخلق مع أهله، وهذا خطأ وقلب للحقائق، كيف تحسن الخلق مع الأباعد، وتسيء الخلق مع الأقارب؟ فالأقارب أحق الناس بأن تحسن إليهم الصحبة والعشرة، ولهذا قال رجل: يا رسول الله: [مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ، قال: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ، قالَ: ثُمَّ مَن؟ قال: أبوك في الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ](٢٥٣).

والحاصل أن إحسان العشرة مع الأهل والأصحاب والأقارب كل ذلك من حسن الخلق، وينبغي لنا في هذه المراكز الصيفية أن نستغل وجود الشباب، بحيث نُمَرِّنُهُم على إحسان الخُلق، لتكون هذه المراكز تعليم وتربية، لأن العلم بدون تربية قد يكون ضرره أكثر من نفعه، لكن مع التربية يكون العلم مؤدياً للنتيجة المقصودة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾(٢٥٤)، هذه فائدة العلم أن يكون الإنسان رَبَّانِيّاً، بمعنى: مُرَبِّياً لعباد الله على شريعة الله.

فهذه المراكز الذي نأمل من القائمين عليها أن يجعلوها ميداناً للتسابق في الأخلاق الفاضلة ومنها حسن الخلق، فحسن الخلق يكون

---

(٢٥٣) متفق عليه. أخرجه البخاري [٥٩٧١]، وفي «الأدب المفرد» [٥، ٦]، ومسلم [٢٥٤٨]، وابن ماجة [٣٦٥٨]، وأحمد (٢ / ٣٢٧، ٣٩١)، وفي «الزهد» [٢١٦]، والحميدي في «مسنده» [١١١٨]، والطحاري في «مشكل الآثار» (٢ / ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤ / ٣-٤)، وغيرهم من طرق عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٥٤) سورة آل عمران: آية رقم: ٧٩





بالطبع، ويكون بالتطبع – كما تقدم – وحسن الخلق بالطبع أكمل من حسن الخلق بالتطبع، وأتينا على ذلك بدليل، وهو قول الرسول ﷺ: [بَلْ جَبَلَكَ اللهُ عَلَيهِمَا] (٢٥٥) وحسن الخلق بالطبع قد يفوت الإنسان في مواطن كثيرة، لأن حسن الخلق بالتطبع يحتاج إلى ممارسة، وإلى معاناة، وإلى تذكر عند وجود كل ما يثير الإنسان، ولهذا جاء رجل إلى الرسول ﷺ قال: يا رسول الله أوصني. قال: [لاتَغْضَبْ]. فَرَدَّدَ مراراً، قال: [لا تَغْضَبْ] (٢٥٦)، وقال النبي ﷺ: [لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، وإنَّما الشَّديدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ] (٢٥٧).

ما معنى الصرعة؟ هو: الذي يغلب الرجال ويصرعهم.

[لَيْسَ الشَّديدُ بِالصُّرْعَةِ] يعني: الذي يصرع الناس، ولكن إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب، الذي يصرع نفسه ويملكها عند الغضب هو الشديد، ومَلْك الإنسان نفسه عند الغضب يعتبر من أحاسن الأخلاق، فإذا غضبت فلا تنفذ الغضب، استعذ بالله من

---

(٢٥٥) صحيح. رواه مسلم [١٧]، والبخاري في «الأدب المفرد» [٥٨٦]، وغيرهما، وقد سبق تخريجه برقم (٢٢٥) فراجعه إن شئت غير مأمور.

(٢٥٦) صحيح. رواه البخاري [٦١١٦]، والترمذي [٢٠٢٠]، وأحمد (٢/٤٦٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/٣٠٧)، وفي «الكبرى» (١٠/١٠٥) من طرق عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي الباب عن أبي الدرداء، وجارية بن قدامة رضي الله عنهما.

(٢٥٧) متفق عليه. رواه البخاري [٦١١٤]، وفي «الأدب المفرد» [١٣١٧]، ومسلم [٢٦٠٩]، وأحمد (٢/٢٣٦، ٢١٧)، وابن أبي شيبة (٨/٣١٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/٢٥٤)، والبيهقي في «السنن» (١٠/٢٤١)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣/١٥٩)، وغيرهم من طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قلت: وللحديث طرق أخرى عنه رضي الله عنه، وله شاهد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.





الشيطان الرجيم، وإذا كنت قائماً فاجلس، وإذا كنت جالساً فاضجع، وإذا زاد الغضب فتوضأ حتى يزول عنك.

والمقصود أننا نقول: إن حسن الخلق طبع وتطبع، وأن حسن الخلق بالطبع هو الأفضل، لأنه يكون سَجية الإنسان، ويسهل عليه في كل موطن، ولكن التطبع قد يفوته في بعض المواقف.

كذلك نقول: إن حسن الخلق يكون بالاكتساب بمعنى: أن الإنسان يمرن نفسه، فكيف يكون الإنسان حَسَن الخلق؟ بالآتي:

أولاً: بأن ينظر في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ينظر النصوص الدالة على مدح ذلك الخُلق العظيم، والمؤمن إذا رأى النصوص تمدح شيئاً من الأخلاق أو من الأعمال فإنه سوف يقوم به.

ثانياً: مجالسة الأخيار والصالحين الموثوق في علمهم وأمانتهم، يقول النبي ﷺ: [مَثَلُ الجَليسِ الصَّالحِ والجَليسِ السُّوءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْك وكِيرِ الحَدَّاد، لا يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ المِسْك، إمَّا تَشْتَرِيه، أو تَجِدُ رِيحَهُ، وكِيرُ الحَدَّاد: يَحْرِقُ بَيْتَكَ أو ثَوْبَكَ، أو تَجِدُ مِنْهُ رِيحاً خَبِيثَةً][258]، فعليكم أيها الشباب أن تصاحبوا من عُرِفُوا بحسن الأخلاق، والبعد عن مساوئ الأخلاق وسفاسف الأعمال، حتى تأخذوا من هذه الصحبة مدرسة تستعينون بِهَا على حسن الخلق.

(٢٥٨) متفق عليه. رواه البخاري [٢١٠١]، ومسلم [٤٦٢٨]، وأحمد (٤ / ٤٠٥-٤٠٨)، والحميدي [٧٧٠]، وأبو الشيخ في «الأمثال» [٣٢٥]، والقضاعي في «الشهاب» [١٣٧٧-١٣٧٨-١٣٧٩]، وغيرهم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.





ثالثاً: أن يتأمل الإنسان ماذا يترتب على سوء خلقه، فسيء الخلق مَمْقُوت، وسيء الخلق مهجور، وسيء الخلق مذكور بالوصف القبيح، فإذا علم الإنسان أن سوء الخلق يفضي به إلى هذا، فإنه يبتعد عنه.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتمسكين بكتابه وسنة رسوله ﷺ ظاهراً و باطناً، وأن يتوفانا على ذلك، وأن يتولانا في الدنيا والآخرة، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا منه رحمة، إنه هو الوهاب.





الرسالة الثانية

الخلاف بين العلماء أسبابه وموقفنا منه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(٢٥٩).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢٦٠).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٢٦١).

أما بعد:

فإنه قد يثير هذا الموضوع التساؤل لدى الكثيرين، وقد يسأل البعض لماذا هذا الموضوع وهذا العنوان الذي قد يكون غيره من مسائل الدين أهم منه؟

ولكن هذا العنوان – وخاصة في وقتنا الحاضر – يشغل بال كثير من

---

(٢٥٩) سورة آل عمران: آية رقم: ١٠٢

(٢٦٠) سورة النساء: آية رقم: ١

(٢٦١) سورة الأحزاب: آية رقم: ٧٠–٧١



الناس، لا أقول: من العامة، بل حتى من طلبة العلم، وذلك أَنَّها كثرت في وسائل الإعلام نشر الأحكام، وبثها بين الأنام، وأصبح الخلاف بين قول فلان وفلان مصدر تشويش، بل تشكيك عند كثير من الناس، لاسيما من العامة الذين لا يعرفون مصادر الخلاف، لهذا رأيت — وبالله أستعين — أن أتحدث في هذا الأمر الذي له في نظري شأن كبير عند المسلمين.

إن من نعمة الله تبارك وتعالى على هذه الأمة أن الخلاف بين الأمة لم يكن في أصول دينها ومصادره الأصلية، وإنما كان الخلاف في أشياء لا تمس وحدة المسلمين الحقيقية، وهو أمر لابد أن يكون... وقد أجملت العناصر التي أريد أن أتحدث عنها بما يأتي:

أولاً: من المعلوم عند جميع المسلمين مما فهموه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن الله تعالى بعث محمداً بالهدى ودين الحق، وهذا يتضمن أن يكون رسول الله ﷺ قد بَيَّنَ هذا الدين بياناً شافياً كافياً، لايحتاج بعده إلى بيان، لأن الهدى بمعناه ينافي الضلالة بكل معانيها، ودين الحق بمعناه ينافي كل دين باطل لا يرتضيه الله عز وجل، ورسول الله بعث بالهدى ودين الحق، وكان الناس في عهده ﷺ يرجعون عند التنازع إليه، فيحكم بينهم، ويبين لهم الحق، سواء فيما يختلفون فيه من كلام الله، أو فيما يختلفون فيه من أحكام الله التي لم ينزل حكمها، ثم بعد ذلك ينزل القرآن مبيناً لها، وما أكثر ما تقرأ في القرآن الكريم قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ﴾ كذا، فيجيب الله تعالى نبيه بالجواب الشافي، ويأمره أن يبلغه إلى الناس، قال الله تعالى:

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾(٢٦٢)، ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢٦٣)، ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٢٦٤)، ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٢٦٥)، ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(٢٦٦)،إلى غير ذلك من الآيات.

ولكن بعد وفاة الرسول ﷺ اختلفت الأمة في أحكام الشريعة التي لا تقضي على أصول الشريعة وأصول مصادرها، ولكنه اختلاف سنبين إن شاء الله بعض أسبابه.

ونحن جميعاً نعلم علم اليقين أنه لا يوجد أحد من ذوي العلم الموثوق بعلمهم وأمانتهم ودينهم يخالف ما دل عليه كتاب الله وسنة

---

(٢٦٢) سورة المائدة: آية رقم: ٤

(٢٦٣) سورة البقرة: آية رقم: ٢١٩

(٢٦٤) سورة الانفال: آية رقم: ١

(٢٦٥) سورة البقرة: آية رقم: ١٨٩

(٢٦٦) سورة البقرة: آية رقم: ٢١٧



رسوله ﷺ عن عمد وقصد، لأن من اتصفوا بالعلم والديانة، فلابد أن يكون رائدهم الحق، ومن كان رائده الحق فإن الله سييسره له، واستمعوا إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (٢٦٧)، ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ (٢٦٨)، ولكن مثل هؤلاء الأئمة يمكن أن يحدث منهم الخطأ في أحكام الله تبارك وتعالى، لا في الأصول التي أشرنا إليها من قبل، وهذا الخطأ أمر لابد أن يكون. لابد أن يكون ضعيفاً، لأن الإنسان كما وصفه الله تعالى بقوله: ﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (٢٦٩)، الإنسان ضعيف في علمه وإدراكه، وهو ضعيف في إحاطته وشموله، ولذلك لابد أن يقع الخطأ منه في بعض الأمور، ونحن نجمل ما أردنا أن نتكلم عليه من أسباب الخطأ من أهل العلم في الأسباب الآتية الستة، مع أنَّهَا في الحقيقة أسباب كثيرة، وبحر لا ساحل له، والإنسان البصير بأقوال أهل العلم يعرف أسباب الخلاف المنتشرة، نجملها بما يأتي:

السبب الأول: أن يكون الدليل لم يبلغ هذا المخالف الذي أخطأ في حكمه، وهذا السبب ليس خاصاً فيمن بعد الصحابة، بل يكون في الصحابة ومن بعدهم، ونضرب مثالين وقعا للصحابة من هذا النوع:

الأول: أننا علمنا بما ثبت في صحيح البخاري وغيره، حينما سافر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام، وفي أثناء الطريق، ذُكِرَ له أن فيها وَباءً وهو الطاعون، فوقف وجعل يستشير الصحابة رضي الله عنهم،

(٢٦٧) سورة القمر: آية رقم: ١٧

(٢٦٨) سورة الليل: آية رقم: ٥-٧

(٢٦٩) سورة النساء: آية رقم: ٢٨





فاستشار المهاجرين والأنصار، واختلفوا في ذلك على رأيين .. وكان الأرجح القول بالرجوع، وفي أثناء هذه المداولة والمشاورة جاء عبد الرحمن بن عوف، وكان غائباً في حاجة له، فقال: إن عندي من ذلك علماً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: [إِذَا سَمِعْتُمْ به في أَرْضٍ فَلا تَقْدموا عَلَيْه، وإِنْ وَقَعَ وأَنْتُم فِيهَا فَلا تَخْرُجُوا فِرَاراً مِنْه] (٢٧٠)، فكان هذا الحكم خافياً على كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، حتى جاء عبد الرحمن فأخبرهم بهذا الحديث.

مثال آخر: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما يريان أن الحامل إذا مات عنها زوجها تعتد بأطول الأجلين، من أربعة أشهر وعشر، أو وضع الحمل، فإذا وضعت الحمل قبل أربعة أشهر وعشر، لم تنقض العدة عندهم، وبقيت حتى تنقضي أربعة أشهر وعشر، وإذا انقضت أربعة أشهر وعشر من قبل أن تضع الحمل، بقيت في عدتها حتى تضع الحمل (٢٧١)، لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَأُولَاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ (٢٧٢)، ويقول: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ

---

(٢٧٠) متفق عليه . رواه البخاري [٥٧٢٩]، ومسلم [٢٢١٩]، وأبو داود [٣١٠٣]، وأحمد (١/١٩٤)، وعبد الرزاق (١١/٢٠١٥٩)، وأبو يعلى [٨٣٧]، والطبراني في «الكبير» (١/رقم ٢٦٨، ٢٦٩)، والطحاوي (٤/٣٠٣-٣٠٤)، والبيهقي (٧/٢١٧-٢١٨)، وغيرهم من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه .

(٢٧١) متفق عليه . رواه البخاري [٤٩٠٩، ٥٣١٨]، ومسلم [١٤٨٥]، والترمذي [١١٩٤]، والنسائي [٣٥١١]، وفي «الكبرى» [١١٦٠٦]، وأحمد (٦/٣١٢)، والدارمي [٢٢٧٩، ٢٢٨٠]، وابن حبان [٤٢٩٥]، والطيالسي [١٥٩٣]، والبيهقي (٧/٤٢٩)، وغيرهم.

(٢٧٢) سورة الطلاق: آية رقم: ٤



أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾(٢٧٣)، وبين الآيتين عموم وخصوص وجهي، وطريق الجمع بين ما بينهما عموم وخصوص وجهي أن يؤخذ بالصورة التي تجمعهما، ولا طريق إلى ذلك إلا ما سلكه علي وابن عباس رضي الله عنهم، ولكن السنة فوق ذلك، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ في حديث سبيعة الأسلمية أنَّهَا نفست بعد موت زوجها بليال، فأذن لها رسول الله أن تتزوج(٢٧٤)، ومعنى ذلك أننا نأخذ بآية سورة الطلاق التي تسمى سورة النساء الصغرى، وهي عموم قوله تعالى: ﴿ وَأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾(٢٧٥)وأنا أعلم علم اليقين أن هذا الحديث لو بلغ علياً وابن عباس لأخذا به قطعاً، ولم يذهبا إلى رأيهما.

السبب الثاني: أن يكون الحديث قد بلغ الرجل، ولكنه لم يثق بناقله، ورأى أنه مخالف لما هو أقوى منه، فأخذ بما يراه أقوى منه، ونحن نضرب مثلاً أيضاً، ليس فيمن بعد الصحابة ولكن في الصحابة أنفسهم: فاطمة بنت قيس رضي الله عنها طَلَّقَهَا زوجها آخر ثلاث تطليقات، فأرسل إليها وكيله بشعير نفقة لها مدة العدة، ولكنها سخطت الشعير وأبت أن تأخذه، فارتفعا إلى النبي ﷺ فأخبرها النبي ﷺ: [لا نفقة لها ولا سكنى](٢٧٦)، وذلك لأنه أبانها، والمبانة ليس لها نفقة ولا سكنى

(٢٧٣) سورة البقرة: آية رقم: ٢٣٤

(٢٧٤) متفق عليه. وهو جزء من الحديث السابق رقم (٢٧١).

(٢٧٥) سورة الطلاق: آية رقم: ٤

(٢٧٦) صحيح. رواه مسلم [١٤٨٠]، والترمذي [١١٣٥]، والنسائي (٦/ ٢١٠)، وابن ماجة [٢٠٣٥]، وابن حبان [٤٢٤٠ احسان]، وغيرهم عن أبي بكر بن أبي الجهم عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها.



على زوجها إلا أن تكون حاملاً، كقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾(٢٧٧).

عمر رضي الله عنه ناهيك عنه فضلاً وعلماً خفيت عليه هذه السنة، فرأى أن لها النفقة والسكنى، وردَّ حديث فاطمة باحتمال أنَّهَا نسيت فقال: أنترك قول ربنا لقول امرأة لا ندري أذكرت أم نسيت؟

وهذا معناه أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لم يطمئن إلى هذا الدليل، وهذا كما يقع لعمر ومن دونه من الصحابة ومن دونهم من التابعين، يقع أيضاً لمن بعدهم من أتباع التابعين، وهكذا إلى يومنا هذا، بل إلى يوم القيامة، أن يكون الإنسان غير واثق من صحة الدليل، وكم رأينا من أقوال لأهل العلم فيها أحاديث يرى بعض أهل العلم أنَّهَا صحيحة، فيأخذون بهَا، ويراها الآخرون ضعيفة، فلا يأخذون بهَا نظراً لعدم الوثوق بنقلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

السبب الثالث: أن يكون الحديث قد بلغه ولكنه نسيه – وجلَّ من لا ينسى –، كم من إنسان ينسى حديثاً، بل قد ينسى آية، رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم في أصحابه، فأسقط آية نسياناً، وكان معه أُبي بن كعب رضي الله عنه فلما انصرف من صلاته قال: [هَلاَّ كُنْتَ ذَكَّرتنيها](٢٧٨) وهو الذي ينْزل عليه الوحي، وقد قال له ربه: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾(٢٧٩).

(٢٧٧) سورة الطلاق: آية رقم:٦

(٢٧٨) صحيح. رواه أبو داود [٩٠٧]، وعبد الله بن أحمد في «زوائده على المسند» (٤ / ٧٤)، وقد سبق تخريجه برقم (١٢٨).

(٢٧٩) سورة الأعلى: آية رقم:٦–٧





ومن هذا - أي مما يكون قد بلغ الإنسان ولكنه نسيه - قصة عمر ابن الخطاب مع عمار بن ياسر رضي الله عنهما حينما أرسلهما رسول الله ﷺ في حاجة، فأجنبا جميعاً عمار وعمر، أمَّا عمار فاجتهد ورأى أن طهارة التراب كطهارة الماء، فَتَمَرَّغَ على الصعيد كما تمرغ الدابة، لأجل أن يشمل بدنه التراب، كما كان يجب أن يشمله الماء وصَلَّى، أمَّا عمر رضي الله عنه فلم يصلي، ثم أتيا إلى رسول الله ﷺ فأرشدهما إلى الصواب، وقال لعمار: [إنَّما كَانَ يَكْفِيكَ أنْ تَقُولَ بِيَدَيْكَ هَكَذَا، وضرَبَ بِيَدَيْه الأرضَ مَرْةً وَاحِدَةً، ثُمَّ مَسَحَ الشِّمَالَ عَلَى اليَمِينِ، وظَاهِرَ كَفيِّه ووَجْهَه] (٢٨٠) وكان عمار رضي الله عنه يُحدِّثُ بهذا الحديث في خلافة عمر وفيما قبل ذلك، ولكن عمر دعاه ذات يوم، وقال له: ما هذا الحديث الذي تحدث عنه؟! فأخبره وقال: أمَا تذكر حينما بعثنا رسول الله في حاجة، فأجنبنا، فأما أنت فَلَمْ تُصَلِّ، وأمَّا أنا فَتَمَرَّغْتُ في الصَّعيدِ، فقال النبي ﷺ: [إنَّما كَانَ يَكْفِيكَ أنْ تَقُولَ بِيَدَيْكَ هَكَذَا]، ولكن عمر لم يذكر ذلك، وقال: اتَّقِ الله ياعمار، فقال له عمار: إنْ شِئْتَ بما جعل الله عليَّ من طاعتك ألاَّ أحدث بما فعلت، فقال له عمر: نوليك ما توليت - يعني فَحَدِّث به الناس - فعمر نسي أن يكون النبي ﷺ جعل

(٢٨٠) متفق عليه. رواه البخاري [٣٣٩]، ومسلم [٣٦٨]، وأبو داود [٣٥٤-٣٢٧]، والترمذي [١٤٤]، والنسائي (١/١٦٥-١٦٦)، وابن ماجة [٥٦٩]، والدارمي [٧٤٥]، وأحمد (٤/٢٦٣)، وابن خزيمة (١/١٣٥)، والطيالسي [٦٣٨]، وابن حبان [١٣٠٣]، والطحاوي (١/١١٢)، والدارقطني (١٠/١٨٣)، وأبو يعلى [١٦٠٧]، وأبو عوانة (١/٣٠٥-٣٠٦)، والبغوي في «شرح السنة (٢/٣٠٨)، وغيرهم من طريق سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب فذكره.





التيمم في حالة الجَنَابةِ كما هو في حال الحَدَثِ الأصغر، وقد تابع عمر على ذلك عبد الله بن مسعود ﷺ وحصل بينه وبين أبي موسى ﷺ مناظرة في هذا الأمر، فأورد عليه قول عمار لعمر، فقال ابن مسعود: ألم تر أن عمر لم يقنع بقول عمار، فقال أبو موسى: دعنا من قول عمار، ما تقول في هذه الآية: - يعني آية المائدة - فلم يقل ابن مسعود شيئاً، ولكن لا شك في أن الصواب مع الجماعة الذين يقولون: إن الجنب يتيمم، كما أن المُحدِّث حَدَثاً أصغر يتيمم، والمقصود أن الإنسان قد ينسى فيخفى عليه الحكم الشرعي، فيقول قولاً يكون به معذوراً، لكن من علم الدليل فليس بمعذور.

السبب الرابع: أن يكون بلغه وفهم منه خلاف المراد.

فنضرب لذلك مثلين، الأول من الكتاب والثاني من السنة.

١ - **من القرآن**: قوله تعالى: ﴿**وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا**﴾ (٢٨١).

اختلف العلماء رحمهم الله في معنى ﴿**أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ**﴾ ففهم بعض منهم: أن المراد مطلق اللمس، وفهم آخرون: أن المراد به اللمس المثير للشهوة، وفهم آخرون أن المراد به الجماع، وهذا الرأي رأى ابن عباس ﷺ.

وإذا تأملت الآية وجدت أن الصواب مع من يرى أنه الجماع، لأن الله تبارك وتعالى ذكر نوعين في طهارة الماء، طهارة الحدث الأصغر

---

(٢٨١) سورة النساء: آية رقم: ٤٣





والأكبر، ففي الأصغر قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾(٢٨٢)، أما الأكبر فقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ الآية، وكان مقتضى البلاغة والبيان أن يذكر نصاً موجباً الطهارتين في طهارة التيمم فقوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ إشارة إلى موجب طهارة الحدث الأصغر .. وقوله: ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ إشارة إلى موجب طهارة الحدث الأكبر .. ولو جعلنا الملامسة هنا بمعنى اللمس، لكان في الآية ذكر موجبين من موجبات طهارة الحدث الأصغر، وليس فيها ذكر لشيء من موجبات طهارة الحدث الأكبر، هذا خلاف ما تقتضيه بلاغة القرآن، فالذين فهموا من الآية أن المراد من مطلق اللمس قالوا: إذا مس إنسان ذكر بشرة الأنثى انتقض وضوءه، أو إذا مسها لشهوة انتقض، ولغير شهرة لا ينتقض، والصواب عدم الانتقاض في الحالين(٢٨٣)، وقد رُوِيَ: أن رسول الله ﷺ قَبَّلَ إحدى نسائه، ثم ذهب إلى الصلاة، ولم يتوضأ(٢٨٤)، وقد جاء من طرق يقوي بعضها بعضاً.

---

(٢٨٢) سورة المائدة: آية رقم: ٦

(٢٨٣) وقد بين ذلك سماحة الشيخ في كتابه «الشرح الممتع» (١/ ٢٣٤-٢٤٠).

(٢٨٤) صحيح لغيره. رواه الترمذي [٨٦]، والنسائي [٧٠]، وأبو داود [١٧٩]، وابن ماجة [٥٠٢]، وأحمد (٦/ ٢١٠)، وابن أبي شيبة (١/ ٤٤)، وأبو يعلى [٤٤٠٧]، والدارقطني (١/ ١٣٨)، والبيهقي (١/ ١٢٥).
قلت: وفي سنده مقال، ولكن له طرق أخرى تقويه والله أعلم.





٢ – من السنة: لما رَجَع رسول الله ﷺ من غزوة الأحزاب، ووضع عدة الحرب، جاءه جبريل فقال له: إنا لم نضع السلاح فاخرج إلى بني قريظة، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه بالخروج وقال: [لا يُصلِّينَّ أحدٌ العَصْرَ إلاَّ في بَنِي قُرَيْظَةَ](٢٨٥) الحديث، فقد اختلف الصحابة في فهمه، فمنهم من فهم أن مراد الرسول المبادرة إلى الخروج، حتى لا يأتي وقت العصر إلا وهم في بني قريظة، فلما حان وقت العصر وهم في الطريق صلوها ولم يُؤَخِّرُوهَا إلى أن يخرج وقتها، ومنهم من فهم: أن مراد رسول الله أن لا يصلوا إلا إذا وصلوا بني قريظة، فأَخرُوها حتى وصلوا بني قريظة، فأَخْرَجُوهَا عن وقتها.

ولا ريب أن الصواب مع الذين صَلَّوا الصلاة في وقتها، لأن النصوص في وجوب الصلاة في وقتها محكمة، وهذا نص مشتبه، وطريق العلم أن يُحْمَل المتشابه على المحكم، إذن من أسباب الخلاف أن يفهم من الدليل خلاف مراد الله ورسوله، وذلك هو السبب الرابع.

السبب الخامس: أن يكون قد بلغه الحديث، لكنه منسوخ، ولم يعلم بالناسخ، فيكون الحديث صحيحاً والمراد منه مفهوماً ولكنه منسوخ والعالم لا يعلم بنسخه، فحينئذ له العذر، لأن الأصل عدم النسخ حتى يعلم الناسخ.

ومن هذا رأى ابن مسعود ﵁ ماذا يصنع الإنسان بيديه إذا ركع، كان في أول الإسلام يشرع للمصلي التطبيق بين يديه، ويضعهما بين ركبتيه – هذا هو المشروع في أول الإسلام – ثم نسخ ذلك، وصار المشروع أن يضع يديه على ركبتيه، وثبت في صحيح البخاري وغيره

(٢٨٥) متفق عليه. وقد سبق تخريجه برقم (١٦٨) فراجعه إن شئت.



النسخ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه لم يعلم بالنسخ، فكان يطبق يديه، فصلى إلى جانبه علقمة والأسود، فوضعا يديهما على ركبهما، ولكنه رضي الله عنه نهاهما عن ذلك، وأمرهما بالتطبيق لماذا؟ لأنه لم يعلم بالنسخ، والإنسان لا يكلف إلا وسع نفسه .. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[٢٨٦].

السبب السادس: أن يعتقد أنه معارض بما هو أقوى منه من نص أو إجماع .. بمعنى أنه يصل الدليل إلى المستدل، ولكنه يرى أنه معارض بما هو أقوى منه من نص أو إجماع، وهذا كثير في خلاف الأئمة، وما أكثر ما نسمع من ينقل الإجماع، ولكنه عند التأمل لا يكون إجماعاً.

ومن أغرب ما نقل في الإجماع أن بعضهم قال: أجمعوا على قبول شهادة العبد، وآخرون قالوا: أجمعوا على أنَّها لا تقبل شهادة العبد.

هذا من غرائب النقل، لأن بعض الناس إذا كان من حوله اتفقوا على رأي، ظن أن لا مخالف لهم، لاعتقاده أن ذلك مقتضى النصوص، فيجتمع في ذهنه دليلان، النص والإجماع، وربما يراه مقتضى القياس الصحيح، والنظر الصحيح، فيحكم أنه لا خلاف، وأنه لا مخالف لهذا النص القائم عنده مع القياس الصحيح عنده، والأمر قد كان بالعكس.

ويمكن أن تمثل ذلك برأى ابن عباس رضي الله عنهما في ربا الفضل، ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: [إِنَّمَا الرِّبَا فِي النَّسِيئَةِ][٢٨٧]. وثبت عنه في حديث

(٢٨٦) سورة البقرة: آية رقم: ٢٨٦

(٢٨٧) متفق عليه. رواه البخاري [٢١٧٨]، ومسلم [١٥٩٦]، والنسائي [٤٥٨٠، ٤٥٨١]، وابن ماجة [٢٢٥٧]، وأحمد (٥/ ٢٠٠، ٢٠٩)، والحميدي في «مسنده» [٧٤٤]، والطحاوي (٢/ ٢٣٢)، والبيهقي (٥/ ٢٨٠)، وغيرهم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.



عبادة بن الصامت وغيره: [إنَّ الرِّبَا يَكون في النَّسيئةِ وفي الزِّيادَة] (٢٨٨).

وأجمع العلماء بعد ابن عباس على أن الربا قسمان: ربا فضل، وربا نسيئة، أما ابن عباس فإنه أبى إلا يكون الربا في النسيئة فقط، مثاله لو بعت صاعاً من القمح بصاعين يداً بيد، فإنه عند ابن عباس لا بأس به، لأنه يرى أن الرِّبا في النسيئة فقط، وإذا بعت مثلاً مثقالاً من الذهب بمثقالين من الذهب يداً بيد، فعنده أنه ليس ربا، لكن إذا أخرت القبض، فأعطيتني المثقال، ولم أعطك البدل إلا بعد التَفَرُّق فهو ربا، لأن ابن عباس ﷺ يرى أن هذا الحصر مانع من وقوع الربا في غيره، ومعلوم أن: إنما تفيد الحصر، فيدل على أن ما سواه ليس بربا، لكن الحقيقة أن ما دَلَّ عليه حديث عبادة على أن الفضل من الربا، لقول الرسول ﷺ: [مَنْ زَادَ أو اسْتَزَادَ فَقَدْ أرْبَى] (٢٨٩).

إذن ما موقفنا نحن من الحديث الذي استدل به ابن عباس؟

موقفنا أن نحمله على وجه يمكن أن يتفق مع الحديث الآخر الدال على أن الربا يكون أيضاً في الفضل، بأن نقول: إنما الربا الشديد الذي يعمد إليه أهل الجاهلية والذي ورد فيه قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ (٢٩٠)، إنما هو ربا النسيئة، أما ربا الفضل فإنه

---

(٢٨٨) صحيح. رواه مسلم [١٥٨٧]، وأبو داود [٣٣٤٩، ٣٣٥٠]، والترمذي [١٢٤٠]، والنسائي (٧/ ٢٧٤-٢٧٥)، وابن ماجة [٢٢٥٤]، وأحمد (٥/ ٣٢٠)، والدارقطني (٣/ ٢٤)، والبيهقي في «الكبرى» (٥/ ٢٧٧، ٢٧٨)، وغيرهم من حديث عبادة بن الصامت.

وفي الباب عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ﷺ.

(٢٨٩) راجع التخريج السابق.

(٢٩٠) سورة آل عمران: آية رقم: ١٣٠



ليس الربا الشديد العظيم، ولهذا ذهب ابن القيم في كتابه «إعلام الموقعين» : إلى تحريم ربا الفضل من باب تحريم الوسائل، وليس من باب تحريم المقاصد .

السبب السابع : أن يأخذ العالم بحديث ضعيف، أو يستدل استدلالاً ضعيفاً، وهذا كثير جداً فمن أمثلته - أي أمثلة الاستدلال بالحديث الضعيف - : ما ذهب إليه بعض العلماء من استحباب صلاة التسبيح، وهو أن يصلي الإنسان ركعتين، يقرأ فيهما بالفاتحة، ويسبح خمس عشرة تسبيحة وكذلك في الركوع والسجود إلى آخر صفتها، التي لم أضبطها، لأنني لا أعتقدها من حيث الشرع، ويرى آخرون أن صلاة التسبيح بدعة مكروهة، وأن حديثها لم يصح، وممن يرى ذلك الإمام أحمد رحمه الله، وقال : إنها لا تصح عن النبي ﷺ، وقال شيخ الإسلام رحمه الله بأن حديثها كذب على رسول الله، وفي الحقيقة من تأملها وجد أن فيها شذوذاً حتى بالنسبة للشرع، إذ أن العبادة، إما أن تكون نافعة للقلب، ولابد لصلاح القلب منها فتكون مشروعة في كل وقت وفي كل مكان، وإما ألا تكون نافعة فلا تكون مشروعة، وهذه في الحديث الذي جاء عنها يصليها الإنسان كل يوم أو كل أسبوع أو كل شهر أو في العمر مرة، وهذا لا نظير له في الشرع، فَدَلَّ على شذوذها سنداً ومتناً، وأن من قال إِنَّهَا كذب كشيخ الإسلام فإنه مصيب، ولذا قال شيخ الإسلام : إنه لم يستحبها أحد من الأئمة .

وإنما مثلت بهَا لأن السؤال عنها كثير من الرجال والنساء، فأخشى أن تكون هذه البدعة أمراً مشروعاً، وإنما أقول : بدعة، أقولها ولو كانت

ثقيلة على بعض الناس، لأننا نعتقد أن كل من دان لله سبحانه مما ليس في كتاب الله أو سنة رسوله فإنه بدعة[٢٩١].

كذلك أيضاً من يأخذ بدليل ضعيف من حيث الاستدلال، والدليل قوي لكنه من حيث الاستدلال به ضعيف، مثل ما أخذ بعض العلماء من حديث أسود: [ذَكَاةُ الجَنَينِ ذكَاة أمِّه] [٢٩٢]، فالمعروف عند أهل العلم من معنى الحديث: أن أم الجنين إذا ذُكيت، فإن ذكاتهَا ذكاة له – أي لا يحتاج إلى ذكاة إذا أخرج منها بعد الذبح –، لأنه قد مات، ولا فائدة من تذكيته بعد موته.

ومن العلماء من فهم أن المراد به – أي بالحديث – إن ذكاة الجنين كذكاة أمه، تكون بقطع الودجين وإنهار الدم، ولكن هذا بعيد والذي يبعده أنه لا يحصل إنهار الدم بعد الموت ورسول الله ﷺ يقول:

---

(٢٩١) قلت: كذا قال الشيخ الفاضل، وهو مجتهد، ونحن نظن هنا أنه أخطأ في اجتهاده هذا، فهو مأجور – إن شاء الله عليه – وقد أشار الفاضل أكثر من مرة على اختلاف المجتهدين في الحكم على الحديث أو العمل به، وكل يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا رسول الله ﷺ، وإلا فقد ورد الحديث من طرق عديدة تقوي بعضها بعضاً، وقد صححه الكثير من العلماء المتقدمين أو المتأخرين – على خلاف بينهم على تصحيحه أو تحسينه فقط –.

ولعل من ضعفه أو كذبه لم تظهر له الطرق الأخرى، أو لم يجمعها حتى يقبله أو يحسنهُ لغيره – على أقل تقدير –، هذا وقد قام كثير من العلماء السالفين والمعاصرين بجمع طرق هذا الحديث وتصحيحه أو تحسينه على أقل تقدير، منهم ابن حجر، وابن ناصر الدين الدمشقي، والسيوطي، وغيرهم كثير، ومن المعاصرين سليم الهلالي، وجاسم الدوسري، وغيرهما، فإن شئت التفصيل فراجع إحداها.

(٢٩٢) صحيح لغيره. رواه أبو داود [٢٨٢٧]، والترمذي [١٤٧٦]، وابن ماجة [٣١٩٩]، وأحمد (٣/٥١، ٥٣)، وعبد الرزاق [٨٦٥٠]، وأبو يعلى [٩٩٢]، والدارقطني (٤/٢٧٣، ٢٧٤)، والبيهقي في «الكبرى» (٩/٣٣٥)، وغيرهم من طريق مجالد عن أبي الوراك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.



[مَا أَنْهَرَ الدَّم وذُكِرَ اسم الله عَلَيْهِ فكُل] [٢٩٣]. ومن المعلوم أنه لا يمكن إنهار الدم بعد الموت، هذه الأسباب التي أحببت أن أنبه عليها مع أنَّها كثيرة، وبحر لا ساحل له، ولكن بعد هذا كله ما موقفنا؟

وما قلته في أول الموضوع: أن الناس بسبب وسائل الإعلام المسموعة، والمقروءة، والمرئية، واختلاف العلماء، أو اختلاف المتكلمين في هذه الوسائل صاروا يتشككون ويقولون: من نتبع؟

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

وحينئذ نقول موقفنا من هذا الخلاف - وأعني به خلاف العلماء الذين نعلم أنَّهم موثقون علماً وديانة - لا من هم محسوبون على العلم، وليسوا من أهله، لأننا لا نعتبر هؤلاء علماء، ولا نعتبر أقوالهم مما يحفظ من أقوال أهل العلم.

ولكننا نعني به العلماء المعروفين بالنصح للأمة والإسلام والعلم، موقفنا من هؤلاء يكون على وجهين:

١ - كيف خالف هؤلاء الأئمة لما يقتضيه كتاب الله وسنة رسوله؟
وهذا يمكن أن يعرف الجواب عنه بما ذكرنا من أسباب الخلاف، وبما لم نذكره، وهو كثير يظهر لطالب العلم حتى وإن لم يكن متبحراً في العلم.

---

(٢٩٣) متفق عليه. رواه البخاري [٥٤٩٨]، ومسلم [١٩٦٨]، والترمذي [١٤٩١]، والنسائي (٧/ ١٩١-١٩٢)، وابن ماجة [٣١٧٨، ٣١٨٣]، والدارمي [١٩٧٧]، وأحمد (٤/ ١٠٤، ١٤٢)، والطيالسي [٩٦٣]، وغيرهم من طريق سعيد بن مسروق عن عباية بن رفاعة عن رافع بن خديج رضي الله عنه.
قلت: وللحديث طرق أخرى كثيرة عنه يطرل ذكرها.





٢ – ما موقفنا من اتباعهم؟ ومن نتبع من هؤلاء العلماء؟

أَيَتَبِع الإنسان إماماً لا يخرج عن قوله، ولو كان الصواب مع غيره. كعادة المتعصبين للمذاهب –، أم يتبع ما ترجح عنده من دليل ولو كان مخالفاً لما ينتسب إليه من هؤلاء الأئمة؟

الجواب هو الثاني، فالواجب على من علم بالدليل أن يتبع الدليل ولو خالف من خالف من الأئمة، إذا لم يخالف إجماع الأمة، ومن اعتقد أن أحداً غير رسول الله ﷺ يجب أن يؤخذ بقوله فعلاً وتركاً بكل حال وزمان، فقد شهد لغير الرسول بخصائص الرسالة، لأنه لا يمكن لأحد أن يكون هذا حكم قوله إلا رسول الله ﷺ، ولا أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك سوى رسول الله ﷺ.

ولكن يبقى الأمر فيه نظر، لأننا لا نزال في دوامة مَنْ الذي يستطيع أن يستنبط الأحكام من الأدلة؟ هذه مشكلة، لأن كل واحد صار يقول: أنا صاحبها، وهذا في الحقيقة ليس بجيد، نعم من حيث الهدف والأصل، هو جيد أن يكون رائد الإنسان كتاب الله وسنة رسوله، لكن كوننا نفتح الباب لكل من عرف أن ينطق بالدليل، وإن لم يعرف معناه وفحواه، فنقول: أنت مجتهد تقول ما شئت، هذا يحصل فيه فساد الشريعة وفساد الخلق والمجتمع، والناس ينقسمون في هذا الباب إلى ثلاثة أقسام:

١ – عالم رزقه الله علماً وفهماً.

٢ – طالب علم عنده من العلم، لكن لم يبلغ درجة ذلك المتبحر.

٣ – عامي لا يدري شيئاً.





أما الأول :

فإنه له الحق أن يجتهد، وأن يقول - بل يجب عليه أن يقول -: ما كان مقتضى الدليل هذا مهما خالفه من خالفه من الناس، لأنه مأمور بذلك قال تعالى : ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾(٢٩٤)، وهذا من أهل الاستنباط الذين يعرفون ما يدل عليه كلام الله وكلام رسوله ﷺ .

أما الثاني :

الذي رزقه الله علماً ولكنه لم يبلغ درجة الأول فلا حرج عليه إذا أخذ بالعموميات والإطلاقات وبما بلغه، ولكن يجب عليه أن يكون محترزاً في ذلك، وألا يقصر عن سؤال من هو أعلى منه من أهل العلم، لأنه قد يخطئ، وقد لا يصل علمه إلى شيء خصص ما كان عاماً، أو قيد ما كان مطلقاً، أو نسخ ما يراه محكماً وهو لا يدري بذلك .

أما الثالث :

وهو من ليس عنده علم، فهذا يجب عليه أن يسأل أهل العلم لقوله تعالى : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٢٩٥) وفي آية أخرى : ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾(٢٩٦) فوظيفة هذا أن يسأل، ولكن من يسأل؟ في البلد علماء كثيرون، وكل يقول إنه عالم، أو كل يقال عنه : إنه عالم، فمن الذي يسأل؟ هل نقول يجب عليك

---

(٢٩٤) سورة النساء :آية رقم :٨٣

(٢٩٥) سورة الأنبياء :آية رقم :٧

(٢٩٦) سورة النحل :آية رقم :٤٣-٤٤





أن تتحرى من هو أقرب إلى الصواب فتسأله، ثم تأخذ بقوله؟

أو نقول: اسأل من شئت ممن تراه من أهل العلم، والمفضول قد يوفق للعلم في مسألة معينة، ولا يوفق من هو أفضل منه وأعلم، اختلف في هذا أهل العلم؟

فمنهم من يرى: أنه يجب على العامي أن يسأل من يراه أوثق في علمه من علماء بلده، لأنه كما أن الإنسان الذي أصيب بمرض في جسمه، فإنه يطلب لمرضه من يراه أقوى في أمور الطب، فكذلك هنا، لأن العلم دواء القلوب، فكما إنك تختار لمرضك من تراه أقوى، فكذلك هنا يجب أن تختار من تراه أقوى علماً إذ لا فرق.

ومنهم من يرى أن ذلك ليس بواجب، لأن من هو أقوى علماً قد لا يكون أعلم في كل مسألة بعينها، ويرشح هذا القول أن الناس في عهد الصحابة ﷺ كانوا يسألون المفضول مع وجود الفاضل.

والذي أرى في هذه المسألة أنه يسأل من يراه أفضل في دينه وعلمه لا على سبيل الوجوب، لأن من هو أفضل قد يخطئ في هذه المسألة المعينة، ومن هو مفضول قد يصيب فيها الصواب، فهو على سبيل الأولوية، والأرجح: أن يسأل من هو أقرب إلى الصواب لعلمه وورعه ودينه.

وأخيراً أنصح نفسي وإخواني المسلمين، ولاسيما طلبة العلم إذا نزلت بإنسان نازلة من مسائل العلم ألا يتعجل ويتسرع حتى يتثبت ويعلم ما يقول، لئلا يقول على الله بلا علم، فإن الإنسان المفتي واسطة بين الناس وبين الله، يبلغ شريعة الله كما ثبت عن رسول الله ﷺ :



[العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأنْبياء][297]، وأخبر النبي ﷺ : [أَنَّ القَضَاةَ ثَلاثَةٌ، قَاضٍ واحد في الجَنَّةِ وهو مَنْ عَلِمَ الحقَّ فَحَكَمَ به][298] كذلك أيضاً من المهم إذا نزلت فيك نازلة أن تشد قلبك إلى الله، وتفتقر إليه أن يفهمك، ويعلمك، لاسيما في الأمور العظام الكبيرة التي تخفى على كثير من الناس.

وقد ذكر لي بعض مشائخنا أنه ينبغي لمن سئل عن مسألة أن يكثر من الاستغفار، مستنبطاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[299]، لأن الإكثار من الاستغفار يوجب زوال أثر الذنوب التي هي سبب في نسيان العلم والجهل، كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾[300].

وقد ذكر الشافعي أنه قال[301]:

شَكَوْتُ إلى وَكِيعٍ سوءَ حفْظِي ... فَأرشَدَني إلى تَرْك المَعَاصي
وقَالَ اعْلَمْ بأنَّ العلم نُورٌ ... ونُورُ اللهِ لا يُؤتَاهُ عَاصِي

(٢٩٧) صحيح لغيره. رواه الترمذي [٢٦٨٢]، وأبو داود [٣٦٤١]، وقد سبق تخريجه برقم (٢).

(٢٩٨) صحيح. رواه الترمذي [١٣٢٧]، وابن ماجة [٢٣١٥]، وأبو داود [٣٥٧٣]، والحاكم (٤ / ٩٠)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠ / ١١٦)، وغيرهم من حديث بريدة ﵁، والحديث صححه الألباني في «الإرواء» [٢٦١٤] ولفظه [القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار به فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار].

(٢٩٩) سورة النساء: آية رقم: ١٠٥-١٠٦

(٣٠٠) سورة المائدة: آية رقم: ١٣

(٣٠١) راجع ما ذكرناه في التخريج رقم (٦٩) صفحة (٥٢).

فلا جرم حينئذ أن يكون الاستغفار سبباً لفتح الله على المرء.

وأسأل الله التوفيق والسداد، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وألاَّ يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب.

والحمد لله رب العالمين أولاً وأخيراً..

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الرسالة الثالثة

حث طلبة العلم على الالتحاق بجماعات تحفيظ القرآن الكريم

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

نعم، إن خير الحديث كتاب الله تعالى لأنه كلام الله عز وجل تنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين (جبريل) على قلب النبي ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين.

وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة في فضل تلاوة القرآن والعمل به، فقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٣٠٢) وثبت عن النبي ﷺ أنه قال : [خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمْ الْقرآنَ وعَلَّمَه] (٣٠٣)، وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : [مثل الماهرُ

---

(٣٠٢) سورة فاطر:آية رقم:٢٩-٣٠

(٣٠٣)صحيح . رواه البخاري [٥٠٢٧، ٥٠٢٨]، وأبو داود [١٤٥٢]، والنسائي في «فضائل القرآن» [٦١، ٦٢، ٦٣]، والترمذي [٢٩٠٧، ٢٩٠٨]، وابن ماجة [٢١١، ٢١٢]، وأحمد (١/ ٥٧، ٥٨، ٦٩)، وفي «الزهد» (ص ٣٦٦)، وابن حبان [١١٨]، والطيالسي [٧٣]، وغيرهم كثير ذكرتهم في تحقيقي لكتاب «فضائل القرآن» للفريابي (١٠-١٨)، والحمد لله وحده.

بالقُرْآنِ مثل السَفَرة الكِرَامِ البَرَرة، ومَثَلُ الذي يَقرؤهُ وهو عَلَيْه شاقٌ له أجْرَان](٣٠٤) متفق عليه، وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ كان يقول: [مَثَلُ الذي يَقرأ القُرْآن كالأُتْرُوجة طَعْمُهَا طَيِّبٌ وريحُها طَيِّبٌ، والذي لا يَقْرأ القُرآن كالتمرة طعمُها طَيِّبٌ ولا ريحَ فيها، ومَثَلُ الفاجر الذي يقرأ القرآن كَمَثَلِ الرَّيحَانَة ريحُها طَيِّبٌ وطَعْمُها مرٌّ، ومَثَلُ الفاجر الذي لا يَقْرَأ القُرْآن كَمَثَلِ الحَنْظَلَة، طَعْمُها مُرٌّ، ولا ريحَ لَهَا](٣٠٥)، وعن أبي أمامة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: [اقْرَءُوا القُرآنَ، فَإنَّهُ يأتي شَافِعاً لأصْحَابه، اقْرءُوا الزَّهْرَاويْنِ البَقْرَة وآل عمْرَان، فإنَّهُما يأتيَان يَوْمَ القيَامة كأنَّهُمَا غَمَامَتَان، أو غَيَايَتَان، أو فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحاجَّان عَنْ صاحِبِهما](٣٠٦).

ولما كانت تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه بهذه المثابة، هبَّ كثير من الشباب في بلادنا وغيرها إلى تلاوة الكتاب العزيز تعلماً، فأنشئت في بلادنا جماعات تحفيظ القرآن الكريم في مدن وقرى كثيرة تحت إشراف

---

(٣٠٤) متفق عليه. رواه البخاري [٤٩٣٧]، وفي «خلق أفعال العباد» (ص ٩٣)، ومسلم [٧٩٨]، وأبو داود [١٤٥٤]، والترمذي [٢٩٠٤]، والنسائي في «فضائل القرآن» [٧٠، ٧١، ٧٢]، وفي «التفسير» [٦٦٦]، وفي «الكبرى» (٥/ ٢٠-٢١)، (٦/ ٥٠٦)، وابن ماجة [٣٧٧٩]، وأحمد (٦/ ٤٨، ٩٤، ٩٨، ١١٠، ١٧٠، ١٩٢، ٢٣٩، ٢٦٦)، وقد خرجته بفضل الله وحده في «فضائل القرآن ٣، ٤».

(٣٠٥) متفق عليه. وقد ورد من طرق كثيرة عن أبي موسى الأشعري، ذكرتها كلها بفضل الله في «فضائل القرآن» فراجعها غير مأمور.

(٣٠٦) صحيح. رواه مسلم [٨٠٤]، وأحمد (٥/ ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٧)، والحاكم (١/ ٥٦٤)، وابن حبان [١١٦]، والبغوي (٤/ ٢٥٦)، والفريابي [٢٦ تحقيقي]، وغيرهم كثير، فراجع المصدر الأخير إن شئت.



ورعاية وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، والتحق بِهَا ولله الحمد جَمٌّ غفير من الشباب، ولم يقتصر نشاطها على الذكور، بل شمل النساء أيضاً، وحصل بذلك خيركثير حتى حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب كثير من هؤلاء الشباب، فالحمد لله رب العالمين.

وإني لأحث إخـواني الذين منَّ الله تعالى عليهم بالأولاد، أن يشجعوا أولادهم على الإلتحاق بهذه الجماعات، وأن يتعاهدوهم حال التحاقهم، ويستعينوا عل ذلك بالاتصال بالمسئولين في هذه الجماعات للمتابعة، فإن تلاوة كتاب الله من أسباب الصلاح، وصلاح الولد خير للوالد في دنياه وبعد مماته، كما قال النبي ﷺ: **[إذا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمله إلا مِنْ ثلاثَة: إلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صالِحٍ يدْعُو لَهُ]**(٣٠٧).

ولا شك أن الالتحاق بهذه الجماعات - أعني جماعات تحفيظ القرآن - يحصل به مصالح وتندرئ به مفاسد.

* يحصل به حفظ القرآن الكريم ومحبته والميل إليه.
* ويحصل به ربط الدارس ببيوت الله عز وجل «المساجد».
* ويحصل به استغلال الوقت بهذا الهدف النبيل.
* ويحصل به من حسن رعاية الطالب ما يثاب عليه أبوه أو غيره من ولاة أمره.

---

(٣٠٧) صحيح. رواه مسلم [١٦٣١]، والبخاري في «الأدب المفرد» [٣٨]، وأبو داود [٢٨٨٠]، والنسائي (٦/٢٥١)، والترمذي [١٣٧٦]، وأحمد (٢/٣٧٢)، وغيرهم كثير، وقد مر تخريجه في الحديث المتقدم برقم (١٠) فراجعه إن شئت.



* يحصل به ثواب المجتمعين على تلاوة كتاب الله تعالى في بيت من بيوته، فـ [ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده][308]، وكما تحصل به هذه المصالح فإنه تندرئ به مفاسد.

* يندرئ به ضياع الوقت الذي هو أشد ضرراً من ضياع المال، فإن المال له ما يخلفه والوقت لا يخلفه شيء، فإن كل وقت مضى لا يرجع كما قيل: أمس الدابر لا يعود.

* تندرئ به مفسدة الفراغ، فإن للفراغ مفسدة، بل مفاسد كما قيل:

إنَّ الشَّبَابَ والفَرَاغَ والجِدَةَ   مَفْسَدَةٌ للْمَرءِ أي مَفْسَدَة

* فمن مفاسد الفراغ أن الشباب ينشأ علي حياة ضياع لا جدية فيها.

* ومن مفاسد الفراغ أنه قد يكون سبباً للتخريب.

* ومن مفاسد الفراغ أنه يفضي إلى التسكع في الأسواق والتجول الذي ربما يفضي إلى فساد الأخلاق.

* ومن مفاسد الفراغ البدني أنه يفضي إلى الفراغ الذهني، فيتبلد الذهن، ويكون الشاب سطحياً ليس عنه تفكير عميق ولا ذهن حاد.

---

(٣٠٨) صحيح. رواه مسلم [٢٦٩٩]، والترمذي [٢٩٤٥]، وابن ماجة [٢٢٥]، وأحمد (٢/ ٢٥٢، ٤٠٧) وغيرهم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ.

وإني لأحثُّ إخواني الذين مَنَّ الله عليهم بالمال أن يجودوا بشيء مما منَّ الله به عليهم، فإن بذل المال في هذه الجماعات من أفضل الأعمال المشاركة الباذل العامل فيها في الأجر، كما جاء نحو ذلك فيمن جهز غازياً قال النبي ﷺ : [مَنْ جَهَّزَ غازِيَاً في سبيل الله فَقَدْ غَزَا][309].

كما أحثُّ سائر إخواني المسلمين على تشجيع هذه الجماعات بكافة أنواع التشجيع المعنوي والمادي، عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[310].

وأسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً ممن حقق ذلك بمقاله وفعاله، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله علي نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، والذين اتبعوهم بإحسان مدى الأوقات.

---

(٣٠٩) متفق عليه. رواه البخاري [٢٨٤٣]، ومسلم [١٨٩٥]، وأبو داود [٢٥٠٩]، والترمذي [١٦٢٨، ١٦٣١]، والنسائي (٦/ ٤٦)، وأحمد (٤/ ١١٦)، والطيالسي [٩٥٦، ١٣٣٠]، وأبو عوانة (٥/ ٦٦-٦٧)، وغيرهم من حديث زيد بن خالد الجهني.

(٣١٠) سورة المائدة: آية رقم: ٢



الفهارس

الموضوع



